





# مفاهيم إسلامية

سلسلة دروس و محاضرات  
أُلفت الأضواء على جوانب الحياة المختلفة  
العلمية والثقافية والاجتماعية  
والاقتصادية والتاريخية وغيرها

عز الدين

تأليف

سماحة الشيخ

حسين العايش البراك



## دليل الجزء الثاني

### الباب الرابع

#### المجتمع و الأسرة

٩ - ١٨٧

- ١١ ..... الثقافة الإسلامية في واقعها الاجتماعي
- ١١ ..... القسم الأول: محاور الثقافة الإسلامية
- ١٧ ..... القسم الثاني: العلاقة بين الجانب العقدي والجانب الاجتماعي
- ٢٥ ..... أثر الرقابة الاجتماعية في تقدم الأمة
- ٢٥ ..... القسم الأول: الآثار الوضعية في ترك الوظيفة الاجتماعية
- ٣٠ ..... القسم الثاني: رفع المستوى الثقافي للمجتمع
- ٣٧ ..... القسم الثالث: الوعي بأهمية القانون
- ٤٣ ..... مقومات الحياة السعيدة
- ٤٣ ..... القسم الأول: تعاليم الدين طريق الحياة الطيبة
- ٤٨ ..... القسم الثاني: أثر المصائب في حياة الإنسان
- ٥٧ ..... القسم الثالث: عوامل تحقيق الاطمئنان
- ٦٢ ..... القسم الرابع: آثار الذكر
- ٦٨ ..... القسم الخامس: ذكر الله تعالى يرسخ الإيمان

- ٧٣ ..... القسم السادس: العمل الجماعي
- ٨١ ..... القسم السابع: المعرفة التوحيدية
- ٨٦ ..... القسم الثامن: الصلاة رابطة إلهي
- ٩٣ ..... المبادئ التربوية للعدل في المجتمع الإسلامي
- ٩٩ ..... مسؤولية المسلم ومودة أهل البيت عليهم السلام
- ١٠٥ ..... حقوق الإنسان بين الإمام عليّ وابنه الإمام الحسين عليهما السلام
- ١١٣ ..... العيد مضامين وقيم
- ١١٩ ..... السلام مبدأ تقدّم الإنسانيّة
- ١٢٧ ..... الإسلام والوسواس القهري
- ١٣٥ ..... تأصيل مفردة العالم في الإسلام
- ١٣٥ ..... القسم الأوّل: ثمار مرتبة العلم
- ١٤٣ ..... القسم الثاني: مكانة العالم
- ١٥٠ ..... القسم الثالث: ربط المجتمع بعالم الآخرة
- ١٥٦ ..... القسم الرابع: الرؤية الموضوعية للأحداث
- ١٦٤ ..... القسم الخامس: الصفات النفسية في العالم
- ١٧٠ ..... القسم السادس: الغزارة في العلم
- ١٧٧ ..... الحقيقة التأثير في نحوسة الأيام

## الباب الخامس

### الاقتصاد الإسلامي

١٨٧ - ٣٠٣

- ١٨٩ ..... الاقتصاد في المنظور الإسلامي
- ١٨٩ ..... القسم الأول: النظرة السليمة للجانب الاقتصادي
- ١٩٤ ..... القسم الثاني: أهميّة الاقتصاد في حياة الإنسان
- ١٩٨ ..... القسم الثالث: أهميّة السعي في التكبّب
- ٢٠٥ ..... القسم الرابع: فطريّة ملكيّة الإنسان
- ٢٠٩ ..... القسم الخامس: مبادئ الوصول للانتماء الإلهي
- ٢١٤ ..... القسم السادس: التأثير السلبي للمال
- ٢١٩ ..... القسم السابع: مقارنة بين النظام الإسلامي والرأسمالي
- ٢٣١ ..... آليّة الإنفاق في سبيل الله تعالى
- ٢٢٩ ..... دور الكرم في حلّ المشكلة الاقتصادية والاجتماعيّة
- ٢٣٩ ..... القسم الأول: دور الإمام عليّ في حلّ مشاكل الأمتة
- ٢٤٣ ..... القسم الثاني: البخل سبب التقهقر الاجتماعي
- ٢٤٨ ..... القسم الثالث: ريادة أهل البيت: للكرم
- ٢٥٣ ..... القسم الرابع: أضرار البخل
- ٢٥٩ ..... القسم الخامس: مظاهر كرم الإمام العسكريّ عليّ
- ٢٦٥ ..... ثقافة الغذاء الشرعيّ
- ٢٦٥ ..... القسم الأول: تأثيرات الغذاء على شخصيّة الإنسان
- ٢٧٣ ..... القسم الثاني: جوانب أهميّة الغذاء
- ٢٨٢ ..... القسم الثالث: الغذاء ومستقبل الإنسان
- ٢٨٨ ..... القسم الرابع: القرآن والغذاء

القسم الخامس: مصادر وأسباب الغذاء ..... ٢٩٦

## الباب السادس

### السياسة و العدالة

٣٨٧ - ٣٠٥

الضوابط الشرعية في الخلافة الإسلامية ..... ٣٠٧

نظرية الإسلام في الحكم من خلال الغدير ..... ٣١٥

مبادئ النظام السياسي في فكر الإمام عليّ عليه السلام ..... ٣٢٧

دعائم الحرية في النظرية الإسلامية ..... ٣٣٥

أطر الحرية في واقعها الديني ..... ٣٤١

العدل بين النظريات الحديثة وشمولية الإسلام ..... ٣٤٧

الظلم وآثاره الدنيوية والأخروية ..... ٣٥٣

القسم الأول: أثر الظلم في الأحداث العالمية ..... ٣٥٣

القسم الثاني: آثار الظلم ..... ٣٦٠

القسم الثالث: أفدح أنواع الظلم ..... ٣٦٦

القسم الرابع: درجات الظلم ..... ٣٧٢

القسم الخامس: طرق نصرة المظلوم ..... ٣٨٠

## مصادر الكتاب

٣٩٨ - ٣٨٩

## محتويات الكتاب

٤٣٢ - ٣٩٩





## المجتمع و الأسرة



## الثقافة الإسلامية في واقعها الاجتماعيّ

### القسم الأول

#### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

#### بين المسؤولية الفردية والاجتماعية

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١)  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (٢)

صدق الله العليّ العظيم

### محاورة الثقافة الإسلامية .

تركّز الثقافة الإسلامية على المزج بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الأمة ، وبالتقاطع والامتزاج بين هاتين المسؤوليتين يتقدّم الفرد ، ويخطو المجتمع خطوات بثبات إلى الأمام ، والإسلام وإن ركّز في بادئ الأمر على مسؤولية الفرد إلاّ أنّه أيضاً أولى

(١) التوبة ٩ : ٧١ .

(٢) المائدة ٥ : ١٠٥ .

عناية كبيرة لمسؤولية الأمة، وجعل الفهم السليم للثقافة المبتنية على المسؤوليتين - مسؤولية الفرد من جهة، ومسؤولية الأمة من جهة أخرى - ركناً يعتمده الإنسان في بلورة مواقفه في شؤون الحياة المختلفة، ويُقيّم بعض المفكرين هذه الثقافة بأنها مجموعة من الصفات الخُلُقِيَّة، والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته، وتمثل رأس المال الأولي في الوسط الذي وُلد فيه، والذي من خلاله يستطيع الإنسان الاستثمار الجيد لرأس المال هذا، والاستفادة منه في كل المجالات. وهذه الثقافة التي تُركّز على المسؤوليتين - مسؤولية الفرد من جهة ومسؤولية الأمة من جهة أخرى - وتُبنى عليها شخصية الفرد كَلْبَةً في وسط المجتمع، يرى بعض المفكرين أنها تعتمد على مجموعة من المحاور:

**الأول: الأخلاق**، ويُقصد بها ما يؤثر في قيم الإنسان في تفاعله مع محيطه بنحو إيجابي.

**الثاني: الجمال**، ويقصد به الارتباط العام بين فئات المجتمع على أسس القيم الجمالية.

**الثالث: المنطق العملي**، ويقصد به تحديد المناشئ التي تترتب عليها النتائج المستقبلية للمجتمع الإنساني.

**الرابع: الفن التطبيقي**، ويندرج في هذا الفن مسألة الأجندة والأوليات للمجتمع ولل فرد. وهذه المحاور الأربعة من الأهمية بمكان، بحيث أنها استعرضت في كلمات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ونظر لها بعض المفكرين المُحدَثين بما ينسجم مع التقدّم الحضاري الذي يمكن أن نوصل المجتمع الإسلامي إليه.

### المسؤولية في إطارها الديني.

وحتى تتضح لنا المسؤوليتان - المسؤولية الفردية التي أوليت عناية أكبر بالنسبة للفرد، والمسؤولية الاجتماعية التي جعلت جنباً إلى جنب مع المسؤولية الفردية

كي لا يطغى اهتمام الفرد بذاته على اهتمامه بمحيطه ووسطه الاجتماعي - نحتاج أن نستعرض بعض آي القرآن التي تتحدّث عن المسؤوليتين في نقطتين :

### النقطة الأولى : المسؤولية الفردية .

عندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أن هناك مجموعة من الآيات ، تركّز على أهميّة مسؤولية الفرد تجاه ذاته ؛ قال تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (١) .

بعد أن يؤكّد القرآن الكريم على أن ما يقوم به الإنسان من عمل سوف يلقاه في يوم الجزاء ، يُبين حيثيّة أخرى ذات أهميّة ، وهي أن هذا الجزاء الذي سوف يلقاه الإنسان في عالم الآخرة سيواجهه وحده دون أن يتحمّل ذلك شخص آخر يشاركه في تخفيف ثقل ذلك العبء ، الذي جعله كوزر له ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ (٢) .

فكلّ إنسان يتحمّل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وسيجد النتائج المترتبة على ما يقوم به من مفردات أعماله حاضرةً لديه في عوالم الغيب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى ﴾ (٣) ، و ﴿ فُرَادَى ﴾ أي ليس معكم من يتحمّل المسؤولية عنكم ، بالرغم ما احتطبتموه على ظهوركم من أوزار أثرت عليكم كأفراد ؛ بل أثرت على المجتمعات التي عشتهم في أوساطها .

ولا ينبغي للإنسان أن يتأثر بمحيطه الاجتماعي متناسياً لمسؤوليته ولواجباته الملقاة على عاتقه ، قال الله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ ﴾

(١) مريم : ١٩ : ٩٥ .

(٢) الإسراء : ١٧ : ١٣ .

(٣) الأنعام : ٦ : ٩٤ .

(٤) المائدة : ٥ : ١٠٥ .

عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿١﴾ ، هذه الآيات الكريمة تبين مسؤولية الفرد تجاه ذاته في حركته الاجتماعية ، وكذلك في ما يترتب على نتائج أعماله من آثار في مستقبله الأخرى .

### النقطة الثانية : المسؤولية الاجتماعية .

أشار القرآن الكريم إلى المسؤولية الاجتماعية الملقاة على الفرد باعتباره جزءاً من الأمة ، ولا يمكن للإنسان أن يهتم بنفسه فقط دون أن يولي عنايةً بأن تكون أعماله تتلاقى وترتبط بما يحدث وينتج في محيطه الذي يعيش فيه ، بل وفي مجتمعه ككل ، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (٢) .

### المفهوم الواسع للمعروف والمنكر .

المعروف والمنكر ليس بالمعنى الذي يتصوره البعض في كونه في حدود الواجب والمحرم ، بل له سعة أكبر من ذلك ، فالمعروف ما عُرِفَ ووضِحَ بأنه يؤدي إلى الخير ، والمنكر ما اتضح وبأنه يؤدي إلى السوء والخذلان والهلاك ، ليس على الفرد فحسب ، وإنما على المجتمع ككل ، ولذلك يُشَبَّه المصطفى ﷺ كل فرد في المجتمع براكب السفينة الذي لا يمكنه أن يقوم بخرق أو ثقب مكانه الذي يجلس فيه من السفينة ؛ لأنه بخرقه لها لا يتضرر وحده فقط ، وإنما يتضرر جميع من ركب السفينة .

فمثلاً بالرغم من أن الظلم عاقبته وخيمة لذا يجب على الإنسان ألا يظلم أخاه الإنسان ، إلا أنه يجب عليه أيضاً ألا يكون عوناً للآخرين في الظلم ، بل عليه

(١) الإسراء ١٧ : ١٥ .

(٢) التوبة ٩ : ٧١ .

أن يُجذّر مبادئ العدالة الاجتماعيّة، ويؤكد على قيم السماء في رفع مستوى الإنسان في المناحي المتعدّدة للحياة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، الركون هو الميلان، أي لا تميل إلى الظالم وتركن إليه، وليس هذا فحسب، بل عليك أن تشجب وتناهض وتأمر بالمعروف، كما استعرضنا ذلك في بعض آي القرآن الكريم.

### محاورة الحياة السليمة.

هذه المسائل يُقيّمها العلماء في محاور:

**الأول:** كيف يعيش الإنسان حياة سليمة وصحيحة؟ لأنه لا يمكن أن يعيش حياة سعيدة وسليمة وصحيحة إلا بثقافة، وإذا لم يع موقفه ومسؤوليته كفرد لا يمكن أن يعيش حياة سليمة.

**الثاني:** كيف يفكر تفكيراً سليماً وصحيحاً؟ لأنّ الإنسان يمكن أن يعيش حياة صحيحة، لكنّه لا يُسهّم منطقيّاً وفكريّاً في تقدّم مجتمعه، بل قد يسهم في تأخره نتيجة نمط التفكير الذي يستولي على شخصيته، ولذلك يُعدّ هذا المحور من المحاور الأساسيّة في شخصيّة الإنسان.

**الثالث:** كيف يُسهّم في إقامة نظام يتّسم بالصحة والسلامة؟ وكيف يُسهّم في تعديل النظام الذي يعيشه إذا كان لا ينسجم مع فطرة الإنسان ومع مبادئ العدالة والحرّيّة والمساواة، التي تؤكّد عليها الشرائع السماويّة كافّة، ويدعو إليها الفكر السليم والصحيح؟ وهذه الثقافة والمحاور التي ذكرناها من الأهمّيّة بمكان، ولا يعي الإنسان أهمّيّتها إلا إذا اتّسم تفكيره بالصحة، وذلك من خلال رسم برامج سليمة تؤدّي بالإنسان إلى فهم الطريق الأفضل للعيش بحياة صحيحة.

(١) هود ١١: ١١٣.

## التداخل بين المسؤولية الفردية والاجتماعية.

والنتيجة التي نصل إليها هي أنّ هناك تقاطعاً بين مسؤولية الفرد من جهة ومسؤولية الأمة من جهة أخرى، والكثير من الناس لا ينتبه إلى مسؤوليته كجزء من أمته، فيحاول جاداً أن يخطو خطوات إلى الأمام، ولكنّه في تقدّمه الذاتي يتناسى مسألة في غاية الأهميّة في منطق الإسلام، وفي مبادئ الرسالات السماوية كافة، بل وفي الفكر الإنسانيّ المبني على الفطرة السليمة والسديدة. ولذا لا بدّ للإنسان من استشعار مسؤوليته تجاه محيطه وأمته، وهذا ما نجده في بعض الروايات الواردة عن النبي ﷺ عندما يقول: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>، والاهتمام بأُمور المسلمين يشمل ناحيتين:

**الأولى:** ناحية التفكير السديد، وذلك بأن يفكر الإنسان بطريقة سليمة تؤدي به إلى فهم الأوليات بما ينعكس إيجاباً على مجتمعه المسلم.

**الثانية:** هي المشاركة بفاعلية وإيجابية في بناء المجتمع الصالح، وقد كان بناء المجتمع مهمّة أنيطت بالأنبياء والرسل من قبل الباري تعالى، ووضعت لها برامج وتطبيقات متعدّدة، ثم أوكلت إلى الصالحين عبر المسؤوليتين اللتين أشرنا إليهما.

## خطر ترك النهي عن المنكر.

إنّ انهماك الإنسان في مسؤوليته الفردية وتناسيه ما ينبغي عليه أن يقوم به اجتماعياً تجاه مجتمعه، سرعان ما يخسر نفسه في خضم أحداث المجتمع التي ستجرفه بحيث لا يستطيع أن يحفظ نفسه، وهذا ما نجده بيناً وجلياً في بعض الأحاديث الواردة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والتي تؤكد أنّ ترك النهي عن المنكر يجعل الإنسان لا يستجاب له الدعاء؛ لأنّ ترك النهي عن المنكر يؤدي

(١) الكافي: ٢: ١٦٣.



إلى استشراء المنكر في المحيط الاجتماعي ثم يصبح الإنسان الذي حصّن نفسه لا يبالي بمسؤوليته الاجتماعية تجاه الآخرين ما دام هو في مأمن من الخطر والفساد ، والنتيجة هي انقطاع المدد الإلهي ، فلا يُستجاب دعاؤه ، وقد بيّنت بعض الآيات التي ذكرتها ؛ ومنها قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، فهذا الوسام العظيم للأمة الإسلامية لم يمنح إليها من دون استحقاق ، بل يعود ذلك إلى ما بينه الله تعالى في كتابه حين قال : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) ، أي إنّ السبب الأساسي في وصولكم إلى هذا المقام ، واستحقاق المنحة الإلهية ، هي أداؤكم لمسؤوليتكم الاجتماعية والقيام بها ، وهذه الثقافة هي ثقافة القرآن التي تؤدّي بالإنسان إلى الرقي والتكامل ، كما أنّها ثقافة الرسل والأنبياء أجمعين .

## القسم الثاني

### تأثير الجانب العقدي والعبادي على الإنسان

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾

صدق الله العلي العظيم

بيّنّا وجود تقاطع بين مسؤوليتي الفرد والمجتمع ، فالفرد مسؤول عن نفسه باعتباره أحد الركائز في بناء المجتمع الصالح ، والمجتمع يتحمّل مسؤولية اجتماعية عن دور رائد في تقدّم نفسه من الناحية الحضارية ، ولا يمكن للفرد

(١) آل عمران ٣ : ١١٠ .

(٢) الحشر ٥٩ : ١٨ و ١٩ .

أن يتقدّم باطراد واستمرار دون أن يعي دوره الاجتماعيّ، كما أنه لا يمكن للمجتمع أن يتقدّم دون أن يعي مسؤوليته تجاه الأفراد الذين يجب عليه أن يسهم في رقيهم وتقدّمهم، فالحضارة والمجتمع يبنيان الإنسان، وكلّما أدرك الإنسان دوره كفرد ودوره كوحدة اجتماعية كلّما تقدّم المجتمع من ناحية مدنيّة وحضارية.

### العلاقة بين الجانب العقديّ والجانب الاجتماعيّ.

عندما ننظر إلى الجانب العقديّ في الشريعة الإسلامية أو الجانب السلوكيّ والتطبيقيّ، نجد التركيز على الجانب الاجتماعيّ تركيزاً في غاية الأهميّة باعتبار أنّ التقدّم لا يتأتى إلا من خلال الجانب الاجتماعيّ، وهناك مفردات سلوكية تطبيقية عبادية تمثّل الأسس والقواعد العامّة للتقدّم، ولعلّ من أهمّ تلك القواعد التي ركّز عليها الإسلام الحجّ، فهو عبادة يُنظر لها من نواحٍ شتى، أهمّها ناحيتان:

**الأولى:** صهر كلّ الفوارق بين الأمة المسلمة في بوتقة واحدة.

**الثانية:** الممارسة الجماعية لكلّ أفراد الأمة في الجانب التطبيقيّ والسلوكيّ من الناحية العبادية.

يبيد أنّ الحجّ وبالرغم من أهميته الفائقة إلا أنه يمارس في السنة مرّة واحدة، لذا لم تكتفِ الشريعة الإسلامية بهذه الممارسة فحسب، بل جعلت ممارسة تطبيقية يومية للإنسان، وأكّدت على هذه الممارسة التطبيقية في صلاة الجماعة.

### الفرق بين العبادة الفردية والجماعية.

إذا نظرنا إلى المنحى العباديّ -الذي هو ارتباط بين الفرد وبين المبدأ المتعال - نجد أنّ تنظير المفكرين في خصوص العبادة كان - منذ القدم وإلى يوم الناس هذا - من الشؤون الخاصة بين الفرد وبين الله تعالى، ولا ينبغي أن يُخلط بين هذا المنحى وبين دور الإنسان من الناحية الاجتماعية، غير أنّ الشريعة الإسلامية لم تنظر إلى

الطقوس العبادية والمفردات السلوكية في المنحى التعبدية بهذه النظرة التي ينظر بها المفكرون والعلماء ، وإنما نظرت إليها بمنحى سلوكي يسهم في تقدم الإنسان وفي نظامه ، فجعلت العبادة شأن ارتباطي بين الإنسان وبين مبدأه ، وحالة جماعية لها من التأثير ما لا يُعد ولا يحصى من ناحية الثواب والهبات والعطايا الإلهية ، كما نجد ذلك بيناً وواضحاً في الروايات ، فمن يصلي صلاة الجماعة يختلف عمّن يصلي الصلاة فرادى ؛ إذ أنّ صلاة الجماعة تُسهم إسهاماً كبيراً في المنحى الروحاني للإنسان ، وهذا ما لا يلتفت إليه المفكرون فيظنون أنّ التقدم من الناحية المعنوية هو شأن لا يرتبط بالمنحى الجماعي ، غير أنّ الإسلام رَبَطَ ذلك ربطاً وثيقاً وأكيداً بالناحية الجماعية ، فجعل صلاة الفرد جماعة تختلف في تأثيراتها عن صلاة الفرد بينه وبين ربّه من غير جماعة ، وصلاة الفرد وإن كانت مقبولة ويثاب عليها الفرد إلا أنها تختلف من ناحيتين :

**الأولى :** في انعكاساتها الروحانية على الفرد ، أي إنّ الإسلام جعل الانعكاسات المعنوية والروحانية للصلاة جماعةً تختلف بشكل أكبر وأعظم من الانعكاسات التي تتحقّق في صلاة الفرد .

**الثانية :** هي تلك الوحدة والتلاؤم والانسجام بين المصلين الذين يأتّمون بإمام واحد ، ويؤدّون حركات في غاية النظم والتناسق ، من هنا نجد أنّ صلاة الجماعة تُسهم في الناحية التنظيمية لتقدّم الإنسان في مناحي الحياة المتعدّدة .

### الجانب العبادي وأثره في تنظيم الحياة الاجتماعية .

المهم أنّ الشأن العبادي في بعض مفرداته - إذا لم نقل في كلّ مفرداته - كان له دور كبير في تقدّم الإنسان من الناحية الاجتماعية ، غير أنّ هذا لم يكن كافياً في تأثيره ، ولذا نجد أنّ هناك تأثيراً أكبر للناحية العقديّة ؛ بمعنى أنّ المبنى العقدي في الشريعة الإسلامية بُني بنحو له إسهام فائق وكبير في حركة الإنسان التنظيمية

والتقدمية إلى الأمام بنحو استمراري، ولعل من أهم العقائد في الشريعة الإسلامية مسألة التوحيد، الذي تحدّث عنه كبار مراجع الطائفة وعظماؤها، منهم السيّد عبد الحسين شرف الدين والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمهما الله فقالا:

«بُني الإسلام على كلمتين: على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، كلمة التوحيد هي المبني العقدي، وأمّا توحيد الكلمة فهو المبني السلوكي والتطبيقي، الذي هو انعكاس لمسألة التوحيد»، وهنا نحتاج إلى إيضاح كيفية تأثير التوحيد من الناحية العقديّة على توحيد الكلمة من الناحية السلوكيّة والتطبيقيّة للإنسان في حركته ودوره الاجتماعي؛ لأنّ هذه المسألة غاية في الأهميّة.

### تأثير التوحيد على توحيد الكلمة.

لم يُرد الله تعالى للإنسان أن ينظر إلى الكون متشكّلاً في سلطنة وهيمنة بعض المخلوقات، بمعنى أن ينظر الإنسان في تفكيره إلى أنّ أنساق الكون المتعدّدة يعود كلّ نسق منها وكلّ شأن من شؤونها إلى إله آخر، بل جعل جميع وجمل ما في الكون من شؤون يرجع إليه تعالى، ومسألة التوحيد التي يسمّيها العلماء بالتوحيد الأفعاليّ تعني أنّ جميع ما في الكون من مفردات لا ترجع إلى قوى متعدّدة، فلا تسيطر كلّ قوّة على جنبه من جنبات هذا الكون، بل المسيطر والمهيمن المطلق من الناحية العقديّة هو الله تعالى، وهو ما تشير إليه طائفة من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، أي إنّ جميع ما في الكون هو ملك لله ملكيّة مطلقة، إلّا أنّ الكثير من الناس لا يستوعبون، أو لا يصلون إلى إدراك كنه ملكيّة الله وهيمنته المطلقة وسلطانه العامّ والتامّ على مفردات الكون، إلّا بعد أن ينتقلوا إلى عالم الآخرة، ويوجّه إليهم السؤال التالي من قبل الله تعالى:

(١) البقرة ٢: ٢٨٤.

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟، هذا السؤال في ذلك العالم الأخرى، الذي ينكشف فيه كل شيء للإنسان على نحو اليقين الكامل، يجيب فيه الجميع باعتبار الإدراك بلسان الوجدان واليقين ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، فهو تعالى له الهيمنة المطلقة في جنبه التوحيد الأفعالي.

### التوحيد النظري في كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

وهناك أيضاً قاعدة أساسية تبني عليها جنبه التوحيد الأفعالي يمكن أن نطلق عليها جنبه التوحيد النظري، التي شُرحَت بشروح وتفسيرات عظيمة وردت على لسان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ولعلَّ أروع ما ورد فيها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ»<sup>(٢)</sup> هذه كلمات تمثل قواعد لمناحي التوحيد الأخرى من التوحيد الأفعالي باعتبار أنَّ معرفة الله تعالى هي أول الدين، والمصدر لهذا الكون، وكمال هذه المعرفة هي الإخلاص لله تعالى، وكمال هذا الإخلاص هو توحيد الله تعالى.

وهذا النحو من التوحيد هو الذي أطلقنا عليه التوحيد النظري أو التوحيد الذاتي - كما جاء في كلمات علمائنا - وهو الركن والأساس الذي تنطلق منه العقيدة في التوحيد الأفعالي، وقد جاء هذا التوحيد في لسان الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ممَّا أدى بدوره إلى جعل عقيدة الموحِّد المسلم بالتوحيد الأفعالي لله تعالى مسبوقه بالتوحيد النظري، ونجد أنَّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا تعتقد بما تتبناه المدارس الأخرى من كون العلاقة بالله تعالى هي خاصَّة وفردية بين طرفين.

(١) غافر ٤٠: ١٦.

(٢) نهج البلاغة: ١: ١٤.

## البعد الشمولي للتوحيد وآثاره.

ولابد من التأكيد على أنّ الكثير من المفكرين - حتى ممّا لا ينتمي إلى مدرسة أهل البيت - بعد أن نظر وتأمل في كلمات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، أدرك أنّ هذا التوحيد من الأهميّة بمكان، وقد قرأت للكاتب المشهور عباس محمود العقاد كلمة في أبو الأنبياء، قال فيها: «إنّ حقائق الكون الكبرى لن تنكشف لعقل يرى الكون أشتاتاً لا ارتباط بينها»، فهو يريد أن يركّز على أنّ وجود الارتباط الوثيق بين مفردات الكون وبين الله تعالى قائم على أساس أنّه المصدر الذي انبثقت عنه الكائنات، ثمّ يقول: «يتسلط عليها - حقائق الكون - هذه الإرادة، ويتسلط عليه غيره بإرادة تنقضها، ويمضي بها إلى وجهة غير وجهته، بل الجميع يرجع إلى الله **﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾**»<sup>(١)</sup>، ثمّ يخلص العقاد في كلمته إلى أنّ التوحيد هو بنسق الكون مع الإنسان؛ بمعنى أنّه يرى كلّ مفردات الكون ترتبط بالله، كما يرتبط الإنسان بمبدئه باعتباره المصدر لهذا الكون.

وهذه النظرة التوحيدية التي شُرحت بإسهاب في كلمات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، تجعل الإنسان ينظر إلى هذا الكون نظرة شمولية توجب له الاطمئنان بأنّ حركته وسعيه مع كلّ مفردة من مفردات الكون توصله إلى المنتهى والغاية، وهي الله تعالى، وهذا ما يجعل الإنسان يعي دوره ومسؤوليته تجاه الكون بما يمتلك من طاقات وقدرات لا بدّ أن تُفعل، باعتبارها تمثّل الشكر لله تعالى، بمعنى الاستفادة بما أفاض به الباري تعالى على الإنسان فيما يعود بالخير لنفسه ولأخيه الإنسان وللكون، وهذه النظرة التي قال فيها المفكر مالك بن نبيّ في شروط النهضة: «إنّ الحضارة تساوي الإنسان»، وهي في الواقع كلمة رائعة وجميلة، فالحضارة تساوي الإنسان إذا نظرنا إلى أنّ الإنسان ليس حيواناً، وإنما يعي دوره الذي يرتبط

(١) النجم ٥٣: ٤٢.

بخالفه ، ويعي مسؤوليته الفردية والاجتماعية .

### الإنسان التوحيدي رحمة للعالمين .

إذا عمقنا الجانب العقدي في الإنسان وعلمناه مسؤوليته ، فإننا بالتأكيد سوف نجعله لا يكتفي بالإسهام في تقدم نفسه ومجتمعه الذي يعيش في كنفه ووسطه ، بل سوف يكون رحمة لكل العالمين ، وهذا ما يخبر به الله تعالى عن نبيه ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، والنبي ﷺ هو المصداق العام والتام والشامل للرحمة الإلهية ، وكذلك أتباعه يمثلون الرحمة بدرجة أقل باعتبارهم يقتبسون من ذلك المنبع الفيض للمصطفى ﷺ ، وعندئذ يدرك الإنسان ما يريده الله في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢) ، وتقوى الله تعني ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (٣) ، باعتبار أن كل الأعمال التي يقوم بها سوف تمثل زاداً له في عالم الآخرة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤) ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾ ؛ لأن نسيان الله نسيان للمسؤولية ، ولذا يكمل تعالى الآية ﴿ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥) .

إن الإنسان عندما ينسى مسؤوليته يصبح فاسقاً باعتباره خارجاً عن القوانين والنظم التي شرعها الله في مصلحته .

(١) الأنبياء ٢١ : ١٠٧ .

(٢) البقرة ٢ : ٢٧٨ . آل عمران ٣ : ١٠٢ . المائدة ٥ : ٣٥ . التوبة ٩ : ١١٩ . الأحزاب ٣٣ : ٧٠ .

الحديد ٥٧ : ٢٨ . الحشر ٥٩ : ١٨ .

(٣) الحشر ٥٩ : ١٨ .

(٤) المائدة ٥ : ٢ .

(٥) الحشر ٥٩ : ١٩ .





## أثر الرقابة الاجتماعية في تقدم الأمة

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### القسم الأول

#### المشاركة في الوظيفة الاجتماعية

أولى الإسلام عناية كبيرة بسلامة المجتمع وتقدمه، وحض المسلم على المشاركة والفاعلية المستمرة؛ لأن سلامة المجتمع وتقدمه لا تتأتى إلا بالمشاركة والفاعلية من الأفراد والفئات والتجمعات، فالتجمع القبلي أو تجمع فئة خاصة -كمدرسين و مثقفين وكتاب- له أبلغ الأثر في تقدم المجتمع، وقد حض الإسلام على هذه المشاركة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تُعبّر عن مشاركة جماعية في تقويم المجتمع من الانحراف، والحفاظ على سلامته، وتقويم الاعوجاج الذي يصيب الواقع الاجتماعي، وإذا أمر الإنسان بالمعروف أصلح ذلك الاعوجاج، من هنا لا يستطيع المسلم أن يقف مكتوف اليدين على

---

(١) لقمان ٣١: ١٧.

المنكر، بل عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.  
ومن الواضح أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم لوازم منها إصابة ذلك الأمر بشيء من الأذى، هذا لا بدّ منه في تحمّل المسؤولية، والإصابة بشيء من الأذى لا يخصّ المسؤولية الاجتماعية في سلامة المجتمع، بل يعمّ كلّ منحي من مناحي الحياة، فمن يقوم بوظيفته لا بدّ أن يتحمّل شيئاً من الأذى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق لتقويم وسلامة المجتمع من ناحية، وتقديمه من ناحية أخرى.

### الآثار الوضعية في ترك الوظيفة الاجتماعية.

جاء في كثير من الروايات ما يشير إلى ضرورة الإسهام الاجتماعي، وأوضح ذلك إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في الثقافة الاجتماعية التي كان يرسخها في أذهان الناس بأنّ عليهم المشاركة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عليه السلام: «لَا تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَوْلَى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>، بيّن الإمام عليه السلام أنّ ترك الوظيفة الاجتماعية من لدن الناس يؤدّي إلى أثر سلبيّ هو تصدّي غير اللائق للمسؤولية، ولا يختصّ هذا بإمارة المسلمين والخلافة عليهم هرم السلطة، بل يعمّ كلّ مسؤولية من المسؤوليات الصغيرة والكبيرة، فإذا فقد النقد البناء سوف يتولّى المسؤولية غير اللائق بها، ممّا يؤدّي إلى اضطراب المجتمع وتأخره، ولن يُجديه الدعاء، وذلك لا يعني أنّ الدعاء لا فائدة فيه، بل أنّ الدعاء مقرون بالعمل وملازم له، فإذا عمل الإنسان ثمّ دعا الله تعالى استجاب دعاءه.

أمّا إذا أهمل الوظيفة المناطة به وتخلّى عن مسؤوليته فلا يستجاب دعاءه،

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٧٧.

أي أن استجابة الدعاء مرتبطة بشرائط ، أهمها القيام بالمسؤولية وأداء الوظيفة ، وإذا تخلى الفرد أو المجتمع عن مسؤوليته فدعاؤه غير مستجاب ، وهذا أثر وضعي أشارت إليه الروايات في باب شرائط استجابة الدعاء .

### الهيئة من أداء الوظيفة الاجتماعية .

في بعض الأحيان تكون الشخصية التي بيدها زمام الأمور شخصية كبيرة وتُهاب ، إما لرفعة مقامها أو للخوف منها لكونها متسلطة تقهر الآخرين ، بعض الناس يُهاب لمقامه العلمي أو الاجتماعي ، وبعض آخر يُهاب دفعا لشهره ، فقد يكون سليط اللسان ، لا يرعوي للكلام الطيب الذي يسمعه ، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام ركز في الثقافة الاجتماعية على أن مسؤوليات الفرد والمجتمع لا تتأثر بأي هيئة لأي صاحب مقام ، باعتبار أن الفرد ملزم بأداء مسؤوليته التي لا تؤثر عليها أي مقام ، وإذا تخلى عنها خسر الدنيا والآخرة .

### رؤية الإمام علي عليه السلام للنقد الذاتي .

يريد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إرساء ثقافة المشاركة الاجتماعية والإسهام في سلامة المجتمع وتقدمه ، فبدأ بنفسه حتى يكون قدوة لسائر الناس ، قال عليه السلام : « فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَاً فِي حَقِّ قِيلَ لِي » ، وهو عليه السلام رغم كونه المسؤول الأول في الدولة إلا أن مسؤولية المسلم تجاه من يتسّم زمام الحكم هي النقد البناء ، فلا يُخشى أو يُخاف من المسؤول لأجل مقامه ، وهذا معنى النصح الذي جاء في كلمات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لأصحابه : « الدين النصيحة ، فقالوا : لمن ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »<sup>(١)</sup>

(١) بحار الأنوار : ٦٤ : ٢٧٣ و ٢٧٤ ، نقلاً عن النهاية في غريب الحديث : ٥ : ٦٢ .

والإمام عليه السلام عندما قال: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ» يشجب مواقف بعض الناس ممن يُداهن ويُماري ولا يقول الحق باعتبار عظم مقام الشخصية، ثم أضاف عليه السلام: «وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قِيلَ لِي»، أي لا يتناقل الإنسان عن مسؤوليته فيها صاحب تلك الرتبة والمقام.

### المواصلة في طلب الحق والعدل.

ثم واصل عليه السلام في بيان ما ينبغي للرسالي القيام به باستمرار «فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ» ما أروع هاتين الكلمتين، «فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ» الاستمرار على قول الحق، إعلام هادف ودائم، وهو مبدأ التذكرة الذي أشار إليه الحق تعالى في آي متعددة من القرآن الكريم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> «فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ»، أما السكوت عن الحق وعدم المشورة بالعدل فيؤدّي إلى تفهقر الفرد والمجتمع.

### تقدّم المجتمع في النقد البناء.

ثم أوضح عليه السلام قاعدة عامّة للناس فهو مع كونه معصوماً غير أنه يعلم الناس ضرورة الاعتراف بالخطأ «فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنْ ذَاكَ مِنْ فِعْلِي»<sup>(٢)</sup>

(١) الذاريات ٥١ : ٥٥.

(٢) قال عليه السلام: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَّمَّاسِ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتِثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنْ ذَاكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ»

الإنسان طبيعته الضعف ﴿وُخِلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾<sup>(١)</sup>، وهذا الضعف ينتج عنه الخطأ، وقد يترسخ ويصبح صواباً يتقبله عامة الناس إذا لم يقل بحق ولم يُشار بعدل، وهذا ما لا يريده الإسلام، لذا بيّن الإمام عليه السلام لبعض ولاته أهمية قول الحق من قبل عامة الناس، قال عليه السلام لمالك الأشتر: «وَتَجَلِسُ لَهُمْ - أي لعامة الناس - مَجْلِسًا عَامًّا فَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدُكَ وَأَعْوَانُكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشَرِّطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَّعٍ»<sup>(٢)</sup>. الناصح إذا جاء مشيراً بالعدل أو قائلاً بالحق لا يضطرب ويتحدث بنحو طبيعي لا غضاضة فيه، وهو ما يريده الإسلام. وثقافة النقد البناء ثقافة عامة لا بد للمجتمع أن يتربى عليها لأنها تقوم الاعوجاج، ولا تستهدف إسقاط الشخصيات، بخلاف النقد الهدام الذي يسقط الآخرين.

### صلاح الأمة في النقد البناء.

النقد البناء صلاح الأمة يؤدي إلى تقدم المجتمع والرقى بالأمة إلى مراتب عالية، هي الخيرية التي أبانها الذكر الحكيم وفق مبدأ الرقابة الاجتماعية والنقد البناء ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup>، هذه الخيرية للأمة هي للمجتمع ككل، ولا تتأتى إلا بتحمل المسؤولية من قبل بعض الناس إزاء بعضهم الآخر، ومن يتولى المنصب، أو له شخصية، فيرتكب الخطأ ويظنّه صواباً، على المجتمع أن يقوم ولا يتخلى عن مسؤوليته مهما كلفته الظروف

﴿ بِهِ مَنِّي ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عِبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَآ رَبَّ غَيْرُهُ ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى ﴾ . بحار الأنوار : ٢٧ : ٢٥٣ .

(١) النساء ٤ : ٢٨ .

(٢) مستدرک الوسائل : ١٣ : ١٦٨ - ١٧٢ .

(٣) آل عمران ٣ : ١١٠ .

لأن ذلك يجعل المجتمع في تقدّم وسلامة على الدوام .

## القسم الثاني

### أخلاقيات المسؤول في النهوض الاجتماعيّ

استعرضنا أهميّة المشاركة للسواد الأعظم وجماهير الأمة في إقامة العدل وإصلاح الأمور، وهو ما أبانه النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام عبر مجموعة من التنبهات، قال ﷺ في الحديث المشهور: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>، فلا تختصّ المسؤولية بفئة من الأمة أو بفرد منها.

### رفع المستوى الثقافيّ للمجتمع .

من ذلك دعت الحاجة إلى رفع المستوى الثقافيّ لجماهير الأمة الذين عليهم العماد، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على رفع المستوى الثقافيّ والفكريّ، ليتاح للأمة أن تشكل حصناً منيعاً، فيصل المسؤولون بها إلى المقاصد العامّة، قال الإمام عليه السلام: «وَأِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمَمْلُوكَ مَعَهُمْ»<sup>(٢)</sup> يؤكد الإمام عليه السلام على أنّ التفات المسؤول إلى تقدّم المجتمع يحتاج إلى وعي من الجماهير، ولن يتاح للأمة أن تصل إلى المستوى المطلوب من الوعي والرقّيّ الثقافيّ إلا من خلال كون المسؤول على درجة كبيرة من المسؤولية في نظره إلى عامّة الناس؛ لأنّ السواد الأعظم من الناس والجماهير هم العُدّة، أي السلاح الذي يُذاد به عن القيم، والعُدّة للأعداء، والإمام عليه السلام عندما أبان أنّ عامّة الناس هم العُدّة للأعداء لا يقصر ذلك على مواجهة

(١) بحار الأنوار: ٧٢ : ٣٨ .

(٢) نهج البلاغة: ٣ : ٨٦ .

العدو في سوح الوغى والحرب ، بل على جميع الأصعدة الثقافية والفكرية والتربوية وغيرها ؛ إذ الأهم هو أن يتشكّل وعي جماعي للأمة فيتاح للمسؤول أن يرفع من مستواها .

### كيفية تعامل المسؤول مع المجتمع :

وضع الإمام عليه السلام برنامجاً في تعامل المسؤول مع المجتمع نوجزه في النقاط التالية :

#### الأولى : الإصغاء للآخرين .

قوله عليه السلام : « فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم » . يبين أنه لا بد للوالي أن يصغي لعامة الناس ويستمع لهم ، ولا يكون ميله لبعض الفئات الخاصة دون بعض ، يؤكد الإمام عليه السلام أن تقدم الأمة لن يتاح إلا بوجود الوعي من لدن المسؤول ، وإذا لم يكن المتحمل للمسؤولية واعياً لمسؤوليته فلن يتحقق التبادل والحراك الإيجابي بين المسؤول والجماهير .

#### الثانية : الإحسان للمجتمع .

وقد أوضح الإمام عليه السلام ذلك بنحو جميل في كتابه إلى واليه على البصرة عبد الله بن عباس ، فقال : « فحادث أهلها بالإحسان إليهم » ، على المسؤول أن يتحدّث للناس بالرفقة والرحمة والإحسان ، بأن يكون حديثه إيجابياً ، فلا يُلوح للجماهير بالشدة والقوة وما يتمتع به من جبروت .

#### الثالثة : بعث الاطمئنان في النفوس .

على المسؤول أن يزيل الخوف من قلوب الناس فيتحدّثون إليه بنحو إيجابي دون موارد أو خوف منه ، وقد أضاف الإمام عليه السلام لواليه في البصرة : « وأحلل عقدة

الْخَوْفِ عَنِ قُلُوبِهِمْ»<sup>(١)</sup>. هذه قاعدة عامة تحقّق تمازجاً إيجابياً بين المسؤول والأمة، فيصبح المسؤول كفرد منها دون فوارق تميزه عمّا هو مسؤول عنه، فلا يكون له اختصاص يجعل له طبقيّة واستثناءً عن غيره من الناس.

### الرابعة: التحلي بمحاسن الأخلاق.

أوضح الإمام عليه السلام قاعدة في كلمة أخرى لمحمّد بن أبي بكر عندما وجّهه إلى مصر والياً عليها، قال عليه السلام: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَالْأَنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ»<sup>(٢)</sup>: يطلب الإمام عليه السلام من واليه ثلاثة أمور، يمثّل كلّ منها أهميّة حيويّة في التمازج الإيجابي، ورفع مستوى الأمة ثقافياً واجتماعياً وعلى سائر الصعد الأخرى:

#### الأول: التواضع.

قوله عليه السلام: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ»: أي لا تُثري عامة الجماهير القوّة التي تتمتع بها، فتجعل عامة الناس يهابونك، فلا يستطيعون أن يوضّحوا مقاصدهم إليك ولا يمكنهم التحدّث معك، فالجنّاح في كلامه عليه السلام كناية عن القوّة.

#### الثاني: اللين في التعامل مع المجتمع.

قوله عليه السلام: «وَالْأَنْ لَهُمْ جَانِبَكَ»: اللين في الجانب هو السهولة والمرونة في التعامل؛ إذ لا فوارق بين المسؤول وبينهم، وإتّما هو فرد منهم.

(١) نهج البلاغة: ٣: ١٨.

(٢) قال عليه السلام: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَالْأَنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَسِّبْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَبْتَاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ - مَعَشَرَ عِبَادِهِ - عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَانْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَغْفِرْ فَهُوَ أَكْرَمُ». نهج البلاغة: ٣: ٢٧.



### الثالث : المبادرة في قضاء الحوائج .

قوله ﷺ : « **وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ** » : بسط الوجه كناية عن الإقبال على الجماهير ، فلا ينتظر المسؤول من الجماهير أن تأتي إليه ، وإنما يبادر في قضاء حوائجهم .

### الشمول في المسؤولية لمفردات الوجود .

ثمّ واصل الإمام ﷺ في التأكيد على أمر في غاية الأهميّة لرفع مستوى الأمة وهو أنّ المسؤول لا تقتصر مسؤوليته على الإنسان وحده ، بل تعمّ الحيوان والمكان باعتبار وجود حركة تفاعلية بين الإنسان والمكان والحيوان ، وإذا ارتقى المسؤول في مسؤوليته استطاع أن يرفع مستوى الأمة بما يؤثر إيجابياً على عالم الحيوان والعالم الأخرى ، وقد أوضحنا آنفاً أنه لا يراد بالمسؤول هنا هرم السلطة فحسب ، بل كلّ مسؤول حتّى وإن كانت دائرة مسؤوليته صغيرة في حجمها .

### بثّ روح المسؤولية في المجتمع .

لا بدّ أن يراعي المسؤول الأمور الآتفة ، بالإضافة إلى الأمور الأخرى التي أشار إليها النبي ﷺ والأئمّة من أهل البيت ﷺ ، قال أمير المؤمنين ﷺ في كتاب له لبعض ولاته : « **اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ** »<sup>(١)</sup> .

وقال في كتاب له إلى الأشعث بن قيس واليه على آذربيجان : « **وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ ، وَالتَّغَابِي عَمَّا تُعْنَى بِهِ** »<sup>(٢)</sup> يتاح للمسؤول ما لا يتاح لغيره ويستطيع أن يفعل الكثير في دائرة مسؤوليته بما يتنافى مع روح المسؤولية ،

(١) نهج البلاغة : ٢ : ٨٠ .

(٢) مستدرک الوسائل : ١٣ : ١٧١ .

وذلك يؤدي إلى أن يُخرج نفسه سلطاناً غشوماً وليس عادلاً، كما أن عليه أن لا يتغابي بما يُعنى به، فهناك أجنحة للمسؤول هي أولويات يأخذ بها في رفع مستوى الأمة وإذا غفل وتغابي عن الأمور التي تشكل أهمية للأمة انحدر وتهاوى مستوى الأمة والجماهير.

### كيفية رفع مستوى المجتمع:

من الأمور التي أكد عليها الإمام عليّ (عليه السلام) للمسؤول الاطلاع على الآراء المختلفة في رفع مستوى الأمة؛ إذ أن بعض المسؤولين لا يستمع لكل الآراء، ولا يطلع على الآراء المختلفة، فلا تتوافر لديه القدرة على اتخاذ القرار الصائب، وقد أبان القرآن الكريم هذه القاعدة وهي استماع الآراء المختلفة حتى وإن كانت صواباً تمثل حسناً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>، من يستمع الآراء المختلفة ويمخضها هو صاحب العقل الراجح الذي تجري مصالح الناس على يديه، وله القدرة في رفع مستوى الأمة إلى أعلى، وهذا ما أكده الإمام عليّ (عليه السلام) في محاور ثلاث:

#### الأول: الاطلاع على الآراء.

قال عليّ (عليه السلام): «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُمُولِهَا»<sup>(٢)</sup>: لا بدّ للمسؤول أن يطلع على الآراء المختلفة حتى لا يستبدّ برأيه أو يأخذ برأي لفئة من الناس ويغفل الآراء الأخرى التي قد تكون أرجح منها، قال عليّ (عليه السلام): «اضْرِبُوا بَعْضَ الرَّأْيِ بِبَعْضٍ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الصَّوَابُ»<sup>(٣)</sup>، وقال عليّ (عليه السلام): «امْخَضُوا الرَّأْيَ مَخْضَ السَّقَاءِ

(١) سورة الزمر ٣٩: ١٨.

(٢) نهج البلاغة: ٤: ٤١.

(٣) غرر الحكم: ٤٤٢، الرقم ١٠٠٦٣. عيون الحكم والمواعظ: ٩١، الرقم ٢١٥٤.

يُنتِجُ سَدِيدَ الْأَرَاءِ»<sup>(١)</sup>، وهذا تشبيه دقيق ، فالإنسان إذا خَصَّ السقاء تُفرز الزبدة ، وكذا إذا اطلع على الآراء المختلفة ، وذلك ما أكده العلماء في وصاياهم لتلامذتهم المقرَّبين بأنَّ العالم لا يسمو في علمه إلا إذا اطلع على الآراء المختلفة وأنَّ ذلك يتيح له الارتقاء في تخصصه العلمي .

### الثاني : الاستفادة من أخطاء الآخرين .

قال عليه السلام : «مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْأَرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ»<sup>(٢)</sup> : لن يُستطاع التوصل إلى مواقع الخطأ من الصواب إلا عبر الاطلاع الواسع على الآراء المختلفة . ينبه الإمام عليه السلام على محور ثانٍ يشكّل إسناداً للمحور الأول وهو : أن معرفة الخطأ من الآراء يتاح بها الاستفادة في تغيير الواقع والرفي في تقديم الأفضل .

### الثالث : استشارة ذوي الخبرة .

الاستشارة للآخرين في غاية الأهميّة ، خصوصاً استشارة طلائع الأمة من العلماء وأهل التخصصات المختلفة ، فإذا أراد المسؤول أن يبرم أمراً في مجال محدّد ، وعلم بوجود أخصائيين في ذلك المجال ، عليه أن لا يُبرمه دون استشارة للأخصائيين ، وقد أكّد الإمام عليه السلام هذه الحيثية عبر كلمات متعدّدة ، منها قوله عليه السلام : «وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَاطَرَةِ الْحُكَمَاءِ ، فِي تَثْبِيَتِ سُنَنِ الْعَدْلِ عَلَى مَوَاضِعِهَا ، وَإِقَامَتِهَا عَلَى مَا صَلَحَ بِهِ النَّاسُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْيِي الْحَقَّ ، وَيُمِيتُ الْبَاطِلَ ، وَيُكْتَفَى بِهِ دَلِيلًا عَلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ النَّاسُ ؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ الصَّالِحَةَ مِنْ أَسْبَابِ الْحَقِّ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا ، وَدَلِيلُ أَهْلِكَ إِلَى السُّبُلِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا»<sup>(٣)</sup> : يُرَكِّزُ عليه السلام على أمرين :

(١) غرر الحكم : ٤٤١ ، الرقم ١٠٠٦٢ . عيون الحكم والمواعظ : ٩١ ، الرقم ٢١٥٠ .

(٢) نهج البلاغة : ٤ : ٤٢ .

(٣) مستدرک الوسائل : ١٣ : ١٤٨ .

**الأول:** الإكثار من مدارس العلماء وأصحاب الاختصاص الذين لهم شأن؛ إذ أنك لن تستطيع أن ترفع مستوى من تريد دون مشاورة الأخصائيين.

**الثاني:** أهل الخبرة الذين عبر عنهم الإمام عليه السلام بالحكماء، الحكيم هو الذي يمتلك التجربة، والإمام عليه السلام يؤكد على «ومناظرة الحكماء» أصحاب التجارب وأهل الخبرة في الأمور؛ إذ لن يُستطاع رفع أي مستوى من المستويات دونهم، لهذا نجد الشركات في العصر الحديث لا تكتفي بالشهادة وحدها دون الخبرة، وإنما تُعطي رواتب مجزية لصاحب الخبرة؛ لأنَّ التخصص في الحقل العلمي لا يكفي، بل يحتاج إلى الخبرة، وكلما ازدادت الخبرة مثل الرأي صواباً وسداداً، وقوله عليه السلام: «فِي تَثْبِيْتِ سُنَنِ الْعَدْلِ عَلَى مَوَاضِعِهَا، وَإِقَامَتِهَا عَلَى مَا صَلَحَ بِهِ النَّاسُ»: وإن كان يشير إلى الشأن السياسي والاجتماعي، إلا أنه لا يختص بذلك، بل يعم المجالات الأخرى.

### الاستفادة من تجارب الآخرين.

هناك تجارب لكل مسؤول، فيها إخفاقات ونجاحات باهرة، وإذا لم يطّلع المسؤول على النجاحات والإخفاقات التي كانت للغير لن يستطيع أن يرفع من مستوى دائرته في المجالات التي أخفق فيها؛ لأنه لم يتعرّف على وجوه الصواب من الخطأ، ويشير الإمام عليه السلام هنا إلى السنن المؤثرة والقواعد التي إذا أخذ بها أمكن رفع مستوى الأمة، ولعلّ من أهم السنن والقواعد اجتماع الناس على رأي واحد، فهناك أهمية لاجتماع الناس في أي مجال من المجالات، وذلك يحتاج إلى توعية وتنقيف كي لا تختلف الآراء في مقام العمل؛ لأنّ تشتت الآراء يجعل المسؤول ضعيفاً، لا يستطيع أن ينفذ ما خُطّط له من فكر إيجابي يتطلّب المشاركة الجماعية، والوعي للجماهير، والذي على أساسه يتحقّق التعامل الإيجابي مع المسؤول، والإمام عليه السلام يدلي بهذه القواعد ليعلم بأنّ رفع مستوى الأمة يتطلّب هذا التمازج

الإيجابي من لدن المسؤول ومن الأمة في تقديم المشورة والنصح والطاعة كما أوضحناه .

### القسم الثالث

#### تقدم الأمة في الثقافة القانونية

أوضحنا بأن تقدم الأمم والرقى للمجتمعات لا يتحققان إلا من خلال المشاركة الفاعلة لأفراد المجتمع ، ومن دون هذه المشاركة لأفراده فإن المجتمع يبقى رازحاً في تخلفه .

#### الوعي بأهمية القانون .

من هنا ندرك أهمية حديث أهل البيت عليهم السلام في مشاركة الأفراد الاجتماعية ، والتي ركيزتها الاعتناء بالقانون ، لما له من أهمية فائقة يستطيع الإنسان من خلالها التعرف على حقوقه وواجباته ، أما إذا كان جاهلاً بالقانون فسوف يقع في أخطاء كبيرة . إذن ثقافة الرقى والتقدم تتطلب معرفة المجتمع بالقانون ؛ ذلك أن المطالبة بالحقوق دون وعي ومعرفة بالقانون تجعلها عديمة الجدوى ، من هنا نرى الأمم المتقدمة تركز على الوعي والمعرفة باعتبارهما يعطيان المجتمع حصانة ، فلا يتعدى النافذون من أفراده على بعضهم الآخر ؛ لأن الأكثرية من الناس تعرف حدود القانون .

#### تساوي الجميع أمام القانون .

قداسة القانون تمثل أهمية كبيرة ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup> . كل فرد له حق وعليه واجب ،

(١) الحديد ٥٧ : ٢٥ .

وليس لأحد من أفراد المجتمع حقٌّ دون أن يكون عليه واجب ، الجميع يتساوى أمام القانون في أداء الواجب ، ولا ينفرد بهذا الرعية دون المسؤول أو المسؤول دون الرعية ، بل إنَّ أعظم الحقوق هو الحقُّ المتبادل بين المسؤول في السلطة وبين الرعية ، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ »<sup>(١)</sup>.

فالمسؤولية متبادلة ، كما أنَّ للوالي حقوقاً فهناك حقوق للرعية ، بيد أنَّ المجتمعات المتخلفة ترى النافذ في السلطة له الحقُّ كلُّه ، وما سواه - وهم الأدنى الذين يسوسهم - ليس عليهم إلا الطاعة ، وهذا سبب تخلف المجتمعات ؛ لأنَّ القانون ينطبق على المسؤول مهما علَّت رتبته بنحوٍ متساوٍ مع غيره ، والقانون هو الذي يُحرِّك الناس للمطالبة بحقوقهم .

### سلطة القانون في المجتمع :

أبان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أنَّ من الأولويات لدى الوالي والمسؤول - حتى لو كان مسؤولاً في مؤسسة صغيرة - أن يُحكِّم القانون ؛ لأنَّ رقي مستوى الأفراد الذين ينضون تحت دائرة مسؤوليته لا يتأتى إلا من خلال تحكيم قواعد القانون ، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا اتِّمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ »<sup>(٢)</sup> .

ركز عليه السلام في هذه الكلمة على نقطتين هامتين في القانون :

(١) نهج البلاغة : ٢ : ١٩٨ .

(٢) نهج البلاغة : ٢ : ١٣ .

### الأولى : تحكيم القانون .

بيّن الإمام عليه السلام بأنّ النزاع والحروب التي حدثت بينه وبين بعض الصحابة كانت على أساس تحكيم القانون ، وأنّ بعض من حارب الإمام عليه السلام هدفه أن لا يطبق القانون ، وتبقى الامتيازات والمحسوبيات دون مساءلة أو رقابة اجتماعية ، لذا أكد عليه السلام أنّ هدفه من تلك الحروب لم يكن مادياً ، كما يفعل بعض السياسيين ، وإنما ليردّ معالم الدين ، الذي يُعبّر عن تحكيم القانون .

### الثانية : الإصلاح لتحكيم القانون .

أمّا إظهار الإصلاح في البلاد فيشير إلى معنى غاية في الأهمية ، وهو ما أشار إليه الأنبياء والرسل أنّه هدف لهم ، قال تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup> : أي أنّ من المهام المناطة بأنبياء الله ورسوله الإصلاح في العباد والبلاد ، والإصلاح تارة يكون بتعديل الفساد وإقامة أمت العوج ، وأخرى بتحكيم أطر القانون ، والإمام هنا يريد بالإصلاح كلا المعنيين ، لذلك عبّ عليه السلام بقوله : «فِيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ» .

### منح الضعيف مطالبه القانونيّة .

أشار الإمام عليه السلام في مطلب آخر إلى مسألة هامة أوردتها المصطفى عليه السلام وهي أنّ الأمم تتقدّم إذا راعت العدالة الاجتماعية ، فروى عليه السلام عن النبي عليه السلام : «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤَخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَّعِعٍ»<sup>(٢)</sup> : أي أنّ المطالبة بالحق للضعيف تحتاج إلى برهنة زمنية طويلة ، أمّا إذا كان الحق للقويّ فسرعان ما يرجع لصاحبه ؛ لأنه يتمتع بنفوذ خاصّ ، والإمام عليه السلام أشار إلى أهمية مساواة الضعيف

(١) هود : ١١ : ٨٨ .

(٢) نهج البلاغة : ٣ : ١٠٢ .

مع القويّ، فكما أنّ القويّ يستطيع الوصول إلى حقّه من ناحية قانونيّة، كذلك الضعيف يمكنه الوصول إلى حقّه، ولا يستطيع الغير منعه، وهذا معنى قوله ﷺ: «غَيْرُ مُتَّعِنٍ» التعتة في الكلام هي البطء، والتعتة هنا البطء في تطبيق القانون.

### أدب تعامل المسؤول مع الرعيّة.

وقد أشار الإمام ﷺ إلى هذا المعنى الذي أوردناه في كتاب أرسله إلى محمد بن أبي بكر عندما بعثه والياً على مصر، أبان فيه أهميّة تطبيق القانون العامّ ومراعاة حقوق الناس، وأنّ على من يتمتّع بالمسؤوليّة أن يلحظ بعض التطبيقات الدقيقة في تعامله مع من سواه، مراعيّاً لأدب خاصّ، قال إمامنا أمير المؤمنين ﷺ: «وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ»<sup>(١)</sup>، والمساواة تحقّق أمرين هامّين:

#### الأول: منع طمع الآخرين في الظلم.

قوله ﷺ: «وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ» يشير أنّ الإنسان إذا كان في مقام المسؤوليّة قد يخصّ بعض المقرّبين إليه ومن لهم ميل له، فيمنحهم خصوصيّة تختلف عن الآخرين، ويبين الإمام هنا أنّ المسؤول لا بدّ أن يُواسي فيما يلحظه بين الأفراد «وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ»؛ لأنّ هناك أصحاب نفوذ يعلمون أنّ الآخرين يمكن أن يظلموا من أجلهم لما يتمتّعون به من مكانة.

#### الثاني: إنقاذ الضعفاء من اليأس.

ويواصل ﷺ: «وَلَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ»: الضعيف الذي لا يتمتّع بنفوذ يجد في عدالة القانون وتطبيقه ما يحقّق آماله ومبتغاه. إذن فالمسؤوليّة وظيفية منطوية

(١) نهج البلاغة: ٣: ٧٦.



بالمسؤول في تثقيف المجتمع بها .

### العمل الدؤوب يحقق ثقافة القانون .

كثير من توجيهات الإمام عليه السلام أكد فيها على أن الثقافة الاجتماعية بين المسؤول والرعية لا تتحقق مباشرة ، بل تحتاج إلى عمل دؤوب وجهد مستمر من لدن الآباء والأمهات حتى تتجذر هذه الثقافة للمجتمع ، يتربى فيها الصغار على معرفة القانون ، فيمكنهم المطالبة بحقوقهم من الغير ، وهذا أحد المعاني التي يشير إليها علماء التربية ، من أن الثقافة الاجتماعية للقانون لا تتحقق بالكبار فحسب ، وإنما تحتاج إلى جهد منذ الطفولة لليافعين والناشئين الصغار حتى يتاح للقانون أن يترسخ في نفوسهم ، ويصبح ثقافة لدى الناس للمطالبة بحقوقهم والذود عن مواد القانون ؛ لأن الأمة لن تُقدس إلا إذا أخذ فيها للضعيف حقه .

### تربية النشئ على الوعي بالقانون .

لا بد أن يعلم أن أخذ الحق لا يكون إلا بالوعي والدراية للقانون ، ويؤكد هذا ما ورد عنه عليه السلام في ثقافة الناشئين وتركيز مبادئ الأدب العام في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ، قال عليه السلام في وصيته : «فَبَادِرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَمْسُوَ قَلْبُكَ ، وَيَشْتَغَلَ نُبُكَ»<sup>(١)</sup> : يبين عليه السلام أن الكبير يعتاد على عادات وتقاليد يشب ويشيب عليها ، ولا يستطيع الخلاص منها ، ولا يمكنه تطبيق مسؤوليته الاجتماعية تجاه المسؤولين عنه وغيرهم ، ولن يشارك مشاركة فاعلة في تقدم المجتمع .

### الثقافة القانونية أساس التقدم .

إذا وعى المجتمع أي القرآن الكريم ، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٤٠ .

أهل البيت عليهم السلام، يستطيع أن يخطو إلى الأمام بثبات واطمئنان، أمّا المجتمع الذي لا يعي مسؤوليته سيتفشى فيه الجهل، وينعدم الفهم، وتنقصه ثقافة القانون. إذن ثقافة القانون عنصر أساس لتقدّم المجتمع، ولا يتاح للأفراد أن يشاركوا المشاركة الفاعلة إلا من خلال هذه الثقافة.

## مقومات الحياة السعيدة

### القسم الأول

#### اللفظ الإلهي في حياة الإنسان

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

تبيّن الآية المباركة أنّ الحياة الطيبة تكمن في ظلّ التعاليم التي دعا إليها الحقّ تعالى والنبى ﷺ، ولا تتأتى الحياة الطيبة بمعنيها الدنيوي والأخروي إلا من خلال السير على ضوء المنهاج الإلهي، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### تعاليم الدين طريق الحياة الطيبة.

الأثار التي بها تتحقّق الحياة الطيبة: الطمأنينة، والأمن النفسي، والارتياح والتفاعل مع جوانب الحياة المختلفة بإيجابية، كلّ ذلك لا يتحقّق إلا إذا سار المرء

---

(١) الأنفال ٨ : ٢٤.

(٢) الملك ٦٧ : ٢٢.

على ضوء التعاليم الإلهية الدينية؛ لأنّ التعاليم الأخرى لا يمكن أن تتحقّق الإيجابية المثلى كما تتحقّق في ضوء التعاليم الدينية.

### العوامل المؤثرة في حياة الإنسان:

يعيش الإنسان بين عوامل تؤثر عليه سلباً، شاء أم أبى، غير أنّ التعاليم الإلهية قادرة على أن تحوّل جميع العوامل السلبية إلى إيجابٍ يصبّ في صالح الإنسان، وإنّ عظمت وتعدّدت تلكم العوامل التي تؤثر عليه سلباً:

#### الأول: الخوف من المستقبل.

لا يستطيع الإنسان أن يضمن المستقبل الدنيوي والأخروي؛ إذ أنّ المستقبل الأخروي يتحقّق بالحصول على الدرجة العالية، والمكانة الكبيرة عند الله تعالى في الآخرة، أمّا الدنيوي فيتأتّى بالحصول على المكانة المرموقة، وتحقّق الإنجازات التي ترضي الإنسان عن نفسه، ويطمأنّ بذاته، ولا يتحقّق ذلك المستقبل إلّا في ضوء التعاليم الدينية.

#### الثاني: المخاطر والأمراض.

تحفّ الحياة مخاطر وآلام متعدّدة، فهناك الأمراض التي تهجم على الإنسان، وليست بالحسبان، وهناك الأمراض التي يمكن ترقّبها كالأمراض الوراثية، فيعيش الإنسان همّاً وألماً نتيجة للأمراض التي تهجم عليه، وهكذا الظلم الذي يناله من أخيه الإنسان.

#### الثالث: عدم التكيف في المحيط الاجتماعي.

وهناك من لا يرتاح لما يعيشه من عدم الانسجام مع محيطه الأسري أو الاجتماعي. إذن توجد أمثلة متعدّدة ترينا الكثير من الناس الذين يعيشون

عدم الوثام والارتياح في محيطهم العملي أو الأسري، فتهمج عليهم الآلام، وليس عندهم القدرة الفائقة والعلاج الناجع الذي يستطيعون به أن يحققوا الأمن النفسي والحياة الطيبة ليعيشوا بالرضا، لعمق ارتباطهم الديني والإيماني، فالقلق والاكتئاب والألم الشديد الذي يحياه بإحساسه أن الحياة التي يعيشها ملأى بالجحيم نتيجة لحادث يلم بهم، أو مرض عضال يصيبهم، أو إشكالية كبيرة يقعون فيها ويصعب عليهم التخلص منها.

### معالجة العوامل المؤثرة على الإنسان.

غير أن الدين عالج جميع هذه الأمور، فالاطمئنان يحقق الحد الأدنى من مراتب السعادة؛ إذ الدين يكفل له الارتباط بالله تعالى وبرسوله ﷺ، وغرس مبادئ الإيمان في نفسه، ويكفل له انسجاماً مع ذاته، وتكيفاً مع الحوادث المختلفة التي تلم به. ففي الحياة الدنيا اطمئنان ورضاً بمستقبله الدنيوي والأخروي يضمن مستقبله الدنيوي والأخروي، ويحقق إنجازاً بالتكامل على أكثر من صعيد، أما غير المؤمن فهو وإن تكامل على أحد الأصعدة إلا أنه يتسافل على بعض الصعد الأخرى لعدم وجود البلمس الشافي وهو الدين والارتباط بالحق تعالى، أما الحوادث التي تُداهم الإنسان وهي خارجة عن اختياره، كحوادث الارتطام بالسيارات وملاقاة الموت المحتم، فدور الإيمان فيها محوري.

### الأنطاف الإلهية في حياة الأنبياء.

أبان القرآن الكريم بعض ما حدث للأنبياء، وهم بشر وصلوا إلى مراتب عالية بسبب التربية الإلهية، والعناية التي أحاطت بهم من قبل الله تعالى، وقد أشار تعالى إلى ذلك في شأن موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَتُضَنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾<sup>(١)</sup>، أي أن

(١) طه ٢٠: ٣٩.

التكامل الذي وصل إليه وتبوأه ﷺ نتج من عناية ولطف خاصين من عند الله تعالى . إنَّ الأنبياء مرّت عليهم ظروف صعبة وامتحانات عسيرة ، فإبراهيم ﷺ أُلقي في النار ، ويحيى ﷺ قُتل بقتلة مروعة ، ونوح ﷺ تحمّل جهل قومه وسخرّيتهم به ، وموسى ﷺ عانى الأمرين مع بني إسرائيل وفرعون .

### اللطف الخاصّ للنبيّ يونس ﷺ .

يطمئنّ المؤمن بقدرته الله تعالى ، ويعلم أنّ الموت إن كان مقدراً له فهو خير له عند الله تعالى ، بل يمكنه أن ينجو رغم أنّ عوامل الموت متكاملة بنسبة (١٠٠٪) ؛ لأنّ قوانين عالم الطبيعة مرتبطة بمسبب الأسباب ، والتوجه إليه تعالى ينجي من الغمّ ، والمدلهمات التي مرّت على بعض الأنبياء كالقاء يونس ﷺ في اليم (البحر) ، وابتلاع الحوت له ، لم تؤثر عليهم لارتباطهم بالله ، قال تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ ، وفي الآية المباركة حيثيات متعدّدة :

**الأولى :** أنّها ليست خاصّة بيونس ﷺ بل عامّة لجميع المؤمنين ، فأيّ مؤمن ابتلي ليعيش العوامل الطبيعيّة التي تفرض عليه أن يتلاشى أمله في البقاء يأتي دور التوجّه والارتباط بالقدره اللامتناهية للحقّ تعالى .

**الثانية :** أنّ قوله تعالى : ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ إبانة للقدره المسيطرة على عالم الوجود ، التي بيدها الأمر والنهي ، والإله المسيطر هو صاحب القدره المطلقة ، وله التصرف في قوانين الطبيعة فيغيّر مسارها .

**الثالثة :** الإجابة لمن ارتبط به تعالى والنجاة من الكرب والغمّ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾

وَنَجِّينَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

### اللفظ الخاص للنبي إبراهيم عليه السلام .

عندما ألقى الخليل عليه السلام في النار لم تحرقه ؛ ذلك أن الله تعالى أراد للسبب ألا يؤثر في المسبب ، وهو تعالى مبدأ التأثير ، والأسباب تؤثر في مسبباتها بإرادته تعالى ، فلم تؤثر النار في الإحراق ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١) .

### السببية الإلهية المطلقة .

لا يمكن للعامل الطبيعي أن يؤثر لأن سلسلة عوامل الطبيعة مرتبطة بعامل آخر قاهر لها بالقهاريّة المطلقة للأسباب ، والتي تُعرف عندما يصل المرء إلى مرحلة اليقين في الآخرة بإدراك أن ملكيّة الأشياء تعود إليه جلّ وعزّ ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) ، ويجب الإنسان عندما يُسأل : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٣) ، إنها قهاريّة مطلقة لجميع الأسباب ، وإثبات أن تأثيرها في مسبباتها ليس بتام ، فقد يسقط الإنسان من شاهق ، وقد يتعرض لزلزال أو بركان ، ورغم ذلك يمكن أن ينجو ويكبر اليقين لديه بالنجاة إذا كان من المؤمنين المرتبطين بالله تعالى فتتاح له النجاة من حيث لا يحتسب .

### أثر الارتباط بالله تعالى .

هناك قصص واقعية حدثت لكثير من الناس ، وقد سمعت قصة واقعية حدثت

(١) الأنبياء ٢١ : ٦٩ .

(٢) البقرة ٢ : ٢٨٤ .

(٣) غافر ٤٠ : ١٦ .

لامرأة مؤمنة اشتعلت النار في بيتها، وكان في داخل البيت ابنتها وأمها، واحتارت من تخرج فلا يمكنها إلا أن تحمل واحدة، وفي هذه اللحظة فكّرت، أتسقى الأم أم البنت؟ غير أنها رأت أن برّ الوالدين يحتم عليها إنقاذ الأم انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(١)</sup>، ثم أنقذت الأم؛ ذلك أنها على يقين بالإنجاب، وقد حدثت مفاجأة بعد إطفاء النيران، فكانت الغرفة التي فيها البنت سالمة لم تحترق وسلمت البنت، إنها قدرة الحقّ تعالى وارتباط الإنسان بمبادئ الإيمان التي سارت على وفقها المرأة فانطلقت فتحقق لها أفضل ما كانت ترجوه.

## القسم الثاني

### الخوف بين الواقع السلبي والطموح الإيجابي

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
 ﴿فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

### أثر المصائب في حياة الإنسان.

يعيش الإنسان الحياة الدنيا محفوفاً بالابتلاءات والامتحانات التي تؤلمه مادياً ومعنوياً فتتكد عيشه، وتبدل رغد العيش والحياة الطيبة إلى ألم وعذاب؛ ذلك أنّ العيش الهانئ لا يكون إلا مع الأمن والاطمئنان، أمّا الالتفات إلى الآلام والتفكير

(١) الإسراء: ١٧: ٢٣.

(٢) الأحقاف: ٤٦: ١٣.

(٣) الأعراف: ٧: ٣٥.



في المصائب التي تحدث للإنسان في حياته من أمراض ، وفقدان الأهل والأحبة ، والكوارث التي ليست بالحسبان ، كل ذلك يؤثر تأثيراً بالغاً وكبيراً ، ويحوّل العيش الهانئ والرغيد إلى ألم ونكد .

### استثمار الألم والخوف إيجابياً .

قبل أن نستعرض المصائب والآلام وكيفية التخلص منها ليتاح للمرء أن يعيش بأمنٍ واطمئنان ، نبين أنّ الألم والخوف يعترى الجميع فلا أحد إلا ويتألم ، وليس هناك من لا يخاف ولا يحزن ، الألم والحزن يحدث للجميع ، غير أنّهما تارة يستفاد منهما استفادة إيجابية ، وأخرى ينعكسان سلباً فيدمران الحياة الماديّة والمعنويّة .

وعندما نقول إنّ الحزن والألم يعتريان الجميع فذلك لوجود أسباب معقولة ولحكمة للخالق تعالى اقتضت إسهام الخوف والألم في تطوّر الإنسان ورفيقه ؛ إذ لولا الخوف لما استطاع الإنسان أن يحمي نفسه من الكوارث والأمراض التي تدهمه ، خوفه يولّد محفّزات تدعوه إلى البحث العلمي ، واتّخاذ أرقى الأساليب لوقاية نفسه ، ويدعوه إلى تعميق الإيمان باللجوء إلى القوّة المطلقة والألامتناهية للحقّ تعالى . إذن الخوف والألم قد يؤثران إيجابياً على حياة الإنسان .

### السيطرة على الألم والخوف .

الحياة الطيِّبة والهائلة ليس بالضرورة أن لا يصحبها ألم ولا خوف ، غير أنّ الخوف والألم يكونان ضمن الحدود المعقولة ، وفي دائرة السيطرة ، بحيث يتاح للإنسان أن يتغلّب على خوفه بالعوامل التي أتاحتها الله تعالى له ، وهي كفيلة بتخليص الإنسان من آلامه وخوفه ، وجعل كل ما ينغص حياته في دائرة السيطرة بتغلّبه على آلامه وتحقّق آماله وأمانيه .

## مصائب تواجه الإنسان:

هناك مصائب في الحياة تواجه أي إنسان مهما كان له من شأنٍ ورفعة، هي كالتالي:

### الأول: المرض.

يخاف الإنسان من المرض، ويتعرض لأمراض مختلفة في هذه الحياة الدنيا.

### الثاني: الحوادث التي على الآخرين.

المصائب التي تحدث على الإنسان وعلى أحبته، كالكوارث الطبيعية: البراكين والزلازل والرياح العاتية.

### الثالث: الموت.

الموت مخوف، وهو في الغالب يهجم على الإنسان دون اطلاع أو إنذار، ويحسن بنا أن ننبه على ما أكدته البحوث العلمية من وجود أسباب مجهولة لم يتوصل إليها العلم، ولم يستطع أن يلمّ بها، تؤدي إلى الموت، فالمرض ليس هو الذي يميت الإنسان، فهناك كثير من المرضى عاشوا حياة مديدة، وكثير من الأصحاء ماتوا فجأة، أي دون معرفة سبب الموت، حيث يقع محلاً لتعجب الناس وقولهم بأنه ليس به شيء، كيف مات؟ بتصور أنّ المرض هو العامل الأساس في الموت، غير أنهم نسوا أنّ المرض ليس علّة تامّة؛ إذ قد يموت الإنسان من دون أي مرض من الأمراض، وقد يعيش وهو يرزح تحت عبء ثقيل وألم شديد من المرض، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (١).

(١) الملك ٦٧: ٢.

الموت والحياة كلاهما خلق من خلق الله تعالى ، لذا لا نستطيع القول إن موت أحد الناس سببه المرض الكذائي ، بل المرض علة معدة ، وحتى الأمراض العضال ليست أسباباً تامة ، فبعض العلماء الذين تخصصوا في أبحاث السرطان وأجرى مقابلة في مجلة العربي ، قال : « إن العلم استطاع أن يقضي على ٥٠٪ من أمراض السرطان » ، أي أن الإنسان يصاب بالسرطان ويشفى .

وبعض الروايات قالت : « إن كل داء خلق الله تعالى له دواء ، يصيبه من يصيبه ، ويخطئه من يخطئه »<sup>(١)</sup> أي أن كل مرض من الأمراض بجانبه دواء ناجع لعلاجه ، وهناك أسباب ووسائل للشفاء أهمها الاعتقاد بأن الله تعالى هو المحيي والمميت والشافى ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### عوامل التخلص من الخوف :

إن الإنسان يمكنه أن يتخلص مما يلم به في كثير من الأحيان ، ويمكنه معالجة الخوف من الموت والمرض بأمور :

### الأول : التوكل على الله تعالى .

التوكل على الله تعالى ، والتسليم لأمره تعالى ، والاستكفاء به ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) قال الإمام الكاظم عليه السلام : « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ » . فقه الرضا : ٣٤٥ .

(٢) الشعراء ٢٦ : ٨٠ .

(٣) الزمر ٣٩ : ٣٦ .

(٤) الطلاق ٦٥ : ٣ .

## الثاني: تعميق الإيمان.

هناك عوامل لتقليل دائرة الخوف وجعله مع الألم في دائرة السيطرة، أهمها الإيمان والارتباط بالله تعالى.

## الثالث: التزوّد بالثقافة.

من العوامل المسهمة في العيش الرغيد والحياة الطيبة الهانئة: الثقافة، فثقافة الإنسان وعلمه يسهمان في سيطرته على عوامل الخوف، وجعل الخوف والحزن تحت دائرة السيطرة، فيتغلب عليهما بذاته، ولا يكبران فيسيطران عليه بدلاً من سيطرته عليهما.

## إحصائية علمية في مسببات الخوف.

عند الرجوع إلى لغة الأرقام للحديث عن الإحصائيات العلمية في مسببات الخوف والقلق والاضطراب، نجد أنّ بعض العلماء الأخصائيين يقول: «إنّ الثقافة والعلم يسهمان في تغلب المرء على بعض مشاكله، وعندما نكتب جدولاً بالقلق والألم الذي يعترينا ويتتابنا سنرى أنّ علل القلق لا أهميّة لها في أكثر الأحيان، فالاضطرابات تكون في الجدول الذي نضعه هكذا (٤٠٪) من المصائب التي تؤلمنا وتقلقنا لا تحدث أبداً، و (٣٠٪) من الهموم والغموم الماضية والحاضرة لا يؤثر فيها ما لو اجتمع العالم على التألم له».

نوضح هذه النقطة: أي أنّ هناك أمور طبيعية لا يستطيع أحد أن يغيّر فيها شيئاً تمثل نسبة (٣٠٪) - كالموت - فلا يمكن للإنسان أن يتغلب على الموت ويردّه، والهرم فلا يمكنه أن يمنع الشيب، والضعف الذي يتتابه في مراحل عمره. إذن لا يمكنه أن يتخلص من ذلك، هذه أمور لا بدّ أن يسلم بها الإنسان بطبيعته، والبشرية بأجمعها لو أرادت أن تغيّر هذا الواقع لما استطاعت، وليس للإنسان إلا أن

يسلّم أمره إلى الله تعالى ، ويتوكّل عليه .

ثمّ قال : « إنَّ نسبة ( ١٢٪ ) من الخوف لا أساس له ، أي أوهام مثل الخوف من فقدان الصّحة ، أو الخوف من فقدان الأحبّة ، أو من مرض محدّد ، كثير من الناس يتألّم ويخاف من مرضٍ كالسكر ؛ لأنّ آباءه قد أصيبوا به ، غير أنّ بإمكانه أن يتغلّب على خوفه بمجموعة من العوامل كالثقافة الصّحيّة .

ثمّ قال : « و ( ١٠٪ ) من المواضيع الجزئية التي لا أهميّة لها ، و ( ٨٪ ) من المواضيع فقط لها مبرّر » ، أي أنّ أكثر من ( ٩٢٪ ) من أسباب الخوف دون وجود مبرّر ، ولم يبقَ إلّا ( ٨٪ ) فتكون تحت السيطرة ، وبإمكان الإنسان أن يتغلّب عليها بالعوامل الموضوعيّة .

ثمّ قال : « والتجربة تدلّنا بصورة قطعّيّة على أن نحذف عدداً من أسباب القلق غير الواقعيّة ، فإنّما نخافه أكثر من كلّ شيء لا يتحقّق منه شيء » ، وقد شاهدنا بعض الناس يخاف طوال حياته لأنّ بعض أفراد الأسرة أصيب بالسرطان ، ويخاف أن يصاب به وينسى أنّ الأمر بيد الله تعالى ، وأنّ الله تعالى أعطاه عوامل يستطيع أن يقى بها نفسه إذا سار على وفق الأسباب الطبيعيّة ، ولجأ إلى الله تعالى ، وزاد في ثقافته الصّحيّة ، وأنّه بذلك يتخلّص من كثير من الأسباب ويجعلها في دائرة السيطرة .

ثمّ قال هذا العالم : « فإنّ ما نقرأه أكثر من كلّ شيء لا يتحقّق منه شيء إلا نادراً ، ومع ذلك فما أكثر ما يتجرّعه المرء من هستريا الأحزان على حاله ومستقبله » .

إنّ أعظم ما يسهم في الحياة الهانئة والعيش الرغيد هو الإيمان بالله تعالى ، به يتحقّق للإنسان كلّ ما يحتاجه ، ويتغلّب على مشاكله ، والأمر الثاني الثقافة التي تتأتّى من خلال العلم والمعرفة للأسباب المؤثّرة سلباً ، فمن أحاط بكثير من الأشياء علماً تخلّص من الألم .

## الرابع: العمل المستمر.

إنّ هذا العامل جدّ هامّ، وقد أكّدت عليه آيات القرآن الكريم، فالحياة الهائلة والعيش الطيب والرغيد يرتبط بالعمل، والقرآن الكريم أكّد في آياتٍ على أهميّة عمل الإنسان الدائم والمستمرّ، بمعنى إشغال وقته بالعمل وعدم العيش في الفراغ، فالفراغ يحدث ألماً؛ وذلك أنّ الإنسان بدلاً من التفكير في تطوير عمله يبدأ التفكير في الجانب الذي ينعكس على وجوديه: المادّي والمعنويّ سلباً.

وقد بلور لنا هذه النقطة بطريقة جميلة أحد العلماء فقال: «لو كانت تلك القوى الجسديّة والفكريّة التي تنعدم بفعل الخوف والقلق والألم والاضطراب بتوهم الحوادث تصرف في الأعمال الإيجابية - أي يقوم من يفكر سلباً بعمل إيجابي - كم كانت ثمر من نتائج إيجابية قيّمة وملفتة للنظر». وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وإبانه فمن يعيش الألم بإمكانه أن يزور مريضاً في المستشفى، ويدعوله بالشفاء، وإذا تمّ ذلك سوف يحدث أثر طيب، وسيكون إيجابياً في تفكيره بزيارته للمرضى والدعاء لهم، وسيتحوّل تفكيره من التفكير السلبيّ إلى تفكير إيجابي، أمّا مساعدة من يحتاج إلى المساعدة، وعمل الخير للآخرين، وقد يعود عليه بنفع ليس بحسابه، ونؤكد هنا على أنّ عمل الخير يحتاج إلى مشقّة وألم، وهذه طبيعة الحياة، غير أنّ الألم الذي يتحمّله أخفّ بكثير من ألمه بالقلق والاكتئاب لو لم يعمل، فالحياة فيها ألم إلاّ أنّه يتاح للمرء السيطرة عليه.

## نتائج واقعيّة.

الألم والحزن والقلق كلّ ذلك يمكن أن يكون تحت دائرة السيطرة، من يساعد مريضاً قد يتألم إلاّ أنّ ألمه تحت سيطرته، بل يصحب ذلك الألم لذّة لا حدود لها لقيامه بوظيفته، وكذا من يساعد فقيراً سيئ الخلق يتلفظ بألفاظ نابية، فإنّ مساعدته رغم ما يقترن بها من ألم إلاّ أنّه أقلّ بكثير من تركه لمساعدته، والنتيجة هي

أنَّ الإيمان والعلم والثقافة والعمل الدؤوب والمستمرّ عوامل هامة في إضفاء الطمأنينة والسعادة يترتب عليها الحياة الطيبة ، وقد أوضحها القرآن الكريم في آيات متعدّدة .

### عوامل إزالة الخوف السلبيّ :

هناك عوامل متعدّدة لها أبلغ الأثر في إزالة الخوف من لدن الإنسان ، نوجزها في الآتي :

#### الأول : الاستقامة .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، تبين الآية الكريمة عاملين أساسيين لإزالة الخوف السلبيّ من الإنسان ، الأول : الإيمان ف(القول) هنا بمعنى الاعتقاد ، والثاني : الاستقامة ، وهي السير على الصراط المستقيم دون انحرافٍ عنه .

#### الثاني : التسليم لله تعالى .

قال تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، توضّح الآية ما تقدّم من أنّ بعض الآلام لا يستطيع المرء أن يغيّر في الواقع شيئاً وما عليه إلاّ التسليم لله تعالى والرضا بقضائه وقدره ، والعمل بإحسان لنفسه والآخرين ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ . إنّ من يعمل لله تعالى يُدخّر له أضعافاً مضاعفة من الخير في عالمي المادّة والمعنى ، ولا يقتصر الأجر على عالم الآخرة ، بل في الدنيا تنعكس عليه إيجابيات

(١) الأحقاف ٤٦ : ١٣ .

(٢) البقرة ٢ : ١١٢ .

كبيرة، كالذكر الطيب، ومضاعفة المال، والذرية الطيبة، والكثير من أعمال الخير كالصدقة الجارية تجعل عمله لا ينقطع، وكأنه لم يعيش حياة واحدة وإنما حياة متعددة باستمرارها.

### الثالث: الإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، تؤكد الآية على الإيمان بالله تعالى، والإيمان بعالم الآخرة، والعمل الصالح، أي لا يكفي الإيمان دون العمل الصالح، فالأعمال الصالحة تسهم في العيش الطيب والرغيد على المستويين المادّي والمعنوي.

### الرابع: التقوى.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾<sup>(٢)</sup> تبين الآية أهمية المرتبة العالية من الإيمان العملي وهي التقوى، فإذا اقترنت بأفضل العمل الصالح - وهو الإصلاح - تحقق الخير كله. إن معنى ﴿وَأَصْلَحَ﴾ لا يختص بالإصلاح بين اثنين، بل يشمل إصلاح العمل، أي جعل العمل صالحاً، وهو خلاف (أفسد)، أي جعل العمل فاسداً؛ ذلك أنّ الأعمال الصالحة التي تصدر من المرء لها تمام التأثير في الحياة الطيبة والعيش الرغيد.

(١) المائدة ٥ : ٦٩.

(٢) المائدة ٥ : ٣٥.



## القسم الثالث

### السعادة في الاطمئنان المعنوي

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### عوامل تحقيق الاطمئنان :

أوضحنا فيما سبق أنّ أهم ما يحقق للإنسان الأمن والاطمئنان هو الإيمان بالله تعالى ، فهو ركن وثيق يوصل من التجأ إليه شاطئ الإيمان وساحل النجاة ، ولنبين بعض النقاط الأساسية التي لها ارتباط بتحقيق الاطمئنان والأمن النفسي :

### الأولى : التفكير الإيجابي .

يرتبط الاطمئنان بفكر الإنسان ، فالفكر غاية في الأهمية ، والحالة النفسية التي تعترى الإنسان من الاضطراب والقلق والخوف ناشئة من ارتباط فكره بأمر زائلة تؤثر عليه سلباً فتوجب له القلق ، أمّا إذا ارتبط فكره بأمر لها ثبات واستقرار فسوف تحدث له الطمأنينة ، وكلّ امرئ يرتبط بمجموعة من الأفكار تؤثر عليه سلباً تارة وإيجاباً تارة أخرى .

لذا بيّنا في الآيات الأنفة أنّ الإيمان بالله تعالى وبالمعاد ، وبقضاء الله تعالى وقدره ، يعصم الإنسان من الإصابة بالقنوط واليأس فلا يؤثر عليه كابوس الألم

(١) يونس : ١٠ - ٦٢ - ٦٤ .

والقلق؛ لأنَّ إيمانه بالله وبقدرته تعالى يزيل جميع ما يؤثر سلباً في حياته: المادّية والمعنويّة، وإيمانه بالمعاد يفتح له نافذة أمل بزوال كلّ ما يعترّيه من آلام في هذه الحياة الدنيا، وأنَّ نهاية المطاف الخروج إلى عالم فسيح فوق عالم المادّة، وعالم المادّة بما فيه ليس بدائم بل متقلّب، لا ثبات له ولا استقرار، وإذا ركّز الإنسان تفكيره على هذا العالم تأثّر سلباً بتحوّله الدائم والمستمرّ، وعدم صفائه لأحد، فتضيق نفسه ويضطرب. أمّا إذا أدرك حقيقة التحوّل الدائم في عالم المادّة، وكان إدراكه مرتبطاً بالإيمان بالله تعالى، زال عنه ذلك القلق والألم كلياً.

### الثانية: توجيه البلاء إيجابياً.

للبلَاء أهميّة كبيرة، وقد ألمحنا إليها بشيء من الإيضاح، وهي أنّ ما يحدث للإنسان من ابتلاءات في الحياة الدنيا لا بدّ من الالتفات إلى جانبها الإيجابي وعدم التركيز على جانبها السلبي؛ ذلك أنّ كلّ شيء في الحياة الدنيا له جنبتان: جنبّة إيجابيّة وجنبّة سلبيّة، وينبغي للمرء أن لا يحصر نفسه بالجنبّة السلبيّة فالابتلاءات - كالفقر والمرض وفقد الأحبة - لها جنبّة إيجابيّة، وكلّ المصائب التي تصيب الإنسان لها حكمة عندما يُنظر إلى جمالها يرى بها جمال الوجود، قال الشاعر:

أيهذا الشاكي وما بك داء      كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

إذن إذا نظر الإنسان إلى الأشياء من جنبتها الإيجابيّة انعكست على نفسه إشراقاً وأملاً وتفاءلاً، وإذا نظر إليها من جنبتها السلبيّة أثرت على نفسه سلباً، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى الجنبّة الإيجابيّة من البلاء بلازمها فقال عليه السلام: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثَلُ»<sup>(١)</sup>، أي أنّ الله تعالى

(١) الكافي: ٢: ٢٥٢.

يبتلي الأنبياء بالابتلاءات الكبيرة لأنّ البلاء له جنبه إيجابية قادرة على صياغة الإنسان في عالميه : المادّي والمعنويّ ، وإيصاله إلى أوج كماله فيهما .

### البلاء يسهم في سعادة الإنسان .

كي تتّضح هذه النقطة نشير أنّه لا راحة في هذه الحياة الدنيا ولا سعادة تامّة ، وأنّ سعادة الإنسان بوصوله إلى الكمال ، والآلام والابتلاءات التي تعترى الإنسان تؤدّبّه ، فالألم والمرض يسهمان في تأديب الإنسان وقربه إلى الله تعالى ، والنظرة الإيجابية إلى الألم تؤثر إيجاباً على النفس ، وتصلح طبيعة الإنسان ، وترفع حالته المعنويّة ، وتعلّمه الصبر والحلم ، ومن لا يعتريه ألم لا يمكن أن يكون حليماً ولا صبوراً ، بل أنّ الألم ينمّي أسمى الأفكار في الإنسان ، ويعمّق ويوسّع الفكر في شخصيته المعنويّة .

قال هيبير : « إنّ الذي يوسّع أفكار الإنسان ويعمّقها - أي إذا أراد الإنسان أن يعيش فكراً وسعياً وعميقاً ، فإنّ الشيء الذي يحقّق له ذلك ليس العلم ، فإسهام العلم في توسعة الفكر وتعميقه أقلّ بكثير من إسهام ذلك الشيء وليس الكفاءة والفنّ ، ولا العواطف والأحاسيس ، بل إنّ ما يعمّق فكر الإنسان هو الآلام والمحن ، ذلك أنّ العلم يعطي أفقاً واسعاً إلاّ أنّه لا يعطي قدرة على التحمّل والصبر ، ولا قيوداً يستطيع بها أن يستفيد من علمه في الظروف الحالكة .

أمّا الآلام والمحن فتقيّد جماح الأفكار ، وتجعل الإنسان يتعامل مع العلم بحكمة ، ومع الكفاءات التي لديه برويّة ، ومع الأحاسيس والعواطف بعقل ، وعليه فإنّ الشيء الذي يعطينا أعظم هديّة ، ويعمّق فكرنا ويوسعه ، ليس العلم وإنّما الآلام والمحن .»

ثمّ قال هيبير : « إنّ الملك الموكّل بمشاكل الناس ومصائبهم قد خدم البشريّة في هذه الحياة أكثر من الملك الذي جاء لهم بالعلاج والشفاء ، والملك الموكّل

بالتدبير - ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾<sup>(١)</sup> - ما يُحدثه من آلام ومصائب أفضل للإنسان ممّا يحدث من الملك الموكل بالنعمة .

ثمّ أضاف قائلاً: «ولعلّه لهذا نرى العالم مليئاً بالآلام»، قد لا نتفق معه في هذه النقطة، فالناس يختلفون، فمنهم من يحتاج إلى الصحة والغناء ويصلحه ذلك، ومنهم من يصلحه الفقر والمصائب، غير أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى كماله دون الآم ومصائب، ذلك مسأّر عامّ، والضمان الذي يحقّق استقراراً وسياجاً لا يمكن أن يُخترق هو الإيمان .

ولإيضاح ذلك نشير إلى ما قاله (يونغ) وهو من أكابر علماء النفس، قال: «لم نكن نجد بين المصابين بالأمراض النفسيّة - من أصحاب الأعمار من ٣٥ سنة فصاعداً - أحداً لم ترجع مشكلته النفسيّة إلى عوز الإيمان»، أي أنّ كثيراً من الأمراض والآلام والمصائب لا تخف على الإنسان، بل تضغط على أعصابه وتشكّل له عبئاً ثقيلاً بسبب نقص الإيمان، أمّا إذا تعمّق الإيمان خفّ الألم ولم يشكّل عبئاً عليه، واستطاع أن يتعامل معه من جنبته الإيجابية .

ثمّ قال يونغ: «والأفضل أن نقول: إنّ كلّ واحد منهم كان مريضاً بعلّة انعدام معطيات الدين والإيمان - وأردف قائلاً - ولم يعالج ولم يشفّ أي واحد منهم من دون استعادته لإيمانه الديني» .

### الإيمان يُقاوم المصائب .

إذن الإيمان الديني يعطينا القدرة الفائقة التي إذا التجأنا إليها زال كلّ ألم وخوف، وأصبحنا نعيش السكينة والاطمئنان في أحلك الظروف قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) النزعات ٧٩: ٥ .

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ، توضح الآية أنّ من يواجه حرباً ، ويكون بين الحياة الموت ، يتقدّم إلى الموت بثبات ورباطة جأش ، لإيمانه بعالم الآخرة ؛ إذ أنّ كلّ ما يصيبه من بتر لأحد أعضائه ، أو مرضٍ لا يشفى منه طوال حياته ، يستفيد منه في الجانب الإيجابي .

### خصائص أولياء الله .

الآية الكريمة التي بدأنا بها حديثنا تلخّص جميع ما تقدّم : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ ، أوليائه تعالى الذين يلتجئون إليه في الشدّة والرخاء ، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، وذلك أنّهم آمنوا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ تعمّق الإيمان الدينيّ في نفوسهم فأصبح راسخاً فحصلوا على البشري ، عاشوا الارتياح والسرور والاستبشار ، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ، ثمّ وعدهم الله تعالى بذلك دون تبديل ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ ، وأبان تعالى أنّهم حصلوا على أعظم فوز في الحياتين بالراحة النفسيّة ، والاطمئنان باللجوء إلى الله تعالى في كلّ آفات حياتهم ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

### واقع الحياة المطمئنة .

من لديه حالة من الاطمئنان والبشري أفضل ممّن لديه المال الكثير ؛ لأنّ المال قد لا يستفيد منه ، بل قد يهرب من ماله وقصره لألمه وقلقه ، ثمّ يرجع إليه لاضطراب نفسه وعدم استقراره ، أمّا من لديه الإيمان فقد التجأ إلى ركن وثيق وعروة وثقى بإيمانه ، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ، وهو في ابتهاج دائم وطمأنينة .

(١) الفتح ٤٨ : ٤ .

## القسم الرابع

### زيادة الإيمان بالله تعالى من خلال الذكر

قال الله تعالى :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

إن من أهم الركائز الأساسية التي يستند إليها الإنسان في التغلب على إشكاليات الحياة - من الخطوب والمصائب - هو الإيمان بالله تعالى والالتجاء إليه تعالى، ويزداد الإيمان بذكره تعالى، أي أن المؤمن يستطيع أن يفعل جذوة إيمانه بالذكر.

### آثار الذكر:

الذكر هو استشعار عظمة الحق تعالى، وإيقان العبد بأن الله تعالى يحيط به علماً وهو عليه قدير، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْفَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ اللَّهُ عَزَّتْ أَلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَرْزَامِ الْفُتْرَاتِ، عِبَادَةٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلْمُهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ» (٢).

تبيّن هذه الكلمات حقيقة هامة هي أن قلب الإنسان يُران عليه، وجلاءه من الأدران الذكر للحق تعالى، وللذكر آثار متعددة:

#### الأول: جلاء القلوب.

قوله عليه السلام: «جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ»: أي أن الذكر يزيل الأدران عن القلوب.

(١) الرعد ١٣: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ٢١١.

**الثاني : طريق سماع الحقّ .**

قوله ﷺ : « تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ » : أي أنّ الإنسان قد يصاب بصمم فلا يسمع الحقّ ولا يعي الحكمة ، إلاّ أنّه عندما يذكر الله تعالى يزول صممه ، فيسمع الحقّ بعد الوقرة .

**الثالث : يُزيل غشاوة البصر .**

قوله ﷺ : « وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ » نعم ، قد يُعشى البصر بالباطل ، قال تعالى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾<sup>(١)</sup> ، فله عين لا يبصر بها ، بل تنسدّ عليه منافذ الرؤية السليمة ، فإذا ذكر الله تعالى أبصر الحقّ بعد العشوة .

**الرابع : يستأصل العناد .**

قوله ﷺ : « وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ » إنّ كبرياء الإنسان وعناده يمنعانه النظرة السليمة للأشياء ، ويصعب على غير المؤمن أن ينقاد إلى الحقّ وأن يتّبع الصواب ، بل يطبع أهواءه وتتغلب عليه نزواته ، ويبين الإمام ﷺ أنّ رياضة الذكر تخفّف أو تزيل الكبرياء والمعاندة ، فتنقاد النفس بعد المعاندة ، وتتبع الحقّ بنحو طبيعيّ ، ثمّ أبان ﷺ أنّ هذه الخصيصة هي من حكم الله تعالى التي أودعها قلوب بعض عباده ، أي أنّه تعالى جعل هذه الخصيصة لبعض عباده الصالحين .

**الخامس : يُوصل إلى مناجاة الله .**

قوله ﷺ : « وَمَا بَرِحَ اللَّهُ عَزَّتْ أَلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ » أي في زمان بعد زمان ، البرهة هي المدّة الزمنيّة المحدّدة .

« وَفِي أَوْزَانِ الْفَتْرَاتِ » : أي في الأزمان التي يطغى فيها الناس ويبتعدون عن

(١) الأعراف ٧ : ١٧٩ .

الحقّ تعالى ، فهناك أناس في هذه الفترات جعلهم الله من أوليائه ومن أهل ذكره ، والتوجّه إليه تعالى .

« عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ » : فكرهم يرى الله تعالى حاضراً وناظراً ، وكأنّ الله تعالى يوحى إليهم ويبيّن لهم الصواب من الخطأ .

### التسليم لأمر الله في المصائب .

ثمّ بين الإمام عليه السلام مطلباً آخر أشرنا إليه بشيء من الاقتضاب ، ونوضّحه هنا لما يستحقّه ، وهو أنّه بالإضافة إلى الإيمان بالله تعالى والذكر ، فإنّ المرء يحتاج إلى التسليم لأمره خصوصاً في مدلهّمات ( الخطوب والبلايا ) التي يصاب بها المرء وتغلق عليه الكثير من منافذ تفكيره ، فإنّ التسليم لأمره تعالى بلسمّ شافٍ ؛ لأنّ حقيقة التسليم لأمر الله تعالى في جوهره يرجع إلى الإيمان العميق بقدره الله تعالى على الأشياء وحكمته المتقنة في التصرف فيها ، والمسلم يرى أنّ الله تعالى مهيمن على جميع جزئيات عالم الوجود ، ومتصرّف فيها ، وستعود إليه ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١) .

إنّ الحول والطول والقوّة له تعالى ، ( لا حول ولا قوّة إلاّ بالله بالعظيم ) ، وهو تعالى يتصرّف في الأشياء بموازين دقيقة من الحكمة المتقنة التي قد لا يعي الإنسان وجه الحكمة فيها أبان صدورها ، غير أنّها ستتجلّى له بعد حين .

### آثار الحكمة المتقنة للأشياء .

إذا علم المرء بأنّ الله تعالى محيط بقدرته على الأشياء ، وأنّه يتصرّف فيها وفق موازين دقيقة من الحكمة المتقنة ، سلّم أمره إليه تعالى ، وانعكس ذلك على واقعه ،

(١) البقرة ٢: ١٥٦ .



أي تنعكس الحكمة المتقنة التي يؤمن بها الإنسان فيما يحدث في الأمور الكونية إيجاباً ، كما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام عندما دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري فسأله عليه السلام عن حاله ، فقال : « أَنَا فِي حَالَةٍ أَحِبُّ فِيهَا الشَّيْخُوخَةَ عَلَى الشَّبَابِ ، وَالْمَرَضَ عَلَى الصِّحَّةِ ، وَالْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ ، فَقَالَ عليه السلام : أَمَّا أَنَا - يَا جَابِرُ - فَإِنُ جَعَلَنِي اللَّهُ شَيْخاً أَحِبُّ الشَّيْخُوخَةَ ، وَإِنُ جَعَلَنِي شَاباً أَحِبُّ الشَّيْبُوبَةَ ، وَإِنُ أَمْرَضَنِي أَحِبُّ الْمَرَضَ ، وَإِنُ شَفَانِي أَحِبُّ الشُّفَاءَ وَالصِّحَّةَ ، وَإِنُ أَمَاتَنِي أَحِبُّ الْمَوْتَ ، وَإِنُ أَبْقَانِي أَحِبُّ الْبَقَاءَ »<sup>(١)</sup> : أي أننا آل رسول الله صلى الله عليه وآله لسنا كذلك ، فما ارتضاه الله لنا من السقم والسلامة ، والشباب والهرم ، والموت والحياة ، قبلناه ، وصبرنا على مصائب الحياة ، وسلمنا لأمر الله تعالى ، أي أن المؤمن يرضى بقضائه وقدره ، وما يرتضيه ويختاره الله تعالى هو الصالح ، لمعرفته الدقيقة أن جزئيات الكون تسير على وفق نظام دقيق لا يشوبه خطأ ، بل يسير على وفق حكمته تعالى .

### التسليم في الرسالات السماوية .

وليس التسليم لأمر الله بمقصود على فكرنا الإسلامي ، بل في كل رسالات السماء ، لدى المسيحيين واليهود بعض من بقايا رسالات السماء الصحيحة التي تبين هذا المعنى الدقيق ، لذا نرى كلمة جميلة قالها (برتراند رسل) فيلسوف ومفكر بريطاني في هذا الصدد هي : « إنَّ لحالة التسليم والرضا أثراً في تحقيق السعادة ليس بأقل من أهمية السعي والعمل ، كما أن الإنسان يحتاج إلى أن يسعى ويعمل كادحاً ليحقق جزءاً من سعادته ، كذلك أيضاً يحتاج إلى التسليم لأمر الله تعالى والرضا بقضائه » ، أي أنه يحتاج لشيئين أساسيين هما : الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره ، والسعي الدؤوب لتحقيق له السعادة . نعم ، إن الرضا ليس بأقل

(١) مسكن الفؤاد : ٨٨ .

من أهميّة السعي والعمل .

### الإنسان بين التسليم لله واليأس .

العاقل حين لا يبقى بينه وبين موته ، أو الوقوع في مصيبة ، أو حوادث مُرّة ، عليه أن يعلم أن كلّ شيء في حالة تغير ، وإذا استنفذ كلّ جهوده وقدراته على تغيير ما يحدث وباءت بالفشل فليس أمامه إلا التسليم لأمر الله تعالى ، والرضا بقضائه وقدره ، كي لا يصاب باليأس والقنوط ، إنّ هذا الكلام يستند إلى حكمة كما مرّ عن إمامنا الباقر عليه السلام ، وهو موجود في كلّ رسالات السماء ، فكلّ الأنبياء والرسل أخبروا عن الحقّ تعالى بأهميّة هذه الحكمة ، لذا على العاقل حين لا يبقى لديه أمام الحوادث المرّة خروجاً من الأزمة أن لا يتلف عمره بالفكر في التعاسة والشقاء الذي تعرض له ، بل يستنفذ طاقاته بما يعود عليه بالنفع .

### موازنة الإنسان في الحياة .

هناك أشياء لا يستطيع الإنسان أن يتغلّب عليها كالمرض والهزم والمصائب ، وهي سنّة الحياة ، فلا يمكن التغلّب عليها ، غير أنّ العسر لا يمكن أن يتغلّب على اليسر ، قال عليه السلام : «لن يغلب عسر يسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿﴾» (١) ، لا ينبغي أن يتلف المرء عمره بالفكر في التعاسة والشقاء الذي لا بدّ منه ، بل حتّى في الأمور غير المرغوب فيها الممكنة التغيير ، إذا كان ما يقتضيه دفعها من الوقت والجهد يعوقه عن الهدف الأسمى استسلم للأمر الواقع ، حتّى في الأمور التي بإمكانه التغلّب عليها ، ولا ينبغي له أن يشغل وقته وفكره في تعاستها ، بل عليه أن يفكر في المستقبل ، ويحاول أن يجعله مشرقاً مضيئاً ، ويُغيّر واقعه إلى

(١) الشرح ٩٤ : ٥ و ٦ .

(٢) مجمع البيان : ١٠ : ٣٩٠ . كنز العمال : ٢ : ١٤ ، الرقم ٢٩٤٦ .

ما هو الأحسن ، ويتطلب هذا معنى غاية في الأهمية ، هو ما يسمّى بالرؤية الواقعية ، ويسمّيه علماء الطبّ النفسي بقانون الحياة الهائنة ، ومعرفة ذلك باستيعاب أنّ الحياة فيها آمال طويلة لا تنتهي ، وإذا ربط الإنسان نفسه بهذه الآمال الطويلة والعريضة سوف تشدّه إليها بنحو لا يتمكّن من الانفكاك منها ، ولن يستطيع حينئذٍ التغلّب على هذه الآمال العريضة ، بل سيزداد حرصاً وتشبّثاً بها بنحو أكبر .

غير أنّ الإسلام والأديان السماوية والحكماء وضعوا قاعدة جميلة للتخلّص من تغلّب هذا الماء المالح الذي كلّما شرب منه الإنسان ازداد عطشاً ، وخلاصة القاعدة أنّ يتعلّم القناعة ، فهي كنز لا ينفد ولا يفنى ، وإذا علّم نفسه القناعة قلّ حرصه ، واستفاد من قواه في تحصيل ما يمكن تحصيله ، ويتأتّى ذلك بالعلم بأنّ الحكمة اقتضت بأنّ الإنسان في كثير من الأحيان لن يستطيع أن يغيّر ما عليه الواقع ، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « لَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ »<sup>(١)</sup> ، فلا شيء يغني الإنسان مثل أن يقنع بما قسمه الله تعالى له ، ولا ينشد وراء تلك الآمال العراض التي كلّما ازداد تشبّثاً بها جرّته إليها ، وازداد تفكيره ألماً على فراق ما يتوق إليه .

إنّ العلم بما قسمه الله تعالى هو الخير قناعة ، « لَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ » : أي أنّ تسليم الأمر لله تعالى ، والعلم أنّ ما قسمه الله تعالى من رزق هو الصلاح والفلاح .

ثمّ قال الإمام عليه السلام : « وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةَ » : أي أنّ الذي

(١) قال الإمام عليه السلام : « لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ . وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةَ ، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ . وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ ، وَمَطِيئَةُ التَّعَبِ ، وَالْحِرْصُ وَالْكَبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الدُّنُوبِ ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ مَسَاوِيءِ الْعُيُوبِ » . نهج البلاغة : ٤ : ٨٧ .

يرضى بالقليل ويسعى للكثير لا من أجل ذاته بل من أجل الآخرين ؛ لأنّ السعي للكثير من أجل الذات لن يجعله يهنأ بالعيش الرغيد ، والحكمة التي يتحقّق بها الهناء هي النظرة الواقعيّة للأشياء الحاصلة بالقناعة التي تُسعد حاله فيرضى بما قسمه الله تعالى ، ولا يتشبّث بالأمال الطويلة التي تزيده ألماً وقلقاً واكتئاباً .

## القسم الخامس

### معالجة الآلام النفسيّة في الرؤية الإسلاميّة

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

### ذكر الله تعالى يرسّخ الإيمان .

ذكرنا فيما سبق بعض ما يحقّق للمرء الاطمئنان ويبعده عن القلق والاكتئاب والوساوس التي تجعله يدور حول نفسه .

وأوضحنا أنّ من الأمور الهامّة الارتباط الوثيق بالحقّ تعالى ، ورسوخ الإيمان الحاصل بالاستمرار بالذّكر لله تعالى - باعتبار أنّ الذّكر جذوة للإيمان - يجدّد إيمان المؤمن ويزيده رسوخاً .

### طرق معالجة الآلام النفسيّة :

لقد أعطى الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام تعليمات هامّة إذا طبّقت من لدن الإنسان ارتقى بها سلم الكمال ، واستطاع أن يُبعد عن نفسه الكثير من الآلام النفسيّة التي

(١) الرعد ١٣ : ٢٨ .

تسلبه أمنه واطمئنانه ، ومن جملة تلك الأمور :

### الأول : التخلص من سلبات الماضي .

الاهتمام بالحاضر ، فمن أراد أن يتخلص من القلق والاكتئاب والوساوس التي تؤثر عليه سلباً عليه أن يهتم بالساعة التي هو فيها ، وأن يشتغل بالأعمال الإيجابية في وقته الآني لتأثير العمل الإيجابي في تخليص الإنسان من الأضرار والآثار السلبية للماضي .

### الثاني : استثمار الحاضر لإبجاح المستقبل .

جعل المستقبل يزداد إشراقاً باعتبار أن مستقبل الإنسان مرهون بحاضره ، والحاضر هو استثمار ناجح للمستقبل ، وكلما استثمر الإنسان في الحاضر كلما ازداد تألقاً ونجاحاً في المستقبل ، جاء عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله : « اصْبِرُوا عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ ، فَمَا مَضَى مِنْهُ فَلَا تَجِدُ لَهُ أَلَمًا وَلَا سُرُورًا ، وَمَا لَمْ يَجِئْ فَلَا تَدْرِي مَا هُوَ ، وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَتُكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَاصْبِرْ فِيهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاصْبِرْ فِيهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ »<sup>(١)</sup> ، وفي هذا الحديث القيم توجيهات هامة :

### الأول : الاستفادة من الوقت .

إن التقسيم الثلاثي للوقت والزمان إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل جد هام لمن يعيش قلقاً وألماً نفسياً ، فهذه القسمة الثلاثية تعلمه أن ما مضى من الوقت لا يوجد له ألم لأنه ذهب من بين يديه ، فلا يستطيع أن يغير ما وقع عن ما وقع ، فما مضى انتهى أمره ، ولن تجد له ألماً ولا سروراً ، وأما المستقبل فهو بيد الله تعالى ، والذي بيد الإنسان بنحو أكبر هو الحاضر ، ويستطيع بذل قصارى الجهد في الساعة التي

(١) الكافي : ٢ : ٤٥٤ ، الحديث ٤ .

هو فيها، فإذا بذل قصارى الجهد في زمانه الحاضر تخلّص من آلام الماضي وجعل المستقبل وضاً مشرقاً، والإمام عليه السلام نبّه على بعض الحيثيات الهامة، منها أهمية الصبر على طاعة الله تعالى بمعنى أن يشتغل الإنسان في الساعة التي هو فيها بطاعة الله تعالى بكلّ أمر يؤدّي به إلى القرب من الحقّ تعالى، فيصبر فيها على طاعة الله تعالى، وينهى نفسه أن تُسوّل له اقتراح المعصية، بل يتدرّع بالصبر ويأخذه كطريق يبعده عن معصية الله تعالى، ويبين الإمام عليه السلام في هذا الأمر أنه لا ينبغي للإنسان أن يدور حول نفسه في حلقة مفرغة، وأن لا يهتمّ بالأمر التي حدثت في الماضي أو يشغل نفسه بالمستقبل، بل عليه أن يُركّز كلّ اهتمامه في الساعة التي يعيشها وفي وقته الحاضر، وأن يستثمر هذه الساعة بالأعمال الإيجابية التي تؤثر على منحيي الماضي والمستقبل.

### الثاني: الاستفادة من القدرات العقلية.

العقل في اللغة مأخوذ من الربط، يقال: عقلت البعير أي ربطته، والعاقل يربط الأفكار السلبية ويقيدّها لئلا تؤثر عليه، ويربط الأفكار الإيجابية ليستفيد منها في كلّ أموره، وقد دعا الأئمة عليهم السلام الناس كافة أن يستفيدوا من طاقاتهم وقدراتهم العقلية لتلافي ما يحدث لهم من آلام ومصائب تؤثر عليهم سلباً، وتبقيهم في دائرة الفكر السلبي فلا يستطيعون أن يتخلّصوا من ذلك، فنبّهوا عليهم السلام على أمور ذات فائدة تخلّص من يأخذ بها من القلق والحزن والكآبة، قال الإمام الحسين عليه السلام: «إذا وردت ملمة قمع الحزن بالحزم، وفرغ العقل للاحتيال»<sup>(١)</sup> ينبّه الإمام عليه السلام على أمور هامة:

#### أولاً: التدرّع بالتحمّل والصبر.

إذ لا يمكن للمرء في هذه الدنيا أن يتخلّص من الابتلاءات، لكنّ العاقل

(١) شرح إحقاق الحقّ: ١٩: ٤٢٢.

إذا أصابته البليّة تدرّع بالتحمّل وتصبر ثم صبر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾<sup>(١)</sup>، فالذي لا يستطيع أن يصبر يتصبر، ومن لا يقدر أن يحتمل يتحمّل إلى أن يصل إلى درجة الاحتمال، ويصبح ما أصابه طبيعياً، ثم «قمع الحزن بالحزم»: أي يكون حازماً في التغلب على الأحزان والغموم التي تعتربه، ثم يستنفد من كلّ طاقاته العقلية للاحتيال لأي للخلاص ممّا ألم به، فيبدأ بالاشتغال فيما يعود عليه بالإيجاب، فلا تكون الأفكار السلبية مسيطرة عليه فتأخذ قدراته، بل يجعل كلّ قدراته تعمل إيجاباً فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وأخراه، وبذلك يتخلص من الآلام التي اقترنت به والبلاء الذي أصابه، وهذه حكمة من أرقى الحكم في التغلب على الحزن والألم وإزالة القلق عن الإنسان.

### ثانياً: الاستفادة من تجارب الآخرين.

إنّ بعض الناس يبذل قصارى جهده ولا يصل إلى نتيجة فيبقى مصاباً بالقلق، والاكتئاب حزيناً، وعندئذٍ فإنّ عليه أن يذهب إلى عاقل مجرب لديه حكمة فيستعين به على أمره، ويأخذ بعضاً من تجاربه، وهو بإعلامه أخيه خفف عن نفسه وأخذ الحكمة والتجربة، واستطاع أن يتخلص ممّا ألم به، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا ضَاقَ أَحَدُكُمْ فَلْيُعَلِّمِ أَخَاهُ وَلَا يُعِينِ عَلَى نَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>: أي أنّ من امتلأ غمّاً ولم يستطع أن يُنْفَس عن نفسه يستطيع أن يتخلص بأن يذهب إلى عاقل حصيف لديه تجربة وحنكة اختزنها من مرور الحياة، فاستفاد منها لنفسه، واستطاع أن يفيد الآخرين، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ مُؤْمِنٌ عَلَى مُؤْمِنٍ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعَةً أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً»<sup>(٣)</sup> ما أفاده عليه السلام أكد عليه علماء

(١) آل عمران ٣: ٢٠٠.

(٢) الكافي: ٤: ٤٩، الحديث ١٣.

(٣) بحار الأنوار: ٧١: ٣١٢.

النفس في العصر الحديث ، فأبانوا أنّ الألم النفسي إذا ألمّ بالإنسان ، ولم يستطع تحمّله فعليه أن يفتح العقلاء بأسراره وأن لا يحتفظ بها لنفسه لئلا تزيد قلقاً واكتئاباً لا يستطيع أن يتخلّص منه ، بل قد يصاب بأمراض عضويّة لذلك .

### الثالث: إدخال السرور على الغير .

للأعمال ارتباط ببعضها ، فمن يلتقي بحزين يحزن ، ومن يلتقي بمسرور جذلاً ، يؤثر عليه سروره ويفرحه ، والأمر كذلك فمن يدخل السرور على الآخرين يفيد ذلك في التغلب على أحزانه ، وإزالة قلقه واكتابه ومشاكله النفسيّة ، وقد أبانت الروايات ذلك ، قال المصطفى ﷺ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُورٌ يُدْخِلُهُ مُؤْمِنٌ عَلَى مُؤْمِنٍ ، يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعَةٌ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً »<sup>(١)</sup> أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مؤمن يطرد عنه جوعه ويكشف عنه كربة 03} ، فتوسعة الرزق على من قُتِرَ عليه ، وكشف الكرب عن أصابه بلاء ، يجلبان سروراً وفرحاً ، ويزيلان ألماً وقلقاً ، والمهم أن يقوم الإنسان بإزالة الهمّ والغمّ عن أخيه ، وبهذا يكون مصداقاً للبركة فيجري الخير على يديه للناس ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فسرت الآية المباركة بـ (نفاعاً) ينفع الآخرين في أمور حياتهم ويسعى بالنعف لهم ، ومن يفعل ذلك يلقي خيري الدنيا والآخرة .

### الرابع: السعي في حوائج المؤمنين .

السعي في قضاء حوائج المؤمنين هو مصداق آخر للبركة والنعف من جهة ، وبه يتحقّق الاطمئنان النفسي ، وهذا ما أوضحه بجلاء إمامنا الكاظم عليه السلام في قوله : « إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فِي الْأَرْضِ يَسْعَوْنَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمْ الْأَمْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٣)</sup> ،

(١) بحار الأنور: ٧١: ٣١٢ ، الحديث ٦٩ .

(٢) مريم ١٩ : ٣١ .

(٣) مصادقة الإخوان : ٧٠ .



فالآمنون يوم القيامة هم من لديهم أمن واطمئنان نفسي في الدنيا، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (١) ، هذه طرق تجلب السعادة وردت في بعض آي القرآن الكريم وجاءت عن النبي ﷺ وأكد عليها الأئمة عليهم السلام .

## القسم السادس

### التعاون في إطار العمل الجماعي والفردى

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ﴾ (٢)

صدق الله العلي العظيم

### العمل الجماعي .

استعرضنا بعض التوجيهات التي أفادها النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام التي توصل الإنسان إلى الكمال ، وتخلصه من القلق والاكتئاب والأفكار التي تسيطر عليه فتجعله يدور في حلقة مفرغة حول نفسه ، وتؤثر عليه سلباً . وقد أشرنا باقتضاب إلى زاوية هامة لها تأثيرها الواسع ، إلا أننا بيناها ضمن إطار التعاون ، فكون الإنسان يعمل أمر هام إلا أن العمل ضمن مجموعة كجزء منها له أهميته الكبيرة ، ومعنى ذلك ألا ينفرد الإنسان بالعمل وحده ، وإنما يكون مع مجموعة يتعاون معها للوصول إلى الخير ، وتحقيق الهدف .

(١) الفجر ٨٩ : ٢٧ و ٢٨ .

(٢) المائدة ٥ : ٢ .

## إيجابيات العمل الجماعي:

التعاون ضمن مجموعة له إيجابيات كثيرة ، نستعرض بعضها:

### الأولى: التعاون الجماعي يحقق الانجازات.

للتعاون أهمية بين العلماء في كتبهم ؛ وذلك أن الإنسان اجتماعي بطبعه ؛ لا يتمكن أن يعيش بمفرده وإنما يسد حاجاته في ضمن من يعيش معه ، وقوانين التقدم ترتبط ارتباطاً وثيقاً وكبيراً بالعمل في إطار مجاميع ، فلا يتقدم الإنسان تقدماً كبيراً وواسعاً إذا كان يعمل بمفرده ، سواء في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو أي مجال من المجالات الأخرى ، فكل المجالات إذا تكاتفت الجهود فيها تحققت إنجازات ، فالإنجاز الكبير يرتبط بعمل مجموعة من الناس ، أما إذا عمل الإنسان بمفرده ففي الأعم الأغلب تكون إنجازاته بسيطة ومحدودة ، بل قد تتلاشى وتنتهي .

إذن العمل له أهميته غير أن العمل مع فريق وجماعة له أهمية أكبر .

### الثانية: العمل الجماعي يفعل الطاقات.

بيننا أهمية العمل في جعل طاقات الإنسان وقدراته تصب في المجال الإيجابي ونركز هنا على العمل في إطار مجموعة من الناس ، فقد بين النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت أهمية ذلك في طائفة من الأحاديث والروايات التي وردت عنهم ، بل بلور ﷺ ذلك عملياً ، أي علم الناس كيف ينبغي أن يعملوا ، وأن يتعاونوا للحصول على الانجاز بنحو أسرع ، والوصول إلى النتائج بنحو أتم وأدق .

### الثالثة: العمل الجماعي موصل للنتائج الباهرة.

يحقق التعاون في أي مفردة من مفردات الحياة إنجازاً في تلك المفردة ،

وهذه سنّة من السنن الكونيّة أبانها الإسلام في إشارات وتصريحات ، فالبركة والخير والنفع لمن يعمل في ضمن مجموعة من الناس ، ومن يريد أن يتقدّم في مجال اجتماعي أو ثقافي عليه أن يعمل مع آخرين وأن لا يعمل وحده ، بل ضمن مجموعة من الناس ليصل إلى نتائج باهرة وعظيمة .

### سليّات العمل الفرديّ :

إذا كانت هناك إيجابيات كبيرة للتعاون الجماعيّ فهناك سليّات للعمل الفرديّ ، نلمح إلى بعضها :

#### الأولى : لا نتائج موصلة للعمل الفرديّ .

من يعمل بمفرده يملّ ، وقد يصاب بالسأم والاكتئاب ، بل يحسّ أنّه لا يتوصّل إلى نتائج ، مع أنّه عمل مدّة طويلة ، أمّا من يعمل كجزء من مجموعة ففي الأعم الأغلب لا يحسّ بالتعب ، وإنّما يعضد بعض أفراد المجموعة بعضهم الآخر ، أي أنّ كلّاً منهم يسهم في رفع الملل والسأم عن الآخر في ضمن الدائرة التي يعملون فيها وهذه مسألة جدّ هامة .

#### الثانية : العمل الفرديّ يعتريه النقص .

إنّ العمل الفرديّ يشاب بالنقص ، ولعلّ هذا آتٍ من السأم والملل ، أمّا من يعمل في ضوء مجموعة يجد أنّ العمل يتكامل ؛ وذلك أنّ الإنسان خلق فقير محتاج في طبيعته ، ولدينا تعبير يتداول في الأحساء ( الكامل وجه الله تعالى ) وهي حكمة فيها إشارة جميلة هي أنّ الكمال المطلق لله تعالى ، أمّا بقيّة الخلق فهو فقير ولا يستغني الإنسان ولا يصل إلى درجة من الكمال إلاّ بجهود الآخرين وخبراتهم ؛ إذ الآخرون يلتفتون إلى جهات النقص والعيب في العمل ، ويكمل ويكمّل بعضهم بعضهم الآخر ، وهذه حيثيّة جدّ هامة .

### الثالثة: عدم استمرارية العمل الفردي.

أن من يعمل وحده ينقطع عمله ولا يستمر، أما من يعمل ضمن مجموعة فيستمر عمله ويدوم، ولذا ترى الأحزاب تنجح وتصل إلى بعض ما تبتغيه؛ إذ العمل لا يقوم على فرد وإنما يقوم على مجموعة من الناس، والإسلام دعا الناس كافة إلى العمل بالتعاون مع الجميع ليس في المجال السياسي كما تقوم به الأحزاب للوصول إلى مآربها في المجال الدنيوي، وإنما أعطى قاعدة عامة هي التعاون في كل طرق الخير للحصول على المآرب.

### القرآن والعمل الجماعي.

وقد أوضح القرآن الكريم التعاون، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(١)</sup>، نلاحظ أن التعبير القرآني عن عمل صالح في ضمن مجموعة من الناس، وبيان أن بعضهم يوصي بعضهم الآخر، كما أن الآية الكريمة التي بدأنا بها البحث - ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٢)</sup> - ليس خطابها بمقصود على الفرد بل يشمل مجاميع من الناس؛ إذ الإنجازات الكبيرة تتحقق بالتعاون الجماعي، كما أن الهدم يتحقق بذلك أيضاً بنحو أسرع وأكبر.

### العمل الجماعي في أحاديث النبي وأهل البيت.

هناك أحاديث في هذا المجال نشير إلى بعضها، منها ما اشتهر عنه صلى الله عليه وآله «أَنَّهُ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِذَبْحِ شَاةٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: عَلَيَّ ذَبْحُهَا، وَقَالَ الْآخَرُ:

(١) سورة العصر: ١٠٣.

(٢) المائدة: ٥: ٢.

عَلَيَّ سَلْخُهَا ، وَقَالَ الْآخَرُ : عَلَيَّ طَبْخُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَلَيَّ أَنْ أَلْقَطَ لَكُمْ الْحَطَبَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَتَّعَبَنَّ - بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا - أَنْتَ ، نَحْنُ نَكْفِيكَ . قَالَ ﷺ : عَرَفْتُ أَنْكُمْ تَكْفُونِي ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا كَانَ مَعَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَنْفَرِدَ مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَقَامَ ﷺ يَلْقُطُ الْحَطَبَ لَهُمْ<sup>(١)</sup> ، فعمله غاية في الأهمية ويريد ﷺ أن ينبه على العمل في ضمن مجموعة ، وأن لا يتمييز بعضها عليها ، ولا يرفع شأنه عنها ، بل ينبغي أن تنصهر جهود الجميع في تحقيق الإنجاز بنحو سريع و متقن ، وقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في هذا .

### البركة في العمل الجماعي .

تبيّن طائفة من الأحاديث الأهميّة الكبيرة في هذا المجال تلميحاً ، كالحديث المفسّر لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾<sup>(٢)</sup> بالنفّاع ، أي نفّاعاً للناس في جعلهم يصلون إلى مآربهم ويحقّقون مقاصدهم .

### نفع الناس في العمل الجماعي .

وبيّن حديث آخر أحبّ الناس إلى الله تعالى : « سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ »<sup>(٣)</sup> : أي أنّ الأحبّ والأقرب إلى الله تعالى هو الأنفع ، والأنفع لا يكون إلا بالعمل مع جماعة ليس هذا فحسب ، بل أنّه ﷺ شجّب من لا يهتمّ بالعمل الجماعي ، ولا يكون ضمن مجموعة في الوصول إلى النتائج ، وبيّن بعض الأحاديث بأنّ العمل الفرديّ نفعه محدود في الأعمّ الأغلب ، وقد يقتصر على صاحبه أو على دائرة بسيطة .

(١) مكارم الأخلاق : ٢٥١ و ٢٥٢ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) الكافي : ٢ : ١٦٤ .

## روح المسؤولية في العمل الجماعي .

حضّ الشارع على الاهتمام بالعمل للجميع ، قال : « مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ » : أي من لا يفكر في أمور المسلمين الاجتماعية والثقافية وغيرهما ، ولا يتعاون مع غيره في الوصول إلى النتائج ، يشاب عمله بالنقص ، ومن رأى نقصاً ونُبه إليه عليه أن يبادر لسدّه .

ثم قال ﷺ : « وَمَنْ يَسْمَعُ رَجُلًا يُنَادِي : يَا لِمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ »<sup>(١)</sup> .  
أخرج النبي ﷺ من الإسلام من لا يتعاون مع الآخرين ويسعفهم .

## أسباب عدم إنتاجية العمل الجماعي .

قد يعمل بعض الناس ضمن مجموعة ويلحظ قصد القرية إلى الله تعالى في عمله ، غير أنه لا يحصل على نتائج ، وهناك أسباب متعددة لذلك ننبه على بعضها :  
أن من يعمل ، سواء كان بمفرده أو ضمن مجموعة ، لا ينبغي أن يستعجل في قطف ثمار عمله ، بل عليه أن يرجئ قطف الثمار ، وأن لا ينظر إلى مكافئة الغير ، بل إلى فضل الله تعالى ، فإرجاء قطف الثمار وطلب الأجر من الله تعالى عاملان هامان لمباركة العمل والوصول إلى النتيجة ، ورفع السأم والحزن ، ومن لا يرى لعمله نتيجة عليه أن يلتفت إلى هذين العاملين ولا يحزن ، وسوف يرى الفائدة في أعماله .

## مظاهر العمل الجماعي في الإسلام :

هناك مظاهر وصور متعددة للتعاون الجماعي الذي يعكس روح الترابط والإخاء ، نجدتها متجلية في الإسلام من خلال الترغيب في عمل الخير ، وذلك بالتركيز على السلوكيات التالية :

(١) بحار الأنوار : ٧١ : ٣٣٩ .

## الأول: فعل الخير للآخرين.

نَبَّهْنَا الْأُمَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ الْإِمَامُ السَّجَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُوصِي أَحَدَ أَبْنَائِهِ : « أَفْعَلِ الْخَيْرَ إِلَى كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْكَ » : كَلَّ النَّاسَ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى خَيْرٍ وَإِلَى عَمَلٍ طَيِّبٍ مِنْكَ أَفْعَلِ لَهُمُ الْخَيْرَ ، « فَإِنْ كَانَ أَهْلُهُ فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلُهُ »<sup>(١)</sup> : يَبَيِّنُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُطْلَباً جَمِيعاً هُوَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصْنَعَ مِنْ نَفْسِهِ نَفْساً طَيِّبَةً خَيْرَةً تَكُونُ مُصَدِّراً لِلْخَيْرِ إِلَى الْجَمِيعِ .

## الثاني: التنافس في المكارم.

أَعْطَى الْإِمَامُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوْجِيهَاتٍ جَمِيلَةً فِي هَذَا الْمَجَالِ فِي ضَمَنِ الْإِطَارِ الْجَمَاعِيِّ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ »<sup>(٢)</sup> : لِلخَطَابِ هُنَا مَدْلُولَانِ :  
**الأول** : يَشْمَلُ الْفَرْدَ فَعَلِيهِ أَنْ يَنَافِسَ فِي الْمَكَارِمِ ، وَيَحْسَنُ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، وَيَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيَصِلُ مِنْ قِطْعِهِ .

**الثاني** : أَنَّ الْخَطَابَ لَجَمَاعَةٍ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ضَمَّنَ جَمَاعَةٍ .

**الثالث** : التَّسَابُقُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ .

(١) بحار الأنوار: ٧٥: ١٤١، عن تحف العقول: ٢٨٢.

(٢) خطب الإمام الحسين عليه السلام فقال: « أَيُّهَا النَّاسُ ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعَجَلُوا ، وَآكَسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا ، فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ صَنِيعَةٌ لَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللَّهُ لَهُ بِمَكَافَاتِهِ ، فَإِنَّهُ أَجْرُلُ عَطَاءً ، وَأَعْظَمُ أَجْرًا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَحُورَ نِقْمًا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا ، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا ، فَلَوْ رَأَيْتُمْ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللَّؤْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجًا مُشَوَّهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ ، وَتَغْضُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ » . بحار الأنوار: ٧٥: ١٢١، عن كشف الغمّة: ٢: ٢٩

ثم قال ﷺ: «وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعَجَلُوا»: أي من عمل معروفاً عليه أن لا يرتجي نتيجه من لدن الناس ، وأن لا يستعجل ، بل يعلم أنّ الفضل بيد الله تعالى ، بيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، هو الذي يعطي ويثيب ، وهو الذي يسخر العالم في خدمة من أحسن عملاً ، ومن كان من المحسنين لم يعجل «لَمْ تَعَجَلُوا» ينبه الإمام ﷺ على أن من يعمل الخير لله تعالى لا يستعجل ثماره .

**الرابع: إسداء الخدمات للناس .**

ثم قال ﷺ: «وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ»: أي أن من أراد أن تحمد أفعاله عليه أن يُنجح طلبه الغير بأن يكون عاملاً مساعداً في نُجْح طلبته .  
«وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ»: أن لا يماطل ذلك . أن بعض الناس إذا احتاج الآخرون إليه ضمن جماعة أو إطار فردي ، ماطل ولم يقض حوائجهم ، وكأنه لم يلتفت إلى قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (١) . إذن عليه المسارعة إلى الخيرات لئلا يكتسب الذم بالمطل «وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا» .

**الخامس: طلب المكافئة من الله .**

ثم قال ﷺ: «فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ صَنِيعَةٌ لَهُ رَأَىٰ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ»: أي من قَدَّم خيراً للآخرين ، ورأى أن الآخرين لا يستطيعون أن يقدموا له مجازاة ، فليعلم أن الله تعالى هو المكافئ يعطي ويدخر الكثير .

**السادس: قضاء حوائج الناس .**

ثم بين ﷺ مطلباً في غاية الأهمية فقال: «وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَمْلُؤُوا النِّعَمَ فَتَحْوَرَّ نِقْمًا»: حوائج الآخرين من ذوي النقص والعوز

(١) آل عمران ٣: ١٣٣ .



نعمة للقادر على الإسهام في رفع ذلك العوز، وسدّ ذلك النقص، إنّها نعمة أنعمها الله تعالى عليه وسخّرها له، ليعطيه خيراً في عالمي الدنيا والآخرة.

### الحذر من الانتقام الإلهي.

ثمّ نبّه الإمام عليه السلام إلى مطلب جدّ هامّ «فَلَا تَمَلُّوا النَّعَمَ»: فمن أسهم وتقدّم إلى الأمام بمفرده أو ضمن مجموعة عليه أن لا يملّ، فإنه إن ملّ وانقطع تحوّلت نعم الله تعالى عليه التي هي حوائج الآخرين إلى نقم.

### أهميّة البحث في العمل الجماعي.

للعمل الجماعي بروح الفريق الواحد التأثير الواسع والإيجابيات الكبيرة، كإزالة القلق والاكتئاب والسّامة التي يصاب بها المرء نتيجة لعدم رؤية ثمرة لعمله، أي من يعمل مع فريق وجماعة فلن يصاب بالسّام وذلك للتوجيهات التي ترفع السّام والحزن، وبهذا يتكامل عمله ويصل إلى نتائج هامة، والروايات محورت هذا المطلب إضافة إلى أنّ النجاح والفلاح ومضاعفة الأعمال، كلّ ذلك يرتبط بالعمل الجماعي.

## القسم السابع

### أثر المعرفة التوحيدية في حياة الإنسان

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

## المعرفة التوحيدية .

بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء عليها السلام نروم أن نتعرض إلى بعد من أبعاد شخصيتها يرتبط بموضوعنا ، فقد استعرضنا فيما سبق بعض الحلول لعلاج الاكتئاب والقلق بشيء من التفصيل ، وبيّنا أنماطاً متنوّعة يستطيع المرء بها أن يقضي على القلق ويزيل الاكتئاب عن نفسه ، ونضيف اليوم طريقتاً جميلاً ركّز عليه العرفاء وأكّده الحكماء هو البعد المعرفي في شخصيّة الإنسان .

## معنى البعد المعرفي .

ولا نقصد به سعة الأفق في المجال الثقافي ، بل المعرفة التوحيدية للحقّ تعالى ، بمعنى أن يكون الإنسان لديه معرفة صحيحة لله تعالى .

## حقيقة التوحيد الأفعالي :

كي نضع النقاط على الحروف نوضح أنّ من أقسام التوحيد التوحيد في الأفعال ، الذي يقوم على بعض الأسس :

### الأول : المؤثر في الوجود هو الله .

يقصد بالتوحيد الأفعالي أنّ كلّ فعلٍ في الوجود المادّي وغيره من عند الله تعالى ، وأنّه تعالى هو المؤثر وحده في جميع عوالم الوجود ، وكلّ عوالم المادّية وغيرها خاضعة لهيئته تعالى ، ولا يصل الإنسان إلى حقيقة التوحيد حتّى يكون على اعتقاد راسخ بأنّ المؤثريّة على نحو الحقيقة من عند الله تعالى .

### الثاني : تأثير الموجودات ليس بالاستقلال .

وليس معنى هذا سلب التأثير للخلق كالرياح والشمس ، إلا أنّ تأثيرها ليس

بالاستقلال بل بإفاضة من الحقّ تعالى ، وهي علل معدّة ، فإذا حللنا تأثير الشمس نصل إلى أنّ المؤثريّة لها من عند الله تعالى ، وكذلك الأمور الأخرى -كالماء -فسلسلة المؤثرات في عوالم النشأة الماديّة وغيرها من عند الله تعالى .

### الثالث : سلب التأثير للأشياء بيد الله .

ولولا أنّ الله تعالى أعطى هذه المفردات القدرة على التأثير لما أثرت ، هو القادر على سلب تأثيرها ، وإذا أوقف التأثير للأسباب في المسببات انتفى تأثيرها ، أي لو لم يشأ الله تعالى للنار أن تحرق ، وللماء أن يروي ، وللزرع أن يثمر ، وللطعام أن يشبع ، وهلمّ جرّاً ، لما تحقّق ذلك ، ومعناه أنّ تأثير المؤثرات في الآثار من عند الله تعالى ، وإذا اعتقد المرء بذلك عرف أنّ الحقّ تعالى وحده لا شريك له جعل الأسباب تؤثر في المسببات بإذنه تعالى ، وأنّه لا تأثير دون إذن إلهي فلا يمكن أن يتحقّق لشيء تأثير ؛ لأنّ ذلك خلاف حقيقة التوحيد ، والموحّد حقاً لا يمكن أن يعتقد بأنّ نهاية التأثير لغيره تعالى .

### خصائص تأثير الخلق :

#### الأول : الخلق واسطة في التأثير .

المؤثرات علل معدّة ، أي أنّه تعالى شاء أن يكون الفعل بواسطتها ، النار مقتضٍ للتأثير بإحراق الورق ، لكنّها ليست هي العلة الحقيقيّة للتأثير ، بل الله تعالى جعل النار قادرة على الإحراق ولو شاء تعالى لسلب تأثيرها ، وهذه المقدّمة توضّح أنّ جميع ما يتلقاه الإنسان وفقاً لهذه النظرة المعرفيّة من عند الله تعالى .

#### الثاني : التأثير في الخلق تعلّقي .

للعرفاء والحكماء نظريّة جدّ دقيقة تتقاطع مع النظريّة السابقة ، وتختلف عنها

برؤية معرفية أتقن ، هي أنّ حقيقة الوجود الممكن وجود رابط متعلق بالله تعالى ، أي أنه يمسك به ، ولولا ذلك لتلاشى الوجود ، وعاد إلى كتم العدم ، وهذه حقيقة لا يمكن إيضاحها بلغة أبسط ممّا تقدّم لعمقها ، حيث يضطرّ من يتحدّث عنها أن يأتي بالفاظ معبّرة عن معاني كبيرة وصعبة ، وليس هناك لغة أوضح ممّا أوردناه .

### معنى الوجود التعلّقي .

حقيقة الوجود التعلّقي هو ارتباط الممكن الفقير بالواجب الغنيّ ، أي أنّ وجود الممكن هو نفس ارتباطه بالغنيّ المطلق ، ولولا أنّ الله تعالى يفيض عليه من جوده لتلاشى وجوده ؛ لأنّ وجود الممكن يرتبط بوجود الحقّ تعالى ، ولو انقطع عنه المدد الإلهيّ لعاد عدماً لا شيءيّة له ، وشيئيّة الأشياء ارتباطها بوجوده تعالى .

### فائدة النظرة المعرفيّة .

هذه النظرة المعرفيّة مفيدة للإنسان تخلّصه من المشاكل التي ترد عليه لمعرفته أنّ مصدرها الحقيقيّ هو الحقّ تعالى ، وتأثيرها في جهتين :

#### الأولى : علاج المشاكل الحياتيّة .

عندما يعي الإنسان معنى ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ومعنى (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله) سيدرك أنّه لا قوّة مؤثّرة في الوجود إلاّ منه تعالى ، ويعرف أيضاً أن لا مرجع له إلاّ الله تعالى ، هو المالك وهو المؤثّر وهو المعطي لما عندنا ، هذا معنى التوحيد المعرفيّ ، وحقيقته أنّ المؤثّر في عالم الوجود هو الحقّ تعالى .

#### الثانية : الحصانة من القلق والاكتئاب .

من اعتراه همّ أو أصيب بغمّ فأصبح يعيش قلقاً ، فإنّ فرّ إلى الله تعالى خلّصه ممّا انتابه من ذلك الهمّ والقلق ، وعرف أنّ القلق لا يحدث إلاّ بحكمة وتقدير ، وكلّ ما في العالم هو من عند الله تعالى وبحكمته ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا

وَأَنْتُمْ إِيَّانَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ ، ومن وصل إلى هذه المرتبة من البعد المعرفي زال عنه القلق ، واستطاع دفع الغم ، ولن يصاب عندئذٍ بالاكتئاب .  
إذن هذه النظرة التوحيدية حصانة عن القلق والاكتئاب والألم .

### تجسد البعد المعرفي في أدعية الزهراء .

للصديقة الزهراء عليها السلام مجموعة من الأدعية والابتهالات لله تعالى ، بعضها يجلي هذه الحقيقة ، من جملة الأدعية الواردة عنها عليها السلام : « يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ ، يَا مَنْ سَدَّ السَّمَاءَ بِالْهَوَاءِ ، وَكَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى الْمَاءِ ، وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، أَنْتَنِي بِرُوحٍ مِنْكَ ، وَفَرَجٍ مِنْ عِنْدِكَ » (٢) ، والدعاء من أوله إلى آخره يفهمنا الحثيبتين اللتين تحدثنا عنهما :

### الأولى : الله مؤثر وحيد في الوجود .

لا مؤثر في الوجود إلا الله « كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ » تكرار الضمير الراجع للحق تعالى يساوق قول ( وحدك لا شريك لك ) « يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ » ، وهذا بُعد معرفي لله ، حقيقته أنه لا يمكن أن يصل أحد إلى ذاته ، وأن معرفة كنه الذات المقدسة لا يكون إلا لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (٣) ، قولها عليها السلام : « يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ » إشارة إلى التأثير والمؤثرية في عالم الوجود « يَا مَنْ سَدَّ السَّمَاءَ بِالْهَوَاءِ ، وَكَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى الْمَاءِ » كناية عما يجري في عالم الوجود منه تعالى .

(١) المؤمنون ٢٣ : ١١٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٩٢ : ١٨٥ و ١٨٦ ، نقلاً عن تفسير القمي : ١ : ٣٥٣ .

(٣) طه ٢٠ : ١١٠ .

## الثانية: الخلاص في الرجوع إلى الله .

من أصيب بشيء لا بد أن يرجع إليه تعالى لتفريج ما ألمَّ به من كرب ، وما أصابه من قلق ، وقولها عليها السلام : « ائْتِنِي بِرُوحِ مَنْكَ ، وَفَرَجٍ مِنْ عِنْدِكَ » : إيضاح أن الفرج والراحة والرحمة والخلاص لا تكون إلا من عنده تعالى ، وأن التأثير في علل الأشياء منه ، والفرج بيده ، ومن تعلّق به تعالى وعرفه بهذه المعرفة زالت الإشكاليات المؤدية به إلى ما لا يُحمد عقباه .

## القسم الثامن

### شمولية التأثير في الصلاة المعراجية

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

### الصلاة رابط إلهي .

اتّضح فيما سبق أنّ إدراك المفهوم المعرفي للارتباط بالله تعالى ( أنّ الخلق وجود يرتبط بوجوده تعالى ) ولو انفصل عنه لعاد عدماً محضاً ، المعنى الذي عبّر عنه الحكماء بالوجود الرابط والوجود التعلّقي ركيزة أساسية للخلاص من الهمّ والغمّ والاكتئاب ، وأهمّ ما يؤكّد هذا المعنى لدى الإنسان الصلاة ، فهي أهمّ شيء يؤكّد عمق الارتباط بالحقّ تعالى ، رغم أنّ كلّ مفردة من مفردات الخير تربط الإنسان بالله تعالى ، غير أنّ بعض أعمال الخير والعبادة لها ميزة خاصّة ، كالصلاة إذ تجعل المصلّي يندكّ في الحقّ تعالى ، وهذا تعبير مجازي لا يراد به الاتّحاد

(١) طه ٢٠ : ١٤ .

- كما في تعبيرات الصوفيّة - وإنّما يراد به أنّ الإنسان لا يرى وجوده في قبال الوجود المطلق لله تعالى ، وبمعنى آخر لا يرى لنفسه كبرياء ويدرك أنّ العظمة المطلقة للحقّ تعالى .

### فلسفة الأحكام عند الزهراء .

وقد جاء هذا المعنى في طائفة من الروايات ، ومن أوضح التعابير عنه ما جاء عن الصديقة الزهراء عليها السلام ضمن شرحها لفلسفة الأحكام الشرعيّة ، فقد أبانت أنّ الصلاة تتضمّن هذا المعنى الذي أوضحناه قالت عليها السلام : « وَالصَّلَاةُ تَنْزِيهَاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ »<sup>(١)</sup> ، لا يحصل ذلك لكلّ من يصلي ، بل لمن أدرك معنى الصلاة ؛ إذ أنّ الكبر هو أنّ يرى الإنسان وجوده في قبال وجود الله تعالى دون أن يتنازل عن وجوده ، بل يركز كلّ قدراته في وجوده ، بدلاً من أن يركزها في وجود الحقّ تعالى .

### سعي الإنسان نحو الخير .

للإنسان سعيان : سعي نحو الله تعالى وسعي نحو نفسه ، والسعي نحو الله تعالى يتحقّق ببيع نفسه وما يملك لله تعالى ، فيتلاشى وجوده في الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وسعي نحو نفسه بجعل الأشياء متلاشية في وجوده ، حيث لا يرى للأشياء وجوداً في قبال نفسه ، ويكون المدار في أحد السعيين على ذلك .

### أهميّة الصلاة .

للصلاة أهميّة كبيرة لأنّها تحقّق الارتباط الوثيق بين العابد والمعبود ، وبين

(١) بحار الأنوار : ٢٩ : ٢٢٣ ، عن الاحتجاج : ١ : ٩٩ .

(٢) التوبة ٩ : ١١١ .

الحقّ والخلق ، وبين الله تعالى والإنسان ، هذه النظرة الصائبة للصلاة تجعل الإنسان عبداً فيما يقوم به ، وفيما يصدر عن ،ه لا يرى لنفسه وجوداً ولا يرى نفسه مصدراً مفيضاً للخير لغيره .

### حقيقة صدور الخير من الناس .

بل يرى أنّ خدمة الغير توفيق من الله تعالى له ، والناس على قسمين :

**الأول :** إذا فعل شيئاً من الخير اعتقد أنّ الخير الذي فعله للآخرين مبدأه ذاته .

**الثاني :** يرى أنّ ما يصدر منه من خير يرجع إلى الله تعالى ، وقد بيّن هذا المعنى في رواية عن إمامنا الحسين عليه السلام : « **أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَمَلُّوا النَّعْمَ** »<sup>(١)</sup> ، فيشكرون الله على توفيقه ، ويحمدونه على نعمه ، وهذه نظرة أهل الجنة **﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**<sup>(٢)</sup> ، كلّ ثناء وحمد يرجع إلى الله تعالى ، وهذه دعوى مع دليلها لأنّه ربّ العالمين ، وكلّ محمود سواه يرجع حمده إليه تعالى ، وتعبير الصديقة الزهراء عليها السلام يتضمّن هذه المعاني التي أوردناها ، من هنا ينتفي الكبر والطغيان ؛ إذ أنّ تحقّقهما بالخروج عن صراط الله تعالى .

### الله تعالى مصدر الخير المطلق .

من يسير في صراط عبودية الله تعالى لا يرى وجوده ندّاً له تعالى ، بل يرى أنّ ما به من نعمة منه تعالى ، وما له من وجود مستمدّ من جوده تعالى ، وما يعطيه للآخرين يكون فيه واسطة في الفيض ويرجع إلى الله تعالى ، كلّ شيء منه ويعود إليه تعالى ، هذا معنى جوهر الصلاة لذا أكدّ عليها **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**

(١) بحار الأنوار : ٧٥ : ١٢١ ، عن كشف الغمّة : ٢ : ٢٩ و ٣٠ .

(٢) يونس : ١٠ : ١٠ .



كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿١﴾ و ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿٢﴾ .

### الالتزام بالصلاة شعار المسلم .

جاءت إلى الرسول ﷺ قبيلة من العرب وقالت له : يا رسول الله ، نريد أن نسلم ، ولا نريد أن نتقيد بالصلاة ، فرفض النبي ﷺ إسلام تلك القبيلة التي لا تريد أن تؤدي الصلاة ، ذلك أن أعظم معلّم في المجال التربوي للإنسان يتحقّق بالارتباط بالصلاة .

### حقيقة الصلاة .

لا يراد بالصلاة لقلقة اللسان ، بل يراد بها المضمون والمحتوى ، فيصلّي المؤمن لله تعالى بخشوع وخضوع لتؤثر صلّاته في كلّ مجالات حياته ، قال تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ﴿٣﴾ ، فمن كانت صلّاته ناهية له عن المنكر نزّهته عن الكبر ، وبعد انتفاء الكبرياء في قبال وجود الله تعالى ، وفي قبال أحكامه الشرعيّة ، سيطبقها دون تمرد ، بل سيأنس بذلك في سيره التكامليّ وفي عبوديته للحقّ تعالى ممّا يؤدي إلى خدمة للخلق تنعكس بإزالة همّ والغمّ وطرد الاكتئاب ، بهذه النظرة يرى المؤمن وجود الله تعالى ماثلاً لوجوده وللخلق فلا يرى همّاً ، ولا يصاب بغمّ ؛ إذ لا شيء يؤثر على وجوده ، ولا شيء يتغلّب عليه ، بل يتغلّب على الأشياء وينتصر عليها لارتباطه بالله تعالى ، وهذه ثمرة الصلاة والطاعة لله تعالى .

(١) النساء ٤ : ١٠٣ .

(٢) طه ٢٠ : ١٤ .

(٣) العنكبوت ٢٩ : ٤٥ .

## الاستقامة في الصلاة.

معنى الصلاة لغويًا الدعاء، ومعناها الشرعيّ الكيفية الخاصّة من القيام والعود والركوع والسجود بالأذكار المخصوصة، فلها معنيان لغويّ هو الدعاء، وشرعيّ هو أفعال وأقوال شرّعت من قبل النبي ﷺ وجاءت في الذكر الحكيم، وكلا المعنيين يتضمّن الآخر، فالبعد الشرعيّ واللغويّ بعدان أساسيان للصلاة، أي أن كون الإنسان داع لله وذاكرًا له يحقّق الاستقامة، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي أن من يصلي بهذا المعنى ويرتبط بالله تعالى ويكون ذاكرًا له تعالى في كلّ آن من آنات حياته يصبح الذكر هو المجرى العامّ لتوجّهاته.

## الروايات في بيان حقيقة الصلاة.

وقد أكّدت الروايات على هذا المعنى، وهو معنى ومفاد أكبر الذي جاء في الآية، ومن حصل له اتّحاد بين ذكر الله تعالى والصلاة، وجاء بصلاته بهذه الكيفية، تحقّق ارتباطه بمبدئه تعالى، ولن يصاب بألم نفسي، بل يستقرّ في وجوده؛ لأنّه ارتبط بمصدر الفيض المطلق الذي لا يتلاشى ولا يزول، فعرج بروحه إلى أفق رحب «الصلاة معراج المؤمن»<sup>(١)</sup>، معنى المعراجيّة أنّه كلّما تسافل عرج، وكلّما هوى صعد.

نعم، قد يؤثّر عليه الوجود الجسمانيّ ويجرّه إلى التسافل، غير أن لديه طريق وكنز لا ينفد هو الصلاة والذكر والدعاء، فإنّ تسافل صعد، وإنّ هبط ارتفع، بقربانه، فد «الصلاة قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أورد مضمونه صاحب الجواهر: ٧: ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٧٩: ٣٠٧، عن عيون أخبار الرضا: ٢: ٧، الحديث ١٦.

## أثر الصلاة في مواجهة الصعاب .

من صُيب بانتكاسة فهبط وجوده المعنويّ بابتعاده عن الوجود المطلق سيزول عنه كلّ ما علق به من أدران بصلاته ، وهذا ما جاء في الرواية عن النبي ﷺ ، قال : « إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَاةِ فِيكُمْ كَمَثَلِ السَّرِيِّ - وَهُوَ النَّهْرُ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ - يَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ يَغْتَسِلُ مِنْهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَلَمْ يَبْقَ الدَّرَنُ مَعَ الْغُسْلِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ تَبْقَ الذُّنُوبُ مَعَ الصَّلَاةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ »<sup>(١)</sup> : تعبير كنهائي يبيّن أنّ الانفصال عن الوجود الكامل والمطلق لله تعالى يؤدّي إلى الإصابة بالدرن والاتساخ ، ويمكن للإنسان أن يرجع إلى طهارته بالاغتسال في النهر الجاري ( الصلاة ) فيعود له التائق والارتقاء بالعروج إلى الحقّ تعالى .

## الصلاة تقطع جذور الرذائل .

كلّ هذا تتضمّنه كلمة الصديقة الزهراء عليها السلام : « وَالصَّلَاةُ تَنْزِيهَا لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ »<sup>(٢)</sup> الكبر هو الانقطاع عن الحقّ تعالى ، ورؤية الإنّيّة في قبال وجوده ، فيتسافل ويتكبر بخلاف من ارتبط وجوده بوجود الحقّ تعالى ، فزالته عنه الأدران ، وانتفى الكبر عن شخصيّته ، فإنه سيزول غمّه وهمّه وينجلي كربه لظهور حقيقة الوجدانيّة له ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . كلّ هذه المعاني والمفاهيم تتضمّنها كلمة الصديقة الزهراء عليها السلام : « وَالصَّلَاةُ تَنْزِيهَا لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ » .

(١) من لا يحضره الفقيه : ١ : ٢١١ ، الحديث ٦٤٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٩ : ٢٢٣ ، عن الاحتجاج : ١ : ٩٩ .

(٣) الأنبياء ٢١ : ٨٧ و ٨٨ .



## المبادئ التربويّة للعدل في المجتمع الإسلاميّ

قال تعالى :

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ  
أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

### مفهوم العدل والظلم.

من المعالم التربويّة الهامّة التي تشكّل أساساً لترسيخ كثير من المفاهيم : العدل والظلم ، وهما من أهمّ المفاهيم التي أعطاهما الإسلام عناية كبيرة وفائقة ، وذلك ما أوضحتها الآية الأنفة عندما عرضت الأسلوب التربويّ الذي اتّخذه لقمان الحكيم تجاه ابنه ، فقد بدأ بتوجيه النصح وطرح القيم المعنويّة التي يريد ترسيخها في ذهن ابنه ، فأكد على الإحاطة والقيوميّة للحقّ تعالى في وضع الأمور في مواضعها ، وعدم الظلم والقيام بالقسط والعدل ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ .

### الظلم في مفهومه اللغويّ :

الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه ، وهو على خلاف نسق الطبيعة ؛

---

(١) لقمان ٣١ : ١٦ .

لأنّ وضع الشيء في موضعه المناسب عدل، وكمثال على ذلك: عندما يصبح شخص مديراً لمدرسة أو لمعهد أو مصنع أو منشأة عامّة، ويعمل لديه موظفون، فيُسقط مبدأ الكفاءة والأهليّة في العمل من خلال السعي الجادّ في ترقية الموظف الذي لا يستحقّ ذلك لاعتبارات شخصيّة أو مصالح خاصّة، فيتجاوز العدل ويضع الشيء في غير موضعه ظلماً وتعدياً.

### أهميّة غرس مبادئ العدل في الإسلام.

وكي تتضح أهميّة العدل في الإسلام لا بدّ من إلقاء نظرة على بعض آي القرآن الكريم، التي تبين العاقبة الوخيمة للظلم، وتشجبه كمفهوم ينبغي للإنسان أن لا يقترب منه وأن لا يتعامل وإيّاه: لا مع نفسه، ولا مع أسرته، أو مع المجتمع الذي يعيش في كنفه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، الفلاح في اللغة هو النجاح، فمن يريد أن ينجح عليه أن لا يمارس الظلم بجميع أشكاله وصوره، بالخصوص مع أسرته في مساره التربويّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. للهداية معنيان:

**الأول:** إراءة الطريق، بمعنى أنّ الإنسان الظالم يحجب الله تعالى عنه الرؤيا السليمة والثاقبة، فلا يرى الحقّ بل يبتعد عنه، ويرى الباطل ويقترب منه.

**الثاني:** الإيصال إلى الهدف، والذي يظلم الآخرين ويتعدّى على حقوقهم، فإنّ الله تعالى لا يوصله إلى الأهداف السامية، ولا يوفّقه في الوصول إلى الكمال المنشود؛ لأنّه لا يحبّه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالله لا يحبّ

(١) الأنعام ٦: ٢١، ١٣٥. يوسف ١٢: ٢٣. القصص ٢٨: ٣٧.

(٢) المائدة ٥: ٥١. الأنعام ٦: ١٤٤. القصص ٢٨: ٥٠. الأحقاف ٤٦: ١٠.

(٣) آل عمران ٣: ٥٧، ١٤٠.

ولا يهدي الظالمين ، وقد بين تعالى العاقبة السيئة المترتبة على الظلم في الناحية الاجتماعية ، لكونه يؤدي إلى القضاء على المنجزات والمكتسبات التي ينجزها المجتمع بكل قدراته الفائقة وإمكاناته الهائلة ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾<sup>(١)</sup> ، أي أنّ الظلم يؤدي إلى الهلاك ، لذا على الأبوين أن يؤكدوا على القيم الأخلاقية التي تشجبه ، وتركز على العدل ، منذ البدايات الأولى في تنشئة الأبناء ، ومن ثم ينطلق الأبوان في غرس معالم القيم بشكل تدريجي ، كما بدأ لقمان عليه السلام في التوكيد على أهمية الارتباط بالله من خلال الصلاة ، وعليهما أن ينظرا إلى مفهوم العدل من ناحية عملية ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ - أي الملك على القارات السبع - بِمَا تَحْتَ أَفْلَاقِهَا ، عَلَيَّ أَنْ أُعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ » . هذا نوع من الظلم في عالم الحيوان ، فما بالك بظلم الإنسان .

يؤكد الإمام عليه السلام على أنّ التعدي على عالم الحيوان على غير مقاييس العدل والقسط من الظلم ، ولا يمكن له عليه السلام أن يفعل ذلك ، رغم أنه ظلم بسيط في مقاييسنا بالنسبة لنملة بأخذ جلب شعيرة من فمها ، في قبّال أن يصبح حاكماً على الكرة الأرضية ، غير أنّ الإمام عليه السلام يرفض ذلك كله من أجل الحفاظ على قيم العدل ، وعلمنا أن نتبه لهذا الأمر في التربية ؛ لأنّ المجتمع لا يستطيع أن يتقدم ، وأن يحافظ على منجزاته ، إلا إذا وكّد هذه المفاهيم في الطفل منذ ريعان الصبا ، حتّى يكبر معها .

ثمّ ختم عليه السلام كلامه بقوله : « مَا لِعَلِيِّ وَلِنَعِيمٍ يَفْتَنِي »<sup>(٢)</sup> .

لهذه الكلمة معنيان :

**الأول :** ما أشار إليه لقمان في الآية ، من أنّ النتيجة التي يصل إليها الإنسان

(١) يونس ١٠ : ١٣ .

(٢) نهج البلاغة : ٢ : ٢١٨ .

هي انتقاله إلى عالم غير ماديّ، يحاسب فيه على كلّ صغيرة وكبيرة .

**الثاني:** أنّ إقامة المنجزات والمكتسبات على الظلم لا يتاح لها الاستمرار والديمومة والبقاء؛ لأنّ المنجزات إذا لم تقم على أساس العدل سوف تتلاشى وتنتهي .

### أساليب تربويّة خاطئة .

ينطبق هذا النحو من الظلم الذي ذكرناه على التربية، ومن المؤسف أن نجد هذه الأيام بعض الآباء يُميّز بعض أبنائه بالحبّ والعطاء الأكثر دون بقيّة الإخوة، وهذه الطريقة يرسم بها الأب خطّة للظلم من حيث لا يشعر، ويجعل بناء الأسرة ضعيفاً قائماً على العداوة والبغضاء، فيصبح كبيت العنكبوت، ليس من ناحية الخيط الذي ينسجه العنكبوت لأنّه قويّ جداً، ولو جمع هذا النسيج من الخيوط فمن الممكن حمل دبابه ثقيلة عليه، لكنّ المراد من وهن بيت العنكبوت وكونه أضعف البيوت يرجع إلى أنّ العناكب - في طبيعتها - عندما تكون في بيت واحد يعتدي بعضها على بعضها الآخر، ويأكل بعضها بعضها الآخر، أي أن تركيبها عدوانيّة، لذا لا يتاح للعناكب الاستمرار والبقاء؛ لأنّها قائمة على مبدأ التعدي، والبيت الواحد لا يستمرّ ويدوم إذا كان كذلك؛ لأنّ بعضه ينقض بعضه الآخر، والأسرة إذا أصبحت كالعناكب في طبيعتها العدوانيّة والظلم فإنّ بناءها يتصدّع ويهتري، وتكون نهايتها الزوال والانقراض .

### الأسس التربويّة عند الأئمّة ؑ .

شجّب الظلم والتأكيد على العدل من الأسس التربويّة التي أكّد عليها أئمّة البيت ؑ؛ إذ لا يمكن للبناء الأسريّ أو الاجتماعيّ أن يحافظ على منجزاته إلّا بالعدل وترك الظلم، وقد صوّر الإمام الباقر ؑ البيت الأسريّ الذي ملؤه الحنان



من الناحية التربوية في الجانب التطبيقي ، فقال عليه السلام : «لَمَّا حَضَرَ عَلِيٌّ بَنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام الْوَفَاةَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرْتَهُ الْوَفَاةَ ، وَمِمَّا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ قَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ»<sup>(١)</sup> قد يكون الإنسان أو المجتمع الذي يُتعدى عليه ، ويؤكَل حقه ، ويُمارس الظلم تجاهه ، ضعيفاً لا يستطيع أن يقاوم ، لكن ذلك لن يدوم ، وسيأتي يوم تدور فيه الدوائر على الظالم ويُظلم كما ظلم ، وقد أفصحت الروايات عن ذلك : «مَنْ ظَلَمَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ ، أَوْ عَلَى عَقْبِهِ ، أَوْ عَلَى عَقْبِ عَقْبِهِ»<sup>(٢)</sup> هذه معادلة كونية لا يُستثنى منها شخص ولا مجتمع ، وقد صرّحت الآيات بذلك أيضاً .

### دور الأبوين في صلاح الأبناء .

يسهم الأبوان في جعل الأبناء جزءاً من المجتمع الصالح من خلال :  
 أولاً: التوكيد في الانطلاقة الأولى على شجب الظلم وإقامة العدل .  
 ثانياً: غرس مبادئ القيم بين الأبناء ، كإقام الصلاة ، وفعل المعروف ، والإحسان إلى الغير ، كما جاء في وصية لقمان عليه السلام لابنه .  
 ثالثاً: الممارسة العملية للأبوين كقدوة .

(١) بحار الأنوار : ٤٦ : ١٥٣ و ١٥٤ ، نقلاً الكافي : ٢ : ٣٣١ ، الحديث ٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٢ : ٣١٥ .



## مسؤولية المسلم ومودة أهل البيت عليهم السلام

قال تعالى :

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### سبب نزول الآية .

نزلت هذه الآية المباركة لأنّ قوماً من الأنصار قدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليقدّموا بعض أموالهم له صلى الله عليه وآله لكونه يرعى شؤون الأمة - يقري الضيف ، ويقوم بمسؤوليات جسم - فترى في ذلك ولم يقبل ما قدّموه منتظراً الوحي ، فنزل قوله تعالى :  
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ، ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله :  
ماذا يأمره الوحي ، فجاء الجواب عن ابن عباس ، قال : «لَمَّا نَزَلَ : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ قَرَابَتِكَ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ ؟ قَالَ : عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا» (٢) .

وهناك روايات تحدّثت عن تفاصيل دقيقة ومعانٍ مفصّلة في الآية أبانها

النبي صلى الله عليه وآله :

روي عن ابن عباس : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَاسْتَحْكَمَ الْإِسْلَامَ ،

(١) الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٣ : ٢٣٢ .

قَالَتِ الْأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: يَا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَقُولُ لَهُ: تَعْرُوكَ أُمُورٌ، فَهَذِهِ أَمْوَالُنَا فَاحْكُمْ فِيهَا غَيْرَ حَرَجٍ وَلَا مَحْظُورٍ عَلَيْكَ، فَآتَوْهُ فِي ذَلِكَ، فَنَزَلَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: تَوَدُّونَ قَرَابَتِي مِنْ بَعْدِي، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُسَلِّمِينَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ افْتَرَاهُ فِي مَجْلِسِهِ، أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُذَلِّلَنَا لِقَرَابَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١)، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ، فَبَكَوْا وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (٢) الْآيَةَ (٢)، فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِهِمْ فَبَشَّرَهُمْ. قَالَ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٣)، وَهُمْ الَّذِينَ سَلَّمُوا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّعِزْ حَسَنَةً نَّزَدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (٤)، أَيُّ مَنْ فَعَلَ طَاعَةً نَزَدَ لَهُ فِي تِلْكَ الطَّاعَةِ حُسْنًا بِأَنْ نُوجِبَ لَهُ الثَّوَابَ (٥).

### الوعي بالمسؤولية تجاه النبي ﷺ.

عندما نقف مع بعض الحثييات المتعلقة بالآية المباركة نجد أنّ المسلم يستشعر مسؤوليته تجاه الرسول ﷺ، وبعض الأنصار استشعر المسؤولية فجاء إليه ﷺ يريد أن يُقدِّم له ﷺ مالا، وهذه مسؤولية محدودة في الجنبه الماليه، وهي مسؤوليه عن مصارفه ﷺ الكبيره التي يصرفها في شؤون المسلمين، وأراد هؤلاء أن يعينوه ﷺ، غير أنّ الوحي ألزمهم بمسؤولية أكبر فبيّن أنّ المسلم لا تنحصر مسؤوليته في الجنبه الاقتصاديّه فحسب، بل هناك شمول للمسؤولية، وقد رُبط

(١) الشورى ٤٢: ٢٤.

(٢) الشورى ٤٢: ٢٥.

(٣) الشورى ٤٢: ٢٦.

(٤) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٥) بحار الأنوار: ٢٣: ٢٣١.

هذا الشمول بمودة قرابته ﷺ ، وكي يتضح هذا المعنى بجلاء نبقى في شؤون الآية .

### ربط الأمة بخلفاء النبي ﷺ .

الإسلام عقيدة ونظام ، هو مجموعة من التشريعات يجسده ويشرف عليه النبي ﷺ في حياته ، ويستمر التجسيد الحي والسليم لهذا الدين العظيم بعده ﷺ في أوصيائه وخلفائه الذي أشار إلى عددهم أنه اثنا عشر خليفة كلهم من قریش ، فخلفائه التجسيد الحي للشريعة الإسلامية ، وأراد الوحي أن يربط المسلمين بخلفائه ﷺ .

### واقع الارتباط بخلفاء النبي ﷺ .

الربط لا بد أن يكون وثيقاً فاختر له أن يتركب من معنيين : الأول عاطفي ، والثاني عملي ، والمودة يراد بها كلا المعنيين ، الجنبه العاطفيه المعبر عنها بالميل والحب ويراد بها أيضاً الاتباع والاقتراء - السير على المنهاج - فمودة ذوي القربى هي الأخذ منهم ، والسير على منهاجهم ، والاقتراء والتأسي بهم .

### التطبيق العملي للقربى .

أبان النبي ﷺ التطبيق الدقيق للآية فحصرها بقرابته الخاصه ، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ كي لا يتصور المسلم أن قرابته ﷺ لها معنى عام يشمل أصحابه أو كل قرابته ، فتطبيقه ﷺ أغلق باب التأويل والتحريف ، فباب التحريف واسع لا يقتصر على الزيادة أو النقيصة فحسب ، بل يشمل تطبيق النص على غير معناه ، من هنا حدّد الوحي ذوي القربى وأوضحت الأحاديث معنى المودة ، فلا يراد بها الميل العاطفي فحسب ، بل الإقتداء والتأسي والسير على منهاج ذوي القربى ، والنبي ﷺ حدّد المصداق بوضوح كي لا يستطيع أحد أن يقول

إنَّ المراد بقربائه غير ذلك ، من هنا فعلى كلِّ من أراد أن يؤدِّي أجر رسالته ﷺ وأن يتفاعل معه ، أن يسير على وفق هذا المنهج ، وليس له طريق آخر .

### المعرفة الحقيقيَّة لأهل البيت ﷺ .

وقد ورد عن الأئمة ﷺ إيضاح هذا المعنى ، قال الإمام الصادق ﷺ : « بِنَا عُرِفَ اللهُ ، وَبِنَا عُبِدَ اللهُ . نَحْنُ الْأَدِلَّةُ عَلَى اللهِ ، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللهُ »<sup>(١)</sup> : يبيِّن الإمام ﷺ المعرفة بمعناها الكبير ، أي أنَّ من أراد أن يعرف الله تعالى نظرياً ، وأن يسير على منهاجه عملياً ، فلن يستطيع ذلك إلا إذا أحبَّ أهل البيت ﷺ عاطفياً ، وأخذ بمنهجهم عملياً ، وذلك هو المسؤولية الكاملة ، فمن أحبَّ أهل البيت ﷺ عاطفياً واقتدى عملياً بهم أصبح مسؤولاً ، قال تعالى : ﴿ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> جاء في تفسيرها عن النبي ﷺ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَنُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ ، لَمْ يَجُزْ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ جَوَازٌ فِيهِ وَلايَةٌ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ ﴾ ، يَعْنِي عَنْ وَلايَةِ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ »<sup>(٣)</sup> . إنَّ معنى المسؤولية لا يراد بها العاطفة المجرّدة ، فإنَّ العاطفة قد تكون لغير المسلم يحبهم ﷺ عاطفياً لأنهم يتصفون بصفات كمالية ، هي مظهر كمال وجمال للنفس البشرية ، وقد طبعت النفوس على حبِّ الكمال والجمال أينما وُجدا ، فإذا خُيِّرَت النفس بين أمرين : أحدهما في منتهى الكمال ، والثاني ناقص ، مالت بطبعها إلى الكامل .

### تجسيد الميل العاطفيِّ لأهل البيت ﷺ .

إنَّ الآية المباركة ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ لا يراد بها

(١) التوحيد : ١٥٢ ، الحديث ٩ .

(٢) الصافات : ٣٧ : ٢٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٨ : ٦٧ و ٦٨ ، عن أمالي الشيخ الطوسي : ٢٩٠ .

الميل العاطفيّ المجرد عن العمل والافتداء ، وقد فسّرت الآية بما أوضحناه ، قال الإمام الباقر عليه السلام : « يا جابرُ ، أَيْكْتَفِي مَنِ انْتَحَلَ الشَّيْبَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَوَ اللهُ مَا شَبِعْتَنَا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللهُ وَأَطَاعَهُ ، وَمَا كَانُوا يُعْرِفُونَ - يَا جَابِرُ - إِلَّا بِالتَّوَاضُّعِ ، وَالتَّخَشُّعِ ، وَالأَمَانَةِ ، وَكثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالْبِرِّ بِالأَوْلِيَاءِ ، وَالتَّعَاهُدِ لِلْجِيرَانِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالْغَارِمِينَ وَالْأَيْتَامِ ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَكَفِّ الأَلْسُنِ عَنِ النَّاسِ ، إِلَّا مِنْ خَيْرٍ ، وَكَانُوا أُمَّنَاءَ عَشَائِرِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ »<sup>(١)</sup> ، ومفاد النصّ أنّ الحبّ هو المسؤوليّة ، فالمتّقي يطبّق أحكام الشارع ويعي معنى الحبّ المأمور به في آية المودّة .

### الميل العاطفيّ المجرد .

إنّ من أحبّ أهل البيت عليهم السلام بالعاطفة فحسب ، فذلك ليس بمصداق للآية ، فالحبّ العاطفيّ قد يتحقّق من أعداء أهل البيت عليهم السلام ، وقد رأينا أنّ بعض المآسي التي جرت على أهل البيت عليهم السلام أبكت أعداءهم وأثرت عليهم عاطفياً ، فالتأثر العاطفيّ الذي لا يقتصر بعمل ، ولا ينعكس على واقع المسلم في سلوكه ، ولا يحدّد الملامح العامّة لمسؤوليته ، هو حبّ دون مسؤوليّة ليس بمصداق للآية .

### حقيقة المودّة لأهل البيت عليهم السلام .

إنّ الحبّ الكامل لأهل البيت عليهم السلام ، والمودّة لذوي القربى ، هو المنهاج العمليّ الذي يؤثر على السلوك والأخلاق والتوجّهات ، وهو تجسيد عمليّ لمنهاج النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، ومن يتأسى بهم لا بدّ أن يتكامل أخلاقياً ، ويطبّق مفردات الشريعة ، والرواية الأنفة حصرت حبّهم في هذا المعنى ، فتقوى الله تعالى ميزان

(١) الكافي : ٢ : ٧٤ ، الحديث ٣ .

وصراط يُعرف به الحبّ الصادق من الكاذب .

### المسؤولية مجاهدة في حبّ أهل البيت عليهم السلام .

ويحسن أن نوضح معنىً دقيقاً وهو أنّ الإنسان قد يكون بادئ ذي بدء يحبهم عليهم السلام بعاطفة مجردة وأخلاقٍ سيئة ، ولا يطبق الشريعة بمعاملها الكاملة ، ولا يسير على السلوك السويّ ، لكنّه يسعى إلى تكامل نفسه ، ولا يهتمّ الحبّ المجرد والعاطفة الجوفاء ، ليعتمد عليه فحسب ، فإذا سار على ذلك وفقّ بإذن الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، أي أنّ السير في الاتجاه الصحيح يؤدّي إلى المقصد .

والمحصّلة : أنّ قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ تفسيره بالولاية لعلّي عليه السلام يراد به المسؤولية لتطبيق أحكام الشارع في الجنبه الأخلاقية والمسؤولية في المواقف والأحداث ، وأنّ المسؤولية لها سعة وشمول يعمّ مفردات الحياة .

(١) العنكبوت ٢٩ : ٦٩ .



## حقوق الإنسان بين الإمام عليّ وابنه الإمام الحسين عليهما السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١)  
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ  
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

صدق الله العليّ العظيم

قال إمامنا الحسين عليه السلام : «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ ،  
وَلَا التِمَاسًا مِنْ فُضُولِ الحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنُرِيَّ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظَهَرَ الإِصْلَاحَ فِي  
بِلَادِكَ ، وَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ» (٣).

### الفارق بين القادة الإلهيين وغيرهم .

كل ثورة من الثورات لها هدف وغاية يسعى قادتها وأتباعها لتحقيق ذلك الهدف .  
وفي الأعم الأغلب تتحكم المآرب الشخصية في مسارات الثورة إلا بالنسبة للقادة

(١) آل عمران ٣ : ١١٠ .

(٢) التوبة ٩ : ٧١ .

(٣) بحار الأنوار : ١٠٠ : ٧٩ ، ٣٧ ، عن تحف العقول : ٢٣٧ .

الإلهيين ، من الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، فلا مكان للهوى في نفوسهم وذواتهم الطاهرة ؛ لأنهم لا ينطلقون من خلال الأطر الضيقة والمآرب الشخصية التي لا تنسجم ولا تتلاءم مع قيم السماء . وإنما تتسم أهدافهم بالرفعة والسمو ، ومن أولوياتهم مقاومة الظلم ، وشجب الانحراف ، والتركيز على قيم السماء ، والهَم الأكبر لهم تحقيق المصالح لعامة الناس ، والذي نُعبّر عنه بالعدل ، وإن كان التعبير بالعدل لا دقة فيه ، لكنّه يمكن أن نطلقه بنحو من التسامح . وسوف نستعرض الرؤى حول حقوق الإنسان من خلال شخصيتين بارزتين من القادة الإلهيين ، هما الإمام عليّ وابنه الإمام الحسين عليهما السلام ؛ لأنهما تركا بصمات عظيمة في مجال حقوق الإنسان في الناحية النظرية والعملية .

### الإمام عليّ عليه السلام وحقوق الإنسان .

الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام والثوار الأحرار عبر تاريخ الإنسانية الطويل يرومون تحقيق مبادئ ترجع إلى إحقاق حقوق الإنسان ، والإنصاف والتعامل على ضوء القانون ؛ ولذلك نجد أنّ من يستلم الحكم منهم تكون أولى المبادئ في الدستور والقانون الذي يكتبه لولائه هو تطبيق ذلك الدستور حرفياً . وهذا ما جسده الإمام عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشرع عندما بيّن أهمية العدالة ، والحفاظ على الحقوق العامة للناس ، خصوصاً المستضعفين منهم ، الذين لا حول ولا قوة لهم ، ولا يتمكّنون من المطالبة بحقوقهم ؛ فالإنسان المستضعف سُحقت إنسانيته ، وانتُهكت حرمة ، ووطأ على كراماته ، ولا يمتلك القدرات التي يستطيع من خلالها انتزاع حقه ، خصوصاً من الناس الذين يرومون تحقيق مصالحهم الذاتية ، وبالتالي الانضواء تحت راية الحاكم الظالم ، ويبقى عامة الناس يئنون تحت سياط الجالدين وتسلط الظلمة ، وفي تاريخ الإنسانية الطويل شواهد كثيرة على ذلك .

### حقّ المستضعفين عند الإمام عليّ عليه السلام .

لذلك منذ الوهلة الأولى التي رأى أمير المؤمنين عليه السلام بعض الانتهاكات الصارخة للقانون الإلهي قام بتحديد الأولويات بمجرد توليه الخلافة ؛ فوضع معالم مسار الحكم الإلهي ، الذي يحقق للإنسان الرفاه ، فلا يهتضم حقه بل يُصان ، ويمكنه أن يُطالب به أمام أعلى هرم في السلطة ، فيقف أمام قائد الدولة ويقول : إنّ حقّي قد انتهك ، ثمّ يدلّي بحجته ليؤخذ له الحقّ .

ولعلّ من أروع الكلمات التي كرّرها المصطفى ﷺ ، ووعاها أمير المؤمنين عليه السلام ، وسطرّها في خطبه وكلماته القصار وفي عهده لمالك الأشتر ، تلك الكلمة التي كانت ترنّ في مسمع عليّ عليه السلام عندما يقول : سمعت المصطفى عليه السلام قال : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَّعٍ »<sup>(١)</sup> ، أي من غير أن يصيبه أذى يزعجه ، ويعني هذا أنّ هذه الأمة لن تصل إلى مرحلة الطهارة والقدسية ، إذا كان الضعفاء يُسحقون تحت أقدام الأقوياء ، من الطامعين الذين لا يهتمهم إلا تحقيق مصالحهم الخاصّة .

### وحدة الهدف في خطّ الأئمة عليهم السلام .

كان الاتّجاه الواضح لأمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم السلام هو الحفاظ على إنسانية الإنسان ، ونشر القانون الإلهي الذي يؤمّن للناس حقوقهم ؛ لأنّه إذا انتهك القانون فلا أمان للضعفاء والمستضعفين . ولذا كان هدف الإمام عليّ والإمام الحسين عليه السلام والبقية من أئمة أهل البيت عليهم السلام هو أن تُراعى حرمة القانون من ناحية ، وأن يُعطى كلّ صاحب حقّ حقه غير متعتع ، خالياً من اللجاجة واللبس من ناحية أخرى .

(١) نهج البلاغة : ٣ : ١٠٢ .

## حقوق الحاكم والرعية عند الإمام عليّ عليه السلام .

إنّ مراعاة القانون كانت متجلية بوضوح فيما كتبه الإمام عليّ عليه السلام لمالك في عهده له عندما قال: «**ثُمَّ اخْتَرُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَلَا تَمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ، وَلَا يَتِمَادِي فِي الزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْضُرُ مِنَ الْفَنَاءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ**» ، فالإمام عليه السلام يريد من هذه المادة القانونية والدستورية أن يكون الولاة أو القضاة بهذه المثابة ، ولكنّه في المقابل يُؤكِّد على مراعاة الحقوق لعامة الناس: «**أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ**»: أي المقرّبين لبلاطك الذين لهم مصالح .

ثمّ يقول: «**وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ**»: قد يميل الحاكم لبعض الناس الذين يستغلّون هذا الميل كي يتعدّوا على الحقوق ، وينتهكوا حرمة القانون .

ثمّ بعد ذلك يُؤكِّد الإمام عليّ عليه السلام على الأهميّة البالغة للحقوق العامّة للناس في نظر الإسلام بقوله: «**وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ؛ فَلْيَكُنْ صِعُوكَ لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ**»<sup>(١)</sup>: أي إنّ قدرات الحاكم الخاصّة لا بدّ أن تصبّ في مصالح الضعفاء من الناس ، وليس الأقوياء الذين لا يهتمهم إلاّ بخس حقوق الناس .

## الإمام الحسين عليه السلام وحقوق الإنسان .

وعندما نتحدّث عن حقوق الإنسان في نظر الإمام الحسين عليه السلام لا بدّ من التعرّف على الأجواء التي عايشها الإمام عليه السلام ؛ لأنّ الحكم آنذاك كان بيد الأمويين الذين لا يهتمهم الناس ، ولا الحفاظ على حقوقهم ، فإنّ يزيد تولى الحكم والسلطة ثلاث

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٩٤ .

سنوات ، في الأولى قتل الإمام الحسين عليه السلام ، وفي الثانية انتهك أعراض الناس في واقعة الحرّة ، وأخذ من الجميع البيعة على أنهم عبيد أرقاء له ، يهدف من ذلك استرقاق الناس في سبيل تحقيق مصالحه ، فماذا كان ينبغي للحسين عليه السلام أن يفعل تجاه هكذا جيروت وحكم ظالم لا يعرف قيم السماء؟! فهل يسكت ويكتف يديه ، أم يواجه ويصمد مع علمه بأن الوقوف في وجه هذا الظالم سيكلفه الكثير ، بل سوف يكون الثمن الذي سيدفعه الإمام هو حياته بالإضافة إلى انتهاك حرمة ، ومع أن ثمن الصمود باهض ومكلف إلا أن الإمام عليه السلام قدّم نفسه قرباناً لله حفاظاً على الحقوق العامة للناس ، خصوصاً المستضعفين منهم ، وحفاظاً على القانون الإلهي .

### أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

عندما وجد الإمام الحسين عليه السلام انتهاك القانون الإلهي من قبل الأمويين ، أخذ يتحدث للأمة عن أهداف ثورته ورؤيته الثابتة للأمر التي لخصها في النقاط التالية :

### الأولى : الدافع الإلهي .

إن أول ما بدأ به الإمام عليه السلام في خطابه الذي بيّن فيه أهدافه هو إشهد الله على الأمة في كون ثورته ومجابهته للظلم لم تكن من أجل الجاه والسلطة ، ولذا قال : «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا التَّمَاَسًا مِنْ فَضُولِ الحُطَامِ» ، ويعني هذا أن بعض القادة السياسيين همهم أن يصلوا إلى الصدارة ، وأن يستلموا زمام الأمور ، ويحققوا المآرب الماديّة ، ولا يهتمهم الحفاظ على المبادئ ، أمّا الإمام الحسين عليه السلام فلا يهدف من وراء ثورته تحقيق مصالح شخصية ، وإنما أهدافه هي أهداف الله تعالى ، وهي نفس المبادئ العامة التي جاء بها المصطفى صلى الله عليه وآله حين قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا »<sup>(١)</sup> ، وللوصول إلى الفلاح

(١) بحار الأنور : ١٨ : ٢٠٢ ، عن مناقب آل أبي طالب : ١ : ٥٦ .

لا بدّ من تحكيم ألوهية الباري تعالى ، وليست ألوهية الإنسان واللجوء إلى الطغيان من خلال انتهاك القانون .

### الثانية: إعادة تطبيق النظام والقانون .

ثمّ يبرز الإمام عليه السلام أحد دوافعه القويّة للقيام بالثورة بقوله : « وَلَكِنْ لِنُرِي الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ » : معالم الدين هي القواعد والقوانين ، ويقصد عليه السلام إنّ إحدى مبررات ثورته هو إعادة تطبيق النظام والقانون كما جاء به النبي صلى الله عليه وآله .

### الثالثة: تسيير أمور الناس ومصالحهم وفق القانون .

ركّز الإمام عليه السلام أيضاً في خطابه على مبرر آخر له أهميته التصوي ، فقال : « وَنُظِهَرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ » : أي تسيير أمور الناس ومصالحهم وفق القانون ، وهذا بخلاف الطامعين الذين لا يهتمهم تحقيق مصالح العباد ؛ بل الوصول إلى مآربهم الشخصية وأهدافهم الدنيئة . والإصلاح الذي جاء به الإمام عليه السلام شامل لجميع جوانب مصالح الأمة ، كالجانب العمراني والاقتصادي ، وغير ذلك ممّا له ارتباط بحياة الأمة .

### الرابعة: الأمن للمظلومين والمستضعفين .

إنّ من أهمّ القوانين التي يُولّوها الثوّار والمصلحون فائق العناية الحفاظ على الأمن ؛ لأنّ الكثير من الخراب والدمار الذي يعتري بلدان العالم أساسه التفرقة والإجحاف والظلم في جوانب متعدّدة ، كالجانب الاقتصادي والثقافي والأمني ، لذا جعل الإمام عليه السلام أحد مبرراته في قيامه بالثورة تحقيق الأمن ، فقال : « وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ » .

### الخامسة: العمل بفرائض الله وأحكامه .

ثمّ واصل الإمام عليه السلام كلامه محدّداً الهدف الغائي من ثورته فقال : « وَيُعْمَلْ

بِفَرَايِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ» : ويعني هذا أنّ من أهدافه ﷺ وصول الناس إلى العمل بفرائض الله ، وإقامة السنن ، وتطبيق الأحكام . وما أروع هذه الأهداف التي محورها الإمام في هذا المقطع من كلامه أبان انطلاق ثورته!

### نحو رؤية تكاملية للمجالس الحسينية .

إنّ أروع ما نتذكره من الثورة الحسينية - ونحن نعيش استقبال ذكرى استشهاد الإمام الحسين ﷺ - أن ندرك أهداف تلك الثورة ؛ لنعلم أنّ في إقامة المأتم الحسيني إحياء لتلك الأهداف والمبررات التي قام من أجلها الحسين ﷺ . ومجرد البكاء على الإمام الحسين ﷺ دون أيّ وعي بتلك الأهداف أمرٌ حسن ، لكنّه لا يصل إلى الأحسن ، وهو أن يقترن البكاء بالوعي بتلك الأهداف ؛ لأنّه دون الوعي كمن يقرأ القرآن دون أن يعي أو يفقه ما يريد منه القرآن .





## العيد مضامين وقيم

قال الله تعالى :

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### الانتصار على الشيطان .

العيد كبير في محتواه ، عميق في مضمونه ، وهو يأتي بعد موسم أو حدث كبير كالحجّ والصوم ، فإذا نظرنا إلى الصوم نجد أنّ الهدف منه هو الانتصار على الشيطان ، فالصائم ينتصر على غرائزه الأساسية - البطن والفرج والما - وعلى حواسه فلا يتحدث بحديث غير لائق ، ولا يصدر منه فعل يتنافى مع الشريعة ، بل ينضبط سلوكياً لتنطبق عليه قواعد التشريع ، وعندما ينتصر على الشيطان في شهر كامل وتصبح لديه سيطرة وكبح لجماح الأهواء والشهوات يفرح لكونه قد عاد إلى رشده وسداده .

### حقيقة الصوم .

بلور النبي ﷺ هذا المعنى عندما رأى امرأة صائمة تسبّ جاريتها ، فدعاها

النبي ﷺ لطعام فامتنعت لكونها صائمة، فقال ﷺ: «كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب»<sup>(١)</sup>، وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، «مَا أَقَلَّ الصُّوَامَ، وَأَكْثَرَ الْجُوعَ»<sup>(٢)</sup>، فالصوم إذا كان لا يدعو لترك الذنب لم يتحقق معناه، والنبي ﷺ فسره في هذا الحديث بالانضباط السلوكي، وبين ﷺ أن الصوم يقيد جوارح الإنسان، ويضبط سلوكه على وفق ما يريده الشارع. إذن الصوم عميق في محتواه لكون الإنسان يحارب الشيطان شهراً كاملاً فينتصر ويتحقق له الظفر على نفسه، ويأتي العيد حينئذ فرحة وبهجة لما تحقق من زخم كبير وإنجاز في عالم المعنى.

### المغفرة في شهر رمضان.

عبّر النبي ﷺ بتعبيرات عدة عن هذا المعنى كقوله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ»<sup>(٣)</sup>، ومعنى كلامه ﷺ أن رمضان يهيئ الظروف للإنسان ويتيح له أن ينتصر على الشيطان، فإذا لم يُغفر له فهو من الشقاوة بمكان، وهو إنسان يعيش التعاسة؛ لأن الظروف توافرت لديه ولم يستطع أن يتغلب على نزواته وشهوته، وأن ينال الفوز والظفر الإلهي، ولم يتحقق له معنى العيد، ومرور العيد عليه بهجة وفرحة في الجانب المادي تتلاشى منتهية بانتهاء أيام العيد.

### السرور في مجاهدة النفس.

الإسلام لا يريد للإنسان أن تكون فرحته مقصورة على الجانب المادي فحسب، بل أن يلتفت إلى فضل الله تعالى ورحمته ويفرح بها، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾

(١) وسائل الشيعة: ١٠: ١٦٣، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم، الحديث ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠: ١٦٦، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم، الحديث ١٤.

(٣) بحار الأنوار: ٩٣: ٣٤٧.

وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١﴾ ، والتعبير القرآني غاية في الدقة يبين أنّ المسألة لا تعود إلى الانتصار في الجانب المادي بقدر ما تمثّل فوزاً وفرحاً وظفراً على النفس وقرباً من الله تعالى .

وإذا نظرنا إلى الحجّ نجد نفس الملاك والمضمون فيه ، فالحجّ له محطات كلّ واحدة منها يحقّق فيها الحاج انتصاراً ، فالإحرام من التروك يلتزم فيه لبرهه زمنيّة ، وفي ذلك إيماء وإشارة إلى انتصاره في تلك البرهه والوقت المحدود لتكون لديه القدرة والمكنة للانتصار بنحو دائم ، وهذا ما يرمز إليه تشريع الحجّ .

وكذلك الوقوف في عرفة ، والوقوف في مزدلفة ، ورمي الجمار في حربه مع الشيطان ، فكلّ موقف فيه تعبيرات دقيقة وحيثيات غاية في الجمال ، وكلّ مفردات الحجّ تشتمل على حكم ومصالح كبيرة ، ولو شئنا أن نتحدّث عن كلّ منها على حدة لما وسعنا ذلك ، ففيها من الحكم والمعارف الإلهية والرموز ما يبلور الجانب المعنويّ في سير الإنسان التكامليّ وظفره وفوزه بقربه من الله تعالى ، وهذا هو الهدف الأساس في مسار الإنسان في الحياة الدنيا .

فالحجّ إبراهيميّ ، وقد بينّ الله تعالى أنّ إبراهيم عليه السلام انتصر بعد ابتلائه بابتلاءات عدّة ، واستطاع أن يحقّق فوزاً وظفراً ، وإذا تعرّض الإنسان في الحياة الدنيا إلى مجموعة من الابتلاءات في ماله ونفسه وولده ومجمعه ، ومرّ بإشكاليات كبيرة وعظيمة ، يحتاج فيها إلى حنكة في التصرف ، وقدرة على ملاحظة الحيثيات الدقيقة ، واستشراف للمستقبل الأخرويّ الذي هو الحياة الحقيقيّة مع الله تعالى ومع أوليائه ( صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ) .

## مضامين العيد.

إذن العيد يرمز إلى محتويات ومضامين كالتي اشتمل عليها شهر رمضان والحجّ ، فجاء بعدهما عيداً الأضحى والفطر ، غير أنّ كثيراً من الناس لا يعي معناه ويفكر أنّ انتهاء رمضان هو فرحة يُتاح له الحرّية ولا يعي المعنى الحقيقي للحرّية ، وتتركز هذه المضامين في خمسة أمور:

### الأول: السيطرة على النفس .

إنّ معنى الحرّية الحقيقي هو السيطرة على النفس والقدرة على التحكم بجدارة ، ولا يرتبط هذا بعلم الإنسان ، فقد يكون لديه علم كبير غير أنّه لا ينضبط ، فالمسألة لا تعود إلى العلم وحده ، بل إلى التقوى وتجذرها في ذات الإنسان . ويراد بها الانضباط العمليّ الدقيق على وفق الشريعة فلا انحراف بل استقامة وسير على الصراط المستقيم ، وهذا من الصعوبة بمكان ، ويحتاج إلى نور من الله تعالى ، لذا حُضِّ وحثّ عليها القرآن ، قال تعالى : ﴿وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup> ، فإذا اتقى الإنسان كان له فرقان يفرق به بين الحقّ والباطل ، ويعرف الصواب من الخطأ ، وتشخيصاته تطابق الواقع في الأغلب ؛ لأنّه ينظر إلى الأمور بنور الله تعالى ونظريته ثاقبة فكأنّه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق ، فيعرف الاتجاهات المخالفة لما يريد الله تعالى .

### الثاني: انطلاقة جديدة مع الله تعالى .

والعيد عودة للصائم إلى الرشد والصواب والخير والسؤدد ، وبداية انطلاقة جديدة ، وقد عبّر المصطفى ﷺ عن الخروج من الشهر وصوم رمضان بخروج

(١) البقرة ٢: ١٩٧ .

المرء من الذنوب كيوم ولدته أمه ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَهْرُ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صِيَامَهُ ، وَسَنَّ قِيَامَهُ ، فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (١).

### الثالث : فتح أبواب الخير .

إنَّ الكثير من الناس يصوم الشهر ويحجّ مدركاً بفطرته المعاني التي أشرنا إليها للصوم والحجّ ، ويقول عندما يُسأل لِمَ لا تحجّ وتؤخّره ؟ فيجيب إجابة فطريّة أريد أن يتقدّم بي السنّ وعندئذٍ أحجّ ، ويكون الحجّ مع التوبة النصوحة التي لا ذنب بعدها ، إنَّ تأخير الحجّ ذنب غير أنّ الإجابة الآنفة صحيحة من حيث المفهوم ، حيث إنّ الحاجّ والصائم ينبغي أن يصل إلى درجة للسيطرة على ذاته بحيث لا تصدر منه إلاّ صغائر الذنوب التي يتلافها بعبادته ، وكثير لا يعي محتوى الحجّ والصوم فيحجّ ويرجع إلى الذنوب الكبائر والموبقات ، بل يمارسها بسهولة وبساطة ، فقد يزني وقد يسرق ويقوم بأعمال لا ترضي الله تعالى ، وكلّ ذلك خلاف معنى الصوم والحجّ .

ومن أدرك المعاني المتقدّمة بعمق ، واستشعر المحتويات التي تتحقّق بصومه في عيده ، والتي أشار إليها الدعاء في صلاة العيد :

« أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيداً ، وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُخْرًا وَمَزِيداً ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ ، صَلَوَاتِكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ » ، فهم المراد من الصوم ، فالصائم في عيده يريد أن يدخل في جميع الخير الذي دخل فيه محمّد وآل محمّد ، وهم الذين بلغوا درجة الكمال ، ويريد أن يخرج من كلّ سوء خرج منه محمّد وآل محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهم الذين طهّروا من الرجس .

(١) بحار الأنوار : ٩٣ : ٣٤٩ ، الحديث ١٧ .

### الرابع: الوصول إلى الصلاح.

للصائم طموح للوصول إلى صلاح العمل وصلاح الذات ، لذا يدعو الله تعالى «إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ» : ويريد أن تكون أعماله على وفق الموازين الشرعية .

### الخامس : بلوغ رتبة المخلصين .

بل يرتقي في عروجه ليصل إلى مرتبة المخلصين والمخلصين ، «وَأَعُوذُ بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ»<sup>(١)</sup> : وكلا المعنيين مهم أن يصل السالك إليه أولاً يكون مخلصاً وبالإخلاص يصل إلى درجة الاجتباء والاستخلاص ، فيجتيبه الحق تعالى ويصطفيه ، وإن كان ذلك بدرجة منخفضة عبر عنها بعض العلماء بالعصمة المكتسبة ، وتلك نعمة يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده .

### يوم الجمعة العيد الأسبوعي .

من يستشعر العيد ويعي المعاني الكبيرة والجميلة التي تؤثر على سلوكه وفي نفسه يتجه إلى الله فيكون معه تعالى ، لذا أراد الشارع أن يتجدد العيد أسبوعياً ، فكل أسبوع له عيد وهو يوم الجمعة يختم به الصالح أسبوعه بخير فيعود إلى الله تبارك تعالى .

(١) بحار الأنوار: ٨٧ : ٣٧٩ و ٣٨٠ ، نقلاً عن مصباح المتهدّد : ٢ : ٦٥٤ .

## السلام مبدأ تقدم الإنسانية

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

السلام مبدأ سماوي ، قال تعالى :

- ١ - ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .
- ٢ - ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٣)</sup> .
- ٣ - ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾<sup>(٤)</sup> .
- ٤ - ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَيَّ عَبْدِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾<sup>(٥)</sup> .

### أهمية السلام .

للسلام أهمية كبيرة وفائقة في حياة الإنسان ، فهو مبدأ التقدم والرفاه والحياة

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٢١ .

(٢) الصافات ٣٧ : ٧٩ .

(٣) الصافات ٣٧ : ١٠٩ .

(٤) الصافات ٣٧ : ١٢٠ .

(٥) النمل ٢٧ : ٥٩ .

الكريمة، وإذا فُقدَ في مجال من المجالات فعاقبة ذلك التأثير السلبي والكبير على بقيّة المناحي الأخرى.

وقد عنيت الديانات السماوية بالسلام بنحو عام، وعني به الإسلام بنحو خاص لما له من أهميّة، وقد خطّط الإسلام للسلام ليكون سلوكاً عملياً للمسلم في كلّ خطوة يخطوها مع أخيه الإنسان، بغضّ النظر عن كونه مسلماً أو منتم إلى ديانة سماوية أخرى أو لا ينتمي إلى دين.

### التحيّة في الإسلام.

كان العرب قبل الإسلام إذا لقي أحدهم الآخر حيّاه بـ (أنعم صباحاً، وأنعم مساءً)، أي كن في النعيم في الصباح والمساء، والنبوي ﷺ خلّقه القرآن، فأبان التحيّة الأعظم والأكمل وهي السلام، وهي تحيّة المرء عندما يدخل الجنة، ويكون في نعم الحقّ تعالى وعطائه، والتحيّة المتبادلة بين أهل الجنة لاكتمالهم ووصولهم إلى السعادة والرفاه هي السلام، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾<sup>(١)</sup>، فأعظم تحيّة يؤدّيها المرء عندما يرْفُل بنعيم الحقّ في جناته هي السلام، وقد أبدل ﷺ التحيّة المتعارفة بين أصحابه به.

روي أنّ تحيّة أصحاب رسول الله ﷺ إذا أتوه أنعم صباحاً وأنعم مساءً، وهي تحيّة أهل الجاهليّة، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>، فقال لهم رسول الله ﷺ: قَدْ أَبَدَلْنَا اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ<sup>(٣)</sup>،

(١) إبراهيم ١٤: ٢٣.

(٢) المجادلة ٥٨: ٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٧: ٢٨، عن تفسير القمي: ٢: ٣٥٥.



فأمرهم ﷺ أن يسلم بعضهم على بعض إذا لقاه بـ(السلام عليكم).

### السلام تحية أهل السماء .

ويظهر من بعض الآثار أنه ﷺ عندما عرج به إلى السماء والتقى بالملائكة أمره الله تعالى أن يحييهم بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وردّ الملائكة عليه ﷺ بـ(السلام عليك ورحمة الله وبركاته).

### السلام من أسماء الله تعالى .

السلام اسم من أسماء الله تعالى ، ويدل على اتصافه تعالى بالسلام ، وهو صفة من صفاته تعالى ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾<sup>(١)</sup> ، أي أنه تعالى يعطي الخير والنعم لعباده ، ولا يسلب النعمة إلا عندما يتعدى الإنسان حدود الله تعالى ، جزاءً لما عمل ، أما إذا لم يتعدّ وسار في الطريق المستقيم ، فيجازيه بالخير ويعطيه النعم ؛ لأنه كتب على نفسه الرحمة ، وهو مصدر الخير والعطاء ، ولا يسلب عطاءه إلا بانحراف الإنسان عن الصراط المستقيم .

### التحية لدى الديانات غير السماوية .

المجتمعات الأخرى وأصحاب الديانات غير السماوية يحيي بعضهم بعضاً بأنواع من التحايا ، تدل على الخضوع للمُحيا ، وقد أراد الحق تعالى أن يكون الخضوع له وحده ، وإذا خضع المرء لغيره كالأبوين والأنبياء والرسل والأوصياء والعلماء فباذن منه تعالى ، إنّ تلك التحايا وإن بدت حسنة بادئ ذي بدء لكونها دالة على خضوع أحد الطرفين للآخر ، إلا أنّ الله تعالى لم يرتض ذلك للإنسان ،

(١) الأنعام ٦ : ٥٤ .

وجعله لا يخضع إلا له تعالى لكونه مصدر النعمة ، ولا يجوز الخضوع لأحد غيره إلا بإذنه ، فالخضوع للنبي ﷺ وللأئمة من أهل البيت  والعالم والوالدين بإذن منه تعالى ، والأصل أن يكون الخضوع لله تعالى ، فهو المعطي للنعم وحده ، ويجريها على أيدي بعض عباده فيؤمر بشكره بإذن الله ، ولم يرد الله تعالى لعباده أن يخضع بعضهم لبعضهم الآخر تذلاً دون إذن منه ، أمّا الخضوع للأنبياء والرسل والصالحين والوالدين فهو خضوع مشروع بإذنه تعالى .

### حقيقة السلام .

أراد الله تعالى أن يكون السلام مبدأً عاماً لأنه اسمه الدال على صفته ، وهي إعطاء الخير والسلامة والنعمة ، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾<sup>(١)</sup> ليرتبط ذلك بأمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه ، ولتتمكن من التقدم في شؤونه الأخرى ، وما لم يتحقق له الأمن لن يستطيع التقدم في أي مجال ، ونشاهد ذلك في العالم ، فإذا أحرز مجتمع تقدماً وفقد الأمن تهقر إلى الوراء وقضى على تقدمه لعدم توافر الأمن في إحدى الجهات .

### السلام دعاء وتضرع لله تعالى .

شرع الله تعالى للمسلمين - وللإنسانية بنحو عام - أن يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام ؛ لأنه دعاء يضرع الداعي به إلى الله تعالى بأن يعطي الطرف المقابل السلام في أهله وماله وعرضه وجميع ما يتعلق بشؤونه ، وهذا أمر غاية في الأهمية أفصحت عنه الروايات ، يتضح بفهم أن الدعاء لا بد أن يُقرن بالعمل ، أي أن تدعو بالسلام وتعمل ما يحقق ما دعوت به ، فالسلام له معانٍ : منها السلامة والدعاء

(١) الأنعام ٦ : ٥٤ .

والعمل وبذل الجهد في إيصال المدعوه إلى السلام .

### الآثار المترتبة على السلام :

لا بد أن يعرف البادئ بالتحية والمحيا أن هناك آثاراً تترتب على السلام قد أوضحت في الروايات وهي كالتالي :

#### الأول : السلام تحية وأمان .

قال ﷺ : « إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ تَحِيَّةً لِأَهْلِ دِينِنَا ، وَأَمَاناً لِأَهْلِ ذِمَّتِنَا »<sup>(١)</sup> ، أي ليس تحية فحسب ، بل أمان لأهل الذمة .

#### الثاني : القرب من الله تعالى .

يؤدي السلام إلى القرب من الله تعالى ورسوله ﷺ ، روي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ »<sup>(٢)</sup> ، ومعنى « أَوْلَى » الأقرب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي أقرب الناس إلى منهجه ، فالأقرب إلى الله تعالى وإلى النبي ﷺ من يبدأ بالسلام ، ويجعله سلوكاً يتجسد عملياً في شخصيته .

#### الثالث : الاتصاف بالإيمان .

السلام صفة يتصف بها المؤمن ، وهي من أخلاق المؤمنين ، قال الإمام السجّاد عليه السلام : « مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ : الْإِنْفَاقُ عَلَى قَدْرِ الْإِقْتَارِ ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى قَدْرِ

(١) المعجم الصغير : ١ : ٧٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٣ : ١٢ .

(٣) آل عمران : ٣ : ٦٨ .

التَّوَسُّعُ ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ ، وَابْتِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup> .  
 قوله عليه السلام: «مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ: الْإِنْفَاقُ عَلَى قَدْرِ الْإِقْتَارِ»: أي أنه وإن كان في ضائقة مالية يسهم بالبذل والعطاء، ويكون عنصراً فعالاً في الأمن الاقتصادي .  
 قوله عليه السلام: «وَالتَّوَسُّعُ عَلَى قَدْرِ التَّوَسُّعِ»: أي إذا وسَّع الله تعالى عليه رزقه بذل بنحو أكبر وأعظم، ووسَّع على عياله وغيرهم .  
 قوله عليه السلام: «وَإِنْصَافُ النَّاسِ»: الإنصاف خلاف الظلم، أي يتجنَّب الظلم .  
 قوله عليه السلام: «وَابْتِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ»: يتحدث الإمام السَّجَّاد عليه السلام عن صفات لا بدَّ أن تتوافر للمؤمن، ويبيِّن أنَّ منها الإنفاق، وبذل المال في الإقتار، والسعة واليسار، ومنها الإنصاف والعدل، ومنها البدء بالسلام، ليجسِّد شرائع الله تعالى في نفسه ومجتمعه .

### الرابع: السلام والأمن الاجتماعيّ .

إنَّ المشاكل التي تعيشها المجتمعات البشريّة - خاصة أمتنا الإسلاميّة - سببها التعدّي على الآخرين في الجانب الاقتصاديّ، كما تذكر وكالات الأنباء، فالرئيس يقتر على شعبه ويسلبه الأمن والسلام .  
 وقد ربط الإمام عليه السلام بين الإنفاق في حال الإقتار واليسار وبين السلام؛ لأنَّ الشعوب إذا تُعدّي عليها فإنَّ الظلم وعدم الإنصاف نتيجته سلب الأمن والسلام الاجتماعيّ، لذا أكَّد الإسلام على البدء بالسلام، ليكون خُلُقاً يصدر من المسلم في كلِّ تصرف، خصوصاً في الجانب الاقتصاديّ كما بيَّنه الإمام عليه السلام بقوله: «الْإِنْفَاقُ عَلَى قَدْرِ الْإِقْتَارِ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى قَدْرِ التَّوَسُّعِ» .

(١) بحار الأنوار: ٦٤ : ٣٦١، عن الكافي: ٢ : ٢٤١ .

### الخامس : السلام مرآة التواضع .

قال إمامنا الصادق عليه السلام : « مِنْ التَّوَّاضِعِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ مِنْ لَيْتٍ »<sup>(١)</sup> .  
 التواضع خلق عظيم ، ومن أراد الاتِّصاف به فعليه أن لا يعلو في الأرض ، ويسير على وفق ما يريد الله تعالى ، ذلك معنى التواضع ، ويتحقَّق بالبدء بالسلام على من تلقاه ، جاء في وصف النبي صلى الله عليه وآله عن هند ابن أبي هالة ، أنه صلى الله عليه وآله « ويبدر من لقي بالسلام »<sup>(٢)</sup> ، أي يبادر بالسلام على من يلقاه ، يدعو الله تعالى بالسلامة له في نفسه وماله .

### تجسيد السلام في السلوك .

يلتقي النبي صلى الله عليه وآله طيفاً متعدداً - الملحد والذمي والمسلم - وخُلِقَ صلى الله عليه وآله أن يبدأهم جميعاً بالسلام ؛ إذ يدلُّ السلام على التواضع والكرم الأخلاقي - لين العريكة والمرونة في التعامل - بينما السلبي من الناس هو من لا يُحيي الناس بالسلام ، ولا يدعو لهم بالرفاه والتقدّم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ »<sup>(٣)</sup> : ومن حقوق المسلم على أخيه المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه .

### نشر السلام في العالم .

اختصر المصطفى صلى الله عليه وآله المعاني المتقدّمة في حديث واحد ، فقال صلى الله عليه وآله : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟  
 قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(١) بحار الأنوار : ٧٢ : ١٢٠ ، عن الخصال : ١ : ١١ ، الحديث ٣٩ .

(٢) المعجم الكبير : ٢٢ : ١٥٦ . مجمع الزوائد : ٨ : ٢٧٣ .

(٣) أمالي الطوسي : ٨٩ . روضة الواعظين : ٢ : ٤٥٩ .

فَقَالَ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ فِي الْعَالَمِ»<sup>(١)</sup>، فمن أراد أن يتَّصف بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة ليكون أفضل شخص في الدنيا، وأفضل شخص تمتع بخلق حال انتقاله إلى عالم الآخرة ليعيش النعيم المقيم. فالسلام لا يخص طائفة ولا أحداً فُتُحِيَّي الناس وتسعى جاهداً لجعله مبدأ في العالم، ولا يخص ذلك البشر فحسب بل يشمل العالم كله.

---

(١) بحار الأنوار: ٧٣: ١٢.

## الإسلام والوسواس القهريّ

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (١)

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢)

صدق الله العليّ العظيم

### قاعدتا «لا ضرر» و «لا حرج».

بنيت الشريعة الإسلاميّة على الوسطيّة في أحكامها، والسهولة في التطبيق، لأداء مفرداتها العباديّة والمعاملاتيّة، وشُرّع كلّ حكم من أحكامها على أساس المرونة في تطبيقه؛ لأنّ الله تعالى لا يريد أن يشقّ على الإنسان في أدائه للتكليف، وقد أعطى العلماء قواعد استنبطوها من القرآن الكريم، والروايات الواردة عن النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، من تلك القواعد قاعدتا (لا ضرر) و (لا حرج)، المشهورتان في الفقه.

### الأدلة على نفي الحرج والضرر.

أبان القرآن الكريم قاعدة (لا حرج) بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

(١) البقرة ٢: ١٨٥.

(٢) البقرة ٢: ٢٨٦.

مِنْ حَرَجٍ<sup>(١)</sup>، أمّا قاعدة (لا ضرر)، فلها قصة مشهورة وردت في تطبيق عملي؛ إذ أنّ بعض الصحابة باع بيتاً واستثنى نخلة له، وكان يؤذي صاحب البيت -المشتري- وأراد المشتري أن يتخلّص من الإيذاء فحاول أن يشتري النخلة إلا أنّ الصحابي لسوء سريره، وقبح طويته، لم يرد أن يبيع تلك النخلة على المشتري، فاشتكى المشتري إلى رسول الله، وحاول النبي ﷺ أن يشتري تلك النخلة بأضعافها، أو بنخلة بدلاً عنها في الجنة، غير أنّ سوء سريرة صاحب النخلة لم يقبل ما قدّمه النبي ﷺ بأخذ نخلة في الجنة بضمانه ﷺ، ثمّ أنّ النبي ﷺ بعد أن رفض الصحابي عرضه، قال ﷺ للمشتري: اقلع هذه النخلة وارم بها، وقال ﷺ لصاحبها: «إِنَّكَ رَجُلٌ مُضَارٌّ، وَلَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ عَلَى مُؤْمِنٍ»<sup>(٢)</sup>، وقد استنبط الفقهاء أحكاماً فقهية وتطبيقات عملية كثيرة منها: وكذلك من قاعدة (لا حرج).

### اليسر والسهولة في الشريعة.

وهنا نبين مسألة هامة يقع فيها بعض الشباب والشابات وبعض المتديّنين الذين لا يفقهون السهولة في تطبيق أحكام الشريعة، ويتقلون على أنفسهم بتحمّل ما لا يريد الله تعالى، وقبل إيضاح ذلك نشير بنحو مقتضب أنّ القاعدة الأساسية والهامة هي السهولة واليسر والمرونة والرفق في أداء التشريعات الإسلامية، ومستند السهولة واليسر الآيات التي ذكرناها، وبعض الأحاديث التي وردت عن النبي كحديث (لا ضرر) الذي تقدّم، وكقوله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغُلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُكْرَهُوا عِبَادَةَ اللَّهِ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ فَتَكُونُوا كَالرَّائِبِ الْمُتَنَبِّتِ الَّذِي لَا سَفَرًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَىٰ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الحجّ ٢٢: ٧٨.

(٢) الكافي: ٥: ٢٩٤، الحديث ٨.

(٣) الكافي: ٢: ٨٦، الحديث ١.



وهناك كثير من الروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام يستفاد منها هذا المعنى .

### الفهم الخاطيء للشرعية .

غير أن من لا يعي هذا الجانب في الشريعة الإسلامية يوقع نفسه ومن يحيط به - خصوصاً الأقربين منه - في الضرر والحرَج ، ويدمر شخصيته ، ويقضي على إمكانياته ، وبدلاً من أن يصبح عضواً فاعلاً في المجتمع يصبح ضاراً له ولنفسه ، وكذا الحال مع بعض الفتيات بدلاً من أخذ التدين طريقاً للرقى ؛ لأن حقيقة الدين هي الارتباط الوثيق مع الله تعالى ، والعمل بتشريعاته الموصلة إلى السعادة ، هذه هي حقيقة الدين ، غير أن البعض يفهم الدين على أساس العسر والحرَج ، وعلى أساس الضرر الذي يقع فيه المتدين فتتقلب المعادلة ، ويصبح الدين غير موصل للإنسان إلى سعادتَي الدارين ، بل يوصل المتدين إلى تعاستهما - التعاسة في الدنيا والتعاسة في عالم الآخرة - لأن بعض المتدينين يحافظ على القشور ولا يلتفت إلى اللب والغاية ، ولا بد من النظر إلى مسألة اللب والجوهر فلا يحافظ على القشر ويترك لب الدين وجوهره .

### خطر مرض الوسواس .

ما نراه لبعض شبابنا وفتياتنا المتدينين والمتدينات ، عندما يبدأ الشاب مساره يقع في إشكاليات في التعامل مع أهله وذويه ، لعدم فهمه لدقة التشريع والمرونة في تطبيقه ، ولمغالاته في التطبيق ، إن الله تعالى أمرنا أن نؤدي الصلاة بالنحو الطبيعي الذي يتاح لكل إنسان أن يأتي به ، فيؤتى بالصلاة على وفق ما أفاده الفقهاء في رسائلهم العملية ، غير أن البعض لشدة تدينه يضيق على نفسه في أدائه للصلاة إلى أن يصل به الحال إلى تكرار تكبيرة الإحرام فلا يستطيع أن يكبر ، أو تكرار

البسمة فلا يستطيع أن يبسم، أو الشك في ركعات الصلاة فلا يستطيع أن يحفظ الحالة التي هو عليها، ويكبر الشك لديه ويقع في شكوك لا نهاية لها، حتى يصاب بالوسواس وكثرة الشك في الطهارة، فلا يستطيع أن يتوضأ وقد يحتاج في وضوئه أو غسله إلى أكثر من ساعة أو ساعتين، فيمضي وقت الصلاة دون أن يستطيع الوضوء والصلاة، وهذا عكس ما يريد الله تعالى من الإنسان.

### حقيقة الوسواس القهريّ .

الصلاة طريق للاطمئنان والارتباط بالله تعالى، وتبين النصوص عندما نرجع إليها أن الصلاة تُحقّق للمصلّي الطمأنينة وعمق الارتباط بالحقّ تعالى « الصلاة عمود الدين ... فإنّ قبلت قبل ما سواها، وإنّ ردّت ردّ ما سواها »<sup>(١)</sup>.

إنّ الوسواس مرض عضال يستفحل لدى بعض الفتية والفتيات، ويسمّيه الأطباء بالوسواس القهريّ، وحقيقته تكرار مجموعة من الأفكار الخاصّة تدور في خلد كدوران السي دي (CD) في الحاسب الآليّ، ومن يُصّب بالوسواس القهريّ يركّز على المعلومة، كالشك في الصلاة -أنا صلّيت أم لم أصل - ويبدأ ذهنه إلى الانتقال للشك في عدد الركعات هل أنّه في الثالثة أو الرابعة؟ ثمّ في الأفعال هل أنّه سلّم أم لم يُسلّم؟ وهل بَسَمَل أو لم يُبَسَمَل، وهلمّ جرّاً.

### موقف الإسلام من الوسواس .

إنّ تكرار العمل بهذا النحو ليس بصحيح في الشريعة، بل منبوذ يوجب البعد عن الله تعالى وعن منهجه، كما أنّ من يفعل ذلك لا يكون عادلاً، وقد أفتى بعض المجتهدين بأنّ الوسواسيّ إذا شهد لا تقبل شهادته لأنّه لا يطيع الله تعالى، وإنّما

(١) بحار الأنوار: ١٠: ٣٩٤، نقلاً عن أمالي الصدوق: ٦١٤.

يطيع الشيطان؛ إذ الشرع غايته اليسر، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup>، هذه هي إرادة الحق في المجال التشريعي العبادي والمعاملاتي بين العبد وربّه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، والكون عامّة، وإذا اختار الوسواسي العسر لنفسه أصبحت إرادته مضادّة لإرادة الحقّ تعالى، لذا استشكل بعض العلماء في عدالته لإطاعته للشيطان.

### قوة المؤمن في مواجهة منشأ الوسواس .

يطبق المؤمن المنهاج الإلهي في مساره العامّ . نعم، قد يصاب بالوسواس ليوم أو يومين نتيجة لمصيبة حلّت به أو مرض ألمّ به، لكنّه سرعان ما يتلافى ذلك ويخرج قوياً ثابتاً، لتوكّله على الله تعالى قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

### معالجة الوسواس .

هناك طرق متعدّدة لعلاج من أصيب بهذا الداء، من أنجعها ما قدّمه الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن كثرة شكّ الرجل في عدد الركعات حتّى لا يدري كم صلّى، ولا ما بقي عليه، قال: يُعِيدُ، فقليل له: فإنّه يكثر عليه ذلك، كلّما أعاد شكّ؟ قال عليه السلام: يَمْضِي فِي شَكِّهِ، ثمّ قال: لَا تُعَوِّدُوا الْخَبِيثَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نَقْضَ الصَّلَاةِ فَتَطْمَعُوهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ خَبِيثٌ مُعْتَادٌ لِمَا عُوِّدَ بِهِ، فَلْيَمْضِ أَحَدُكُمْ فِي الْوَهْمِ، وَلَا يُكْثِرَنَّ نَقْضَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّاتٍ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ الشُّكُّ، ثمّ قال عليه السلام: إِنَّمَا يُرِيدُ الْخَبِيثُ أَنْ يُطَاعَ فَإِذَا عَصِيَ لَمْ يَعُدْ إِلَيْ أَحَدِكُمْ<sup>(٣)</sup>، أي من يصاب بهذا المرض عليه أن يدع العمل الذي يكرّره ويكتفي بإتيانه بالنحو الطبيعي، وبذلك

(١) البقرة ٢: ١٨٥.

(٢) الطلاق ٦٥: ٣.

(٣) تهذيب الأحكام: ٢: ١٨٨.

يُشفى ويحقق ما يبتغيه، ويمكن أن نسمي هذه القاعدة بقاعدة (يدع)، أي يترك ولا يعتني، فمن كان لديه وسواس في البسمة فليدع تكرارها ويبسمل بالكيفية التي يستطيع أن ينطق بها بأي نحو، حتى لو بسمل غلطاً لا يضره ذلك وصلاته مقبولة، هذه هي الوظيفة العملية، وحل المشكلة كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام فلا يكرر الإنسان ما يدعوه إليه ذهنه؛ لأنّ الذهن المصاب بالوسواس القهريّ تدور فيه الأفكار بنحو سريع كدوران (CD) كما أسلفنا، ومن فعل ذلك واستجاب فهو لا يطبق حكم الشارع، وإنما يطبق ما يدور في خلدته، وكذا الحكم فيمن أصيب بالوسواس في تكبيرة الإحرام، يكبر مرّة واحدة، وهي مقبولة عند الله تعالى، ولا يجب عليه التكرار أبداً، كما أنّ من شكّ في عدد الركعات عليه أن يصلي ويبنى على الصحة، ومن ثمّ بممارسة الوظيفة العملية التي أمر بها الإمام الصادق عليه السلام، يجد أنّ العناية واللفظ الإلهي يحيطان به من كلّ جانب، فيتغلب على المشكلة ويعود إنساناً سوياً طبيعياً سائراً في الاتجاه المستقيم الذي رسمه الشارع.

أما من سار في الاتجاه الذي رسمته نفسه، ودعاه إليه الشيطان، سوف يدمر شخصيته، ولن يستطيع التخلص من الوسواس والشك، بل سيزداد من أصيب بالوسواس القهريّ ولن يتخلص أبداً، وسيدمر كلّ طاقاته ويتحوّل من عضو فاعل في المجتمع إلى عضو مشلول.

إنّ على المجتمع أن يولي عناية بالمصاب، ويسهم في إنمائه ليشفى، فيسهم في نموّ المجتمع ورقية حينئذٍ. (يدع) قاعدة ودواء قد جرب، ومن طبّقه وسار على وفق هذا التعليم الصادقيّ برأ وأصبح سوياً مستقيماً.

### الانتكاسة في متابعة الوسواس.

أما من لم يأخذ بالتعليم الصادقيّ في التعامل مع الوسواس سيبتكس على أمّ رأسه، ويزداد وتسوء حالته، أو يبقى على الحالة التي هو فيها، بل قد يصاب

بأمراض لا حدود لها ، فيصاب بمرض عضويّ بالإضافة إلى المرض النفسيّ .

### كثير الشكّ والوسواسيّ .

عالج الشارع المقدّس هذه الحالات بطرق متعدّدة كقاعدة ( لا شكّ لكثير الشكّ ) ، أي أنّ كثير الشكّ لا يعتني بشكّه ، ومعنى ذلك أنّ من شكّ عليه أن لا يلتفت بل يمضي ، وقد ذكر العلماء ضابطة لكثير الشكّ هي إمّا أن يرجع إلى العرف فيرى أنّ العرف يراه كثير الشكّ ، أو أنه يشكّ في كلّ ثلاث صلوات مرّة فيصبح كثير الشكّ ، أي أنّه مصاب بالوسواس القهريّ في الأعمال .

إنّ على المكلف في الصلاة أو في الطهارة أن يعلم أنه قد يدمرّ حياته وحياة المحيطين به بسبب الوسواس القهريّ في الطهارة ، ويخسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

### قاعدة نفي الحرج والتسهيل .

وهناك قاعدة ثانية هي التذكّر لأي القرآن الكريم التي جسّدت مقاصد الشريعة كآية نفي الحرج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(١)</sup> ، وآية اليسر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وآية ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٣)</sup> .

### الوسواس يقضي على حياة المرأة .

من هنا لا بدّ أن ننبه إلى أهمّ مرتكزات الشارع ، ونعلّم أبنائنا وبناتنا الأسس والقواعد التي بها يستطيعون ويستطعن التخلّص من ذلك ، خصوصاً الإناث ،

(١) الحجّ ٢٢ : ٧٨ .

(٢) البقرة ٢ : ١٨٥ .

(٣) البقرة ٢ : ٢٨٦ .

فإنه يصيب بهذا الداء أكثر من الذكور مع شدة خطورة ذلك؛ إذ الإصابة بهذا المرض تدمر الحياة الزوجية، وتوقع في إشكالية كبيرة، وقد لا تستطيع المرأة المصابة أن تربي أبنائها، وهنا عليها أن تعالج نفسها إذا كانت حصيفة في رأيها، وترتكز على الوسطية فكل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده، والرايكية والغلو لا يجلبان توفيقاً بل يوقعان في إشكاليات لا حدود لها، وما أروع الأخذ بالمنهاج الوسطي في علاقات الإنسان مع أخيه، ومع مبداءه تعالى؛ لأن الوسطية مبدأ هام أكد عليه في الروايات والآيات القرآنية.

### الوسواس سبب ترك الصلاة.

قد يستفحل هذا الداء في بعض الأشخاص فلا يستطيع أن يصلي صلاتي الظهر والعصر؛ لأنه لا يستطيع أن يتوضأ فلا يستطيع أن يصلي فيترك الصلاة، أو لا يستطيع أن يقرأ، مع أنه في غير الصلاة تجده فصيحاً طلقاً، لهيمنة الشيطان عليه في نطقه فينطق بالكلمات مغلوطه لشدة حرصه على النطق الصحيح، وعلاجه أن يمشي سويّاً على صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، ومن طبّق ذلك شفي وزال داءه، وحسنت أحواله.

### إرشاد الإمام الصادق والطب النفسي.

ما أفاده الإمام الصادق عليه السلام من العلاج بالترك دواء ناجع، وبلسم شافٍ، وقد ذكرته لأحد كبار الاستشاريين في الأحساء، هو الدكتور علي الخرس - طبيب نفساني بارز - فقال: هذا هو خلاصة ما توصل إليه الطب النفسي في العلاج والشفاء، فبالترك وعدم معاودة التفكير يصبح المريض سويّاً.

(١) الملك ٦٧: ٢٢.

## تأصيل مفردة العالم في الإسلام

### القسم الأول

#### مكانة العالم السامية

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

#### ثمار مرتبة العلم :

وردت عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام آيات وروايات متعددة تفصح عن المكانة الكبيرة والمنزلة الرفيعة للعالم ، وأن له رتبة تترتب عليها ثمار كثيرة ، نستعرضها إجمالاً :

#### الأولى : العلم يتلو الإيجاد في الفضل .

من الآيات القرآنية التي وردت في فضل العلم أنه بعد نعمة الوجود مباشرة ، قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

---

(١) فاطر ٣٥ : ٢٨ .

\* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ ، يبين الله تعالى أنه الخالق لعالم الوجود ، ويأمر بالتعلم ؛ لأن العلم في الرتبة الثانية بعد الوجود .

### الثانية : فضل العالم على العابد .

رتب القرآن الكريم التفاضل على أمور :

منها : تقوى الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢) . ومنها : العلم ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٤) .

وجاء في الروايات عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام الكثير في فضل العالم ، من ذلك ما جاء عن النبي ﷺ : « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ » (٥) يقارن ﷺ بين صنفين من الناس ، ليس بين العالم وسائر الناس ، بل بينه والعابد المتصل بالله تعالى ، فيقول : « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ » أي أن فضل النبي ﷺ على أدنى شخص في رتبته يتبين منه عظمة العالم ، فهو صاحب فضل كفضله ﷺ على أدنى الخلق .

وقال ﷺ : « فِقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ » (٦) : إذ الفقيه يحجز الناس عن الشيطان . نعم ، يمكن أن يمارس هذا الدور في إبعاد الناس عن تسويلات الشيطان غير العالم ، غير أنه لن يكون ذلك الدور كدور العالم ، فهو أعظم من

(١) العلق ٩٦ : ١ - ٤ .

(٢) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٣) الزمر ٣٩ : ٩ .

(٤) المجادلة ٥٨ : ١١ .

(٥) بحار الأنوار : ٦١ : ٢٤٥ .

(٦) عوالي اللئالي : ١ : ١٨٩ ، الحديث ٢٦٩ .



ألف عابد، وتلك رتبة عظيمة بيّنها الحديث .

### الثالثة : العالم منطلق الهداية .

قال ﷺ : « إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَإِذَا طُمِسَتْ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ »<sup>(١)</sup> : أي كما أنّ النجوم يُهْتَدَى بها وتحفظ استقرار الكون ، فإذا انطمست النجوم تلاشت الكرة الأرضية ، ولن يتمكن الخلق من الاستقرار ، كذلك وجود العلماء فهم نجوم يهتدي بهم الخلق إلى الحق ، ومن دونهم لا استقرار للخلق .

### الرابعة : العلم أفضل قرين للحلم .

وعنه ﷺ : « فَإِنَّ الْعَالِمَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »<sup>(٢)</sup> : من أراد أن يجمع بين شيئين شريفيين وعظيمين لن يجد أفضل من اقتران العلم بالحلم ، بيّن ﷺ رتبة العلم وقرنه بالحلم والأناة ، أي عدم الاستعجال في اتخاذ القرار .

### الخامسة : تفوق العلم على العبادات .

جاءت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا السياق ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام : « فَإِنَّ الْعَالِمَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، الهدف من الخلق أن يكون المرء عابداً لله تعالى ، ومن مفردات العبادة الصوم والصلاة والجهاد في سبيل الله تعالى ليكون العابد على اتصال وثيق به تعالى بعبادته ، وقد ذكر الصوم والصلاة والجهاد في سبيل الله تعالى لأنها من أعظم العبادات ، فمن كان يقوم

(١) بحار الأنوار : ٢ : ٢٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٢ : ٤٣ ، الحديث ١٢ ، نقلاً عن الإرشاد : ١ : ٢٣٠ .

الليل بابتهاش وضراعة ، و يصوم النهار ليتقرب إلى الله تعالى ، فللصوم الفضل الكبير ، جاء في الحديث القدسي : «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ هُوَ لَهُ غَيْرَ الصَّيَامِ هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»<sup>(١)</sup> ، والجهد في سبيل الله تعالى فإن الذي يزود عن قيم الحق ومبادئ العدل سوف ينال علو الدرجات ورفع الشان عند الله تعالى ، غير أن هذه الرتب مجتمعة لا يصل بها العابد إلى منزلة العالم ، فهو أفضل من العابد الذي جمع بين القيام بين يدي الله تعالى ، والصوم والجهد في سبيله تعالى ؛ إذ أن «قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ»<sup>(٢)</sup> .

### ميّزات العالم في وظائفه :

إذا كان العالم ثمرة من ثمار العلم الكبيرة ، فله ميّزات خاصة تتعلق بدوره الريادي ، نستعرض بعضها :

### الأولى : انتفاع الناس بعلمه .

العالم إذا كان علمه مورد انتفاع الناس - أي ينهل الناس من معين علمه ويستفيدون منه - وكان علمه سلسيل زلال ، فإن فضله عظيم ، قال الإمام الباقر عليه السلام : «عَالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ»<sup>(٣)</sup> . هذا الكم من العباد هو مجموعة مدن متعدّدة لا تصل إلى رتبته بل هو أفضل ، وهذه الرتبة العظيمة التي أفصحت عنها الروايات ليست لكل عالم ، بل الذي توافرت فيه شرائط خاصة ليصبح بها صاحب المرتبة التي تحدّثت عنها الروايات ، أما إذا لم تتوافر تلك الشرائط فيه فلن يستفيد من علمه .

(١) الخصال : ١ : ٤٥ .

(٢) بحار الأنوار : ١ : ١٦٥ ، الحديث ٤ ، نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق : ٤٤٧ ، الحديث ٩ .

(٣) بحار الأنوار : ٢ : ١٩ ، الحديث ٤٥ ، نقلاً عن بصائر الدرجات : ١ : ٦ ، الحديث ١ .

### الثانية: الخشية والخوف من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، فالعالم يخاف الله تعالى، وخوفه يتوقف على معرفته الحقّة به تعالى، جاء في الأثر: «مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخْوَفَ»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن سيّد الرسل: «أَنَا أَخْوَفَكُم مِّنَ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>، فالعلم يؤدّي بالعالم إلى الخوف من الله تعالى وخشيتيه.

وفي الدعاء: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ كَأَنِّي أَرَاكَ، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ»<sup>(٤)</sup>، وإذا وصل إلى هذه الرتبة في معرفة الله تعالى سيرى الله تعالى حاضراً وناظراً ويخافه.

### الثالثة: الإخلاص في طلب العلم.

ينبغي أن يتوافر في العالم الإخلاص في عمله لله تعالى، فبالإخلاص يكون الخلاص، وكلّ العبادات إذا لم يأت بها العابد مخلصاً لوجهه تعالى لن يستفيد منها، جاء في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»<sup>(٥)</sup>.

وفي الرواية عنه ﷺ: «مَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ وَعَمِلَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَهُوَ حَظُّهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) فاطر ٣٥: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧: ٣٩٣، الحديث ٦٤.

(٣) جامع السعادات: ١: ٢٠٣.

(٤) مصباح المتهجد: ١: ٢٧٠.

(٥) بحار الأنوار: ٦٧: ٢٢٢.

(٦) عوالي اللئالي: ٤: ٧٧، الحديث ٦٦.

وعنه عليه السلام: « من طلب العلم لغير العمل فهو كالمستهزئ بربه عز وجل »<sup>(١)</sup>.

إذن من صفات العالم -بالإضافة إلى خشيته لله تعالى - أن يكون مخلصاً بعلمه وتعليمه ليحصل على الرتبة السامقة ، وأن لا يتعلم ليقول الناس أنه عالم بل عليه أن يكون همّه الوصول إلى الله تعالى ، ويخلص له تعالى في علمه ، ومن كان كذلك ترتبت عليه الآثار المشار إليها في الروايات .

### عاقبة عدم الإخلاص .

من لم يخلص لله تعالى في علمه وأراد غيره تعالى فلن يستفيد من علمه ، بل سيكون علمه وبالاً عليه ، ويتسافل في علمه ولن يصعد به أبداً ، وقد أورد لنا القرآن الكريم قصة بلعم بن باعوراء الذي أشارت بعض الروايات أنه وصل إلى درجة عالية في رتبته الوجودية عبر عنها بإعطائه الاسم الأعظم ، فإذا دعا الله تعالى استجاب له ، وكان واسع العلم بمثابة مرجع من المراجع الكبار ، لكنه استجاب لفرعون لما باءت محاولاته بالفشل في القضاء على موسى عليه السلام ، فطلب فرعون منه أن يخلصه من موسى عليه السلام ، وهو عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، ومن يريد أن يتخلص من نبي من أنبياء الله تعالى ، فإن هدفه ليس الله تعالى ولن يكون مخلصاً له تعالى .

وقد عبر القرآن الكريم عن عمله في محاربة الحق بأنه إخلاد إلى الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فهو يلهث خلف سراب لا قيمة له ؛ لأنه لا يبتغي الله تعالى فنزل من رتبته إلى رتبة الكلب .

(١) كنز العمال : ١٠ : ٢٠٣ ، الرقم ٢٩٠٦٦ .

(٢) الأعراف ٧ : ١٧٦ .

### الرابعة: أهداف العالم إلهية .

إنّ ما ورد من رتبة عالية وعظيمة لا تترتب بنحو مطلق ، بل بتوافر صفات في العالم لتكون له تلك الرتبة المشار إليها في آي القرآن الكريم والروايات ، من صفاته -بالإضافة إلى خشية الله تعالى والخوف منه والإخلاص - أن لا يعمل إلا الله تعالى ، فليس لديه غاية غير الله تعالى . نعم ، قد يلاقي مشاكل كثيرة ، ويفهم بأنحاء مختلفة ، غير أنه إذا كان همّه الله تعالى فلن يؤثر ذلك فيه ، بل لعلّ القراءات المتعدّدة لشخصيته تزيده إصراراً وثباتاً على مبدئه .

### الخامسة: الاستقامة في العمل .

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فيها : « يَا هِشَامُ ، لَوْ كَانَ فِي يَدِكَ جَوْزَةٌ وَقَالَ النَّاسُ لَوْلُؤَةٌ مَا كَانَ يَنْفَعُكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا جَوْزَةٌ ، وَلَوْ كَانَ فِي يَدِكَ لَوْلُؤَةٌ وَقَالَ النَّاسُ إِنَّهَا جَوْزَةٌ مَا ضَرَّكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْلُؤَةٌ »<sup>(١)</sup> اللؤلؤة باقية لم تتأثر بأقوال الناس ، ومن يعمل لله تعالى لن يتأثر بأقوال الناس فيه .

وهناك رواية تبين أنه ليس بمستطاع أحد أن يكفّ ألسنة الناس عنه ، خلاصتها أنّ يحيى عليه السلام تأذى من الناس وطلب من الله تعالى كفّ ألسنتهم عنه ، فقال الله تعالى لموسى : هذا شيء لم أجعله لنفسى ، كيف أجعله لك ؟<sup>(٢)</sup> أي أنّ الله تعالى لم يكفّ ألسنة الناس بالقدرة التكوينية عنه تعالى ؛ لأنّ هذا العالم عالم اختبار وامتحان باختيار ، وكلّ أحد يتحدّث بما شاء غير أنّ عليه أن يضع أمام عينيه الموازين ويزن نفسه بالقسطاس المستقيم ، ولا يطلق لسانه على عواهنه ويتحدّث كيف شاء ، بل يراعى الضوابط الشرعية ، ومن كان كذلك قلّة ، قال تعالى :

(١) بحار الأنوار : ١ : ١٣٦ ، نقلاً عن تحف العقول : ٣٨٦ .

(٢) كنز العمال : ١١ : ٥٢٣ .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

### السادسة: العمل بالعلم.

للعمل أهميّة كبيرة والعلم وحده دون عمل لا قيمة له ، ولن يستفيد منه العالم ؛ إذ أنّ الاستفادة موقوفة على العمل ، وتؤكد الآيات القرآنيّة والروايات توكيداً كبيراً على أهميّة العمل ، وأنّ العلم دون عمل لا فائدة فيه ، بل عبّرت عنه بعض الروايات بالجهل ، وعبر القرآن الكريم عن العالم غير المخلص بالكلب ، وعن العالم الذي لا يستفيد من علمه بالحمار ، قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

### السابعة: الشجاعة والتضحية.

الشجاعة والجرأة ، فلا يخاف في الله تعالى لومة لائم ، وقد يؤدّي به ذلك إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى ، ويقع مورد الملامة ، غير أنّ الأجيال التي تأتي بعده تكتشف شخصيته ، وضحك الناس عليه في زمانه ، ووسمهم إيّاه بعدم الفهم ، لا يضرّه لأنّه ينطلق من ضوابط وأسس رصينة ، ويسير في اتجاه الصواب ، وكلام الناس عليه لا يضيره شيئاً إذا كان على الحقّ ، لقد قال الناس في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وهو ميزان الأعمال - بأنّه لا يفهم أمور الدنيا ، والدنيا جاءت وأصبحت بين يديه وكان يستطيع بكلمة واحدة أن يصل إلى الملك ، غير أنّه ضيّع الفرصة على نفسه ، قيل فيه ذلك في زمانه وبعد زمانه ، مع أنّه عليه السلام لو قال تلك الكلمة لتحول عن كونه يهدي إلى الله تعالى إلى شخص كسائر الناس ، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك قائلاً :

(١) سبأ ٣٤ : ١٣ .

(٢) الجمعة ٦٢ : ٥ .

«وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يُغْدِرُ وَيَفْجُرُ»<sup>(١)</sup> ، وهو عليه السلام لا يستطيع فعل ذلك لأنه يريد إيصال الخلق إلى الصراط المستقيم الذي يريده القرآن ، وذلك يتطلب منه ثقل المسؤولية ، وإشكاليات يصعب على المرء أن يتحملها ، وقد عُرف الإمام عليه السلام بعد زمانه بأحقاب فاكْتُشف وقيل إنّه دقيق النظر يسير على أسس وضوابط ، وأنه عليه السلام مثل القرآن الكريم يكتشف الناس حقيقته وعظمته بعد حين ، وكذلك العلماء خاصّة من كان عنده نظرة ثابتة ورؤية استشراف للمستقبل مع فهم دقيق لما يدور حوله .

### الثامنة : القدرة الفائقة على التشخيص .

أشارت بعض الروايات إلى هذا المعنى بأنّ العالم هو العالم بزمانه الذي لا تهجم عليه اللوالبس ، ولا تحجبه الأحداث ، بل يعرف كيف يتّخذ الموقف بنحو دقيق ويستلّ نفسه من الشبهات كالشعرة من العجين ، لكونه دقيق النظر ، واسع الأفق ، يعرف وجهته .

## القسم الثاني

### العالم بين الوسطية والتطرف

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(٢)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

### مكانة العالم :

استعرضنا مكانة العالم السامية ومنزلته الكبيرة في الشريعة الإسلامية ، بل في

(١) نهج البلاغة : ٢ : ١٨٠ .

(٢) فاطر : ٣٥ : ٢٨ .

الشرائع السماوية كافة، وأنها ليست للعلم الذي يتّصف به العالم دون أن يقترن بخصائص ومميزات ذكرت في الآيات والروايات، بيناً جملة منها كالخشية والخوف من الله، والارتباط الوثيق به تعالى.

### الأولى: الوعي السياسي والاجتماعي.

من صفات العالم ما أشار إليه إمامنا الصادق عليه السلام في قوله: «وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ»<sup>(١)</sup>، ومعنى ذلك أن يكون العالم له دراية وعلم بزمانه، وخبرة في مجالين هامّين: الاجتماعي والسياسي.

### الأول: الوعي الاجتماعي.

بأن يعي الواقع الاجتماعي؛ إذ دون دراية وعلم بالواقع الاجتماعي لن يتمكن العالم أن يستخدم علمه فيما يعود بالنفع والخير العميمين على المجتمع، فالدراسة والإحاطة بملايسات الواقع الاجتماعي وتعميداته تفيد العالم في التعامل على وفق الموازين، أما إذا لم يعر التعقيدات المتعددة فلن يستطيع أن يضع علمه في الموقع المناسب والصحيح.

إذن لا بدّ للعالم أن يعرف متى يقول نعم، ومتى يقول لا، كي لا يستفاد من علمه في غير ما يرجع إلى الواقع الاجتماعي بالنفع والخير؛ إذ التصرف السليم يبني على فهم المجتمع؛ لأنّ بعض الأفراد لديه مقاصد رغم كونه متديناً في مظهره، لكنّه بعيد عن الالتزام التام؛ ذلك أنّ الملنزمين قلّة، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾<sup>(٢)</sup> لكون كثير من الناس يبحث عن مصالحه، وما يعود بالنفع المادّي عليه وينسى الآخرة، من هنا قد يُسهّم في التلبس على العالم ليصبّ

(١) تحف العقول: ٣٥٦.

(٢) سبأ: ٣٤: ١٣.



كلام العالم في صالحه .

ولعل ما حصل من آية الله السيّد محسن الحكيم عليه السلام - الذي كان عالماً فطناً يعي ملاسبات الأحداث - تجاه بعض وكلائه الذي كان يتعامل بحسن نية في قبض الحقوق ، حيث جاءه أحد الأثرياء من البصرة ، وقال له : أريد أن أعطيك هذا المبلغ الكبير من الحقوق الشرعية على أن تعطيني وصلاً بتاريخ يسبق تأريخ الاستلام بأسبوع ، فقبل الوكيل ، غير أنّ السيّد الحكيم عليه السلام رفض ذلك رفضاً باتاً ، وتبين فيما بعد أنّ من طلب تغيير تاريخ وصل الاستلام قد ارتكب جريمة قتل ، وكان يريد أن ينأى بنفسه عنها بحجة أنه كان تلك الليلة في النجف الأشرف لتسليم الحقوق ، فأراد أن يلبس ليحافظ على نفسه ، غير أنّ ذكاء السيّد الاجتماعي أبطل تلك المحاولة .

### الثاني : الوعي السياسي .

إنّ على العالم معرفة أنّ العالم مُعقّد ويُدَار على أساس مصالح الدول ، وقد يُسخر العالم أو طالب العلم من حيث لا يشعر ، ويوظف ليصبّ كلامه في مجال محدد ومعين ، أمّا إذا كان العالم لديه دراية سياسية ويقرأ ما وراء الحدث ، فيصعب الاستفادة من كلامه فيما لا يعود بالصلاح والنفع للمجتمع وللأمة الإسلامية .

إذن على العالم أن يعي أنّ العالم يُدار بأجهزة مخبرات وإعلام كبير ومصالح سياسيّة ، وإذا لم يكن عنده دراية سياسيّة يقرأ بها ما وراء الحدث فلن يستطيع أن يعرف الأمور بدقّة ، وقد يستغلّ في غير مصلحة الناس والمجتمع ، وتعبير الإمام الصادق عليه السلام دقيق وجميل ، فالعالم هو « وَالْعَالَمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ » ، أي لا يُستغلّ من قبل المجتمع ولا من الساسة ، بل يصبّ علمه في مصلحة المجتمع والأمة .

ولعل ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يلفت النظر إلى هذا المعنى ، قال عليه السلام :

« مَنْ زَادَ عِلْمَهُ عَلَى عَقْلِهِ كَانَ وَبَالًا عَلَيْهِ »<sup>(١)</sup>: أي لا يعرف كيف يستفيد من علمه بعقلانيته ، وكيف يُوظَّف علمه في صالح المجتمع والشريعة ، وقال عليه السلام: « كُلُّ عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مَضَلَّةٌ »<sup>(٢)</sup>: أي يوجب الضلال ، ويصبه العالم بدل أن يستفيد المجتمع من علمه يتيه في ضلالٍ بسبب عدم الدراية والتعقل .

### الثانية: الوسطية والتوازن.

الوسطية تعدّ أصلاً أصيلاً في الشريعة الإسلامية ، قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾<sup>(٣)</sup>. وبعض آي القرآن تحدّثت عن الوسطية بالإيماء والإشارة ، والعالم لا بد أن يكون وسطاً في أموره .  
الوسطية هي أمر بين الإفراط والتفريط ، فلا يُفَرِّط في الشيء ولا يَفْرُط فيه ، بل لديه اعتدال وتوازن في العلم وفي الشخصية ، وهناك مثل للأحسائيين يقول: (إنّ الشيء إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضدّه) ، والعالم إذا لم يكن وسطاً فإنّ علمه يوصل الناس إلى عكس ما يريد الله تعالى .

### الوسطية في المواعظة.

على العالم أن يكون وسطاً في مواعظه وفي علمه ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْتَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ »<sup>(٤)</sup>. يتحدّث الإمام عليه السلام عن الفقيه الذي يستفيد منه المجتمع ، فيصفه عليه السلام: « مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » ،

(١) غرر الحكم: ٤٧، الرقم ٢٣١.

(٢) غرر الحكم: ٥٣، الرقم ٤٤٢. عيون الحكم والمواعظ: ٣٧٦، الرقم ٦٣٤٥.

(٣) البقرة ٢: ١٤٣.

(٤) الكافي: ١: ٣٦، الحديث ٣.

أي لا يجعل الناس إذا صدرت منهم أخطاء يصلون إلى مرحلة القنوط واليأس ، بل يُبَيِّن عفو الله تعالى ورحمته ، وقد وصف من كان كذلك بالفقيه ، فلا يقول للناس لن يستفاد منكم ، وأنَّ الله تعالى لن يغفر لكم ، فيَقْنَطُ الناس من رحمته تعالى ، وكذلك لا يُؤمِّنهم من عذابه ، ولا يُرَخِّص لهم في معاصيه ، فهو ربَّان لسفينته يقودها في أمواج عاتية باتزان واقتدار ، وذلك هو الفقيه الوسط بين الإفراط والتفريط .

### التطرّف الراديكاليّ .

من لم يكن كذلك واتّصف بالتطرّف والراديكاليّة ، ورأى بأنّ الحقّ معه فقط ليس على مستوى النظرية ، بل يحارب دون هوادة من يخالفه الرأي ، فإنّه سيَجُرُّ المجتمع إلى السوء .

وننبّه هنا أصحاب الاتجاه المتطرّف بأنّ الرأي الذي يتّخذه المرء هو اجتهاد يُصيب ويُخطئ ، ومن ينتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعلم بذلك ، وأنّ المرء حتّى إذا بذل قصارى الجهد للوصول إلى الواقع قد لا يُصيبه ، وعليه أن يكون وسطاً ؛ لأنّ الدخول في صراع مع من يختلف وإيائه يؤدّي إلى انقسام المجتمع وضياع طاقاته دون فائدة ، والوسطية توازن مع سماح لمن يختلف في الرأي بالتحاور .

### مخاطر الراديكاليّة .

الراديكاليّة هي حذف للطرف الآخر ، وعدم قبول به ، كما فعل خوارج في العصر الأوّل ، وكذلك يفعل خوارج هذا العصر ، فإنّهم إذا اختلفوا فحلّ الخلاف بالتفجير والقتل مع من اختلفوا وإيائه ، وإخراجه من الملة رغم رفض الإسلام ذلك كلياً ، وحكمه بأنّ كلّ من قال ( لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله ) حُفِظَ ماله ودمه وعرضه ، وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

إنّ المتطرّف يصبح وبالاً على نفسه وعلى المجتمع والأمة ، وقد أصبحت الأمم

المتحضرة تخاف الإسلام، ويعود السبب إلى الفكر المتطرّف، فهو لا يخدم الشريعة الإسلامية ولا المجتمع، أما الفكر الوسطي فإنه يوصل الناس إلى الخير، ونشير هنا أنه لا مانع أن يقتنع المرء برأيه ويخالف الآخرين، لكنّه لا يحاربهم على أساس الرأي الذي آمن به، ويخرجهم من الملة ويسمّهم بالبدعة والزندقة والضلالة.

### مصادرة الرأي الآخر.

لقد أكّدت الروايات على الوسطية وعلى العالم أن يكون وسطاً؛ لأنّ عدم الوسطية تؤدي إلى إغراق المجتمع في فوضى غير متتهية، وصراع وتناحر دون نهاية. إنّ سيرة النبي ﷺ مع أصحاب الملل والديانات الأخرى اليهود والنصارى شاهد جميل، فعندما دخل نصارى نجران مسجده ﷺ وتوجّهوا إلى بيت المقدس لتأدية الشعائر الدينية، أراد بعض الصحابة منعهم، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وسمح لهم أن يقيموا طقوسهم الدينية، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١).

إذن الإسلام يأمر بإيضاح الرأي والصواب، والحوار دون مصادرة للرأي الآخر، وذلك هو المنهج الوسطي، وهو سمة من سمات العالم التي تُسهّم في تقدّم المجتمع والأمة والوصول إلى الخير والنفع.

### التناحر والصراع الاجتماعي.

شجبت بعض الروايات تصرف العالم الذي يؤدي بالمجتمع إلى عدم الاستقرار، قال أمير المؤمنين ﷺ: «زَلَّةُ الْعَالِمِ كَأَنْكِسَارِ السَّفِينَةِ تَغْرُقُ وَتُغْرِقُ» (٢): السفينة إذا انكسرت تَغْرُقُ وتُغْرِقُ ركابها، والعالم كذلك.

(١) البقرة ٢: ٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢: ٥٨.

وقال الإمام عليّ: «زَلَّةُ الْعَالِمِ تُفْسِدُ عَوَالِمَ»<sup>(١)</sup>: أي مجتمعات ؛ لأنها تؤدّي إلى صراع وتناحر ، وظلم وبخس في الحقوق بمصادرة الآخرين لحقوقهم .

### تخلف المجتمع الإسلامي .

التطرّف سبب رئيس من أسباب التخلف في مجتمعاتنا الإسلاميّة والشرقيّة ، فلا وسيّية ولا اعتدال ولا قانون ، خصوصاً إذا كانت السلطة القضائيّة إلى جنب المتطرّفين ، فإنّ ضياع الحقوق والظلم هو السائد ، إنّ العالم يُغذّي أفكار الناس ويبيّن الرشد والهدى بقوله وسلوكه العمليّ ، والسبب الرئيس - فيما نراه من تطرّف - يرجع إلى تغذية الناس بالفكر الراديكاليّ ، وجعل الأُمَّة الإسلاميّة متناحرة بمذاهبها .

### أخطار تواجه الأُمَّة .

هناك خطران كبيران ينبغي الحذر منهما :

التديّن بجهل ، والعلم دون تقوى ، وقد حذّر الإمام أمير المؤمنين عليّ منهنّما فقال : « قَصَمَ ظَهْرِي عَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ »<sup>(٢)</sup> .

#### الأوّل : التديّن بجهل .

الجاهل من لا يعرف واقع الشريعة ويظهر نفسه خارجاً ممثلاً للدين بشكله وتصرفاته فيوقع الناس في مأزق .

#### الثاني : العلم دون تقوى .

والعالم المتهنّك كذلك فلا ورع لديه ، ولا خوف من الله تعالى عنده ، ولا توازن في شخصيّته لذا سيَجُرُّ الناس إلى الضلال بلا نهاية ، ويفكّك المجتمع بصراعات

(١) غرر الحكم : ٤٧ ، الرقم ٢٣٢ .

(٢) منية المرید : ١٨١ .

وتجاذبات ، أمّا العالم الذي يعي دوره في الأمة ، ويعي تأثير كلامه - خصوصاً في زماننا الذي أصبحت فيه الكلمة تنتقل إلى أرجاء المعمورة بسرعة - يزن كلامه بدقة ، ويسير في المنهج الوسطي ، فكلامه يصبح بلسماً لجراح الأمة .

### القسم الثالث

#### دور العالم في ربط الناس بالآخرة

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

استعرضنا بعض الصفات التي يجب أن تتوافر في العالم ليكون مصداقاً لما جاء في أي القرآن الكريم والروايات ، وإذا لم تتوافر هذه الصفات في العالم فليس بمصداق لما جاء من فضل ، وأهم الصفات التي ينبغي أن تتوافر فيه :

#### ربط المجتمع بعالم الآخرة :

على العالم المذكور للناس بالله تعالى أن يربطهم بعالم الآخرة ، وقد أكد على هذه الصفة في العالم من خلال بعض الروايات التي تبين أهمية العالم وتربط فضله وأهميته بالدور الريادي الذي يقوم به ، المتمثل في الآتي :

#### أولاً: التذكير بالآخرة .

قال النبي ﷺ : « النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْعَالِمِ حُبًّا لَهُ عِبَادَةٌ » (٢) : أي كما أن الصلاة

(١) فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٢) الجعفریات : ١٩٤ . مستدرك الوسائل : ٩ : ١٥٢ ، الحديث ١٠٥٢٨ .

والزكاة يقرّبان إلى الله تعالى ، كذلك النظر إلى العالم ، النظر إليه حباً له - لكونه همزة وصل بين الناس والحقّ تعالى والنبيّ ﷺ وأهل البيت  - يوجب القرب من الله تعالى ، وهو بمثابة صلاة النافلة والصوم ، والصدقة ، وقد بيّن الإمام الصادق  المعنى الدقيق لحديث جده المصطفى  عندما سُئل عنه فقال  : « هُوَ الْعَالَمُ الَّذِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ ذَكَرَكَ الْآخِرَةَ ، وَمَنْ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ فَالْنَظَرُ إِلَيْهِ فِتْنَةٌ » (١) .

### ثانياً: ربط الدنيا بالآخرة.

نلفت الانتباه هنا أنّ العالم قد يذكّر بالدنيا لأجل أن تكون جسراً للآخرة ، فيأمر الفرد ببناء مستقبله ليكون مقدّمة لبناء شخصيته السليمة المرتبطة بالله تعالى فيكون أمره بالدنيا لربط الناس بالآخرة .

### كيفية ربط الدنيا بالآخرة.

سيرة الأنبياء  درس عمليّ ، فقد أمر موسى  بني إسرائيل بالذود عن حقوقهم والمطالبة بها من فرعون ، أمرهم بطلب الدنيا من أجل مستقبلهم كأمة مستضعفة ، لكنّه  لا يريد منهم أن يطلبوا الدنيا للدنيا ، بل يريد أن يطلبوها للآخرة من أجل بناء الشخصية الإنسانية المرتبطة بالحقّ تعالى .

إذن هناك أهميّة لكلام العالم الذي يربط الناس بالدنيا من أجل الدنيا ، وكلام العالم الذي يربط الناس بالدنيا من أجل الآخرة بالمطالبة بالحقوق ، والذود عن المبادئ باعتبار أنّ الدنيا فانية والمطلوب من الإنسان أن يحصل على حقوقه ، وأن يذود عن مظلوميّته لا من أجل الدنيا ، لذا كان بين الأنبياء تكامل ، فموسى  ذكّر بني إسرائيل بالدنيا وحرّضهم عليها من أجل الحصول على حقوقهم ، وعيسى  ذكّرهم بالآخرة باعتبار أنّ ما جاء به موسى ليس من أجل الدنيا

(١) تنبيه الخواطر : ١ : ٨٤ .

بل من أجل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (١).

### ثالثاً: ضرورة الهدف الإلهي.

يجب أن يتوافر في العالم الاستمرار في العمل، يجتهد في العمل بدؤب فيه من أجل تحقيق قيم الحق تعالى في الخلق، أي من أجل العدل والعدالة، يحضّ الناس للوصول إلى الأهداف، وتحقيق الغايات، تلك هي سمة العالم.

### الهدف الإلهي في الروايات.

جاء التأكيد على بعض الصفات التي ينبغي أن تتوافر في العالم في رواية تذكّر الاجتهاد - أي بذل الوسع من أجل تحقيق الغايات - كما يفعل المجتهد في تحصيله، والمجتهد في عبادته أو في عمله، يجتهد لأجل تجسيد الحق في عالم الواقع، قال النبي ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلَّهِ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَاباً إِلَّا أَزَادَ بِهِ فِي نَفْسِهِ ذُلًّا، وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا»: أي كلما ازداد العالم علماً ازداد تواضعاً في نفسه، ورأى فقره واحتياجه للحق تعالى.

«وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا»: أي يظهر هذا التواضع المكنون في نفسه الذي بينه وبين الحق تعالى، ويجسده في الخارج بتعامله مع الخلق بتواضع جمّ.

«وَلِلَّهِ خَوْفًا»: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وقوله ﷺ: «وَفِي الدِّينِ اجْتِهَادًا»: أي أنّ العالم يجتهد باستمرار للوصول إلى ما يبتغيه؛ لأنّ قيم الحق والعدل واضحة بين نظريه فيريد تطبيقها.

### خطر الأهداف غير الإلهية.

لقد عكس النبي ﷺ في الرواية ذلك لتُعرف الأشياء بأضدادها فقال ﷺ:

(١) المائدة ٥: ٤٦.



«وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا ، وَالْمَنْزِلَةَ عِنْدَ النَّاسِ ، وَالْحُظُوتَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ» : أي كانت أهدافه غير النيهة لأنه لم يرتبط بالله تعالى ؛ إذ العلم وإن كان صعباً ، لكنّه ملكة يستطيع المرء أن يبذل جهداً فيصل إليها ، والنبوي ﷺ بين أن من طلب العلم من أجل أهداف لا ترتبط بالله تعالى حصل في نفسه عكس ما كان لمن طلب العلم لله تعالى ، وهو العالم الرباني الذي لديه دُؤب في تحقيق القيم في الواقع الاجتماعي ، ومن لم يرتبط بالله تعالى ، وطلب العلم للدنيا ، تأثر بآثارها :

### الأول : الكبرياء والاختيال .

قال النبي ﷺ عن أول الآثار : «لَمْ يُصَبِّ مِنْهُ بَاباً إِلَّا أزدَادَ فِي نَفْسِهِ عَظَمَةً» : أي أن أول شيء يحصل لديه هو الاختيال والكبرياء في نفسه ، يرى أنه الأفضل والأحسن والأعظم بين الناس ، بدل أن يرى الفقر والفاقة التي تكتنف وجوده ويستغني بالله تعالى ، لكونه المفضل المحسن ، يختال بكبرياء فيطرد من رحمة الله تعالى ؛ لأن الذي أوجب طرد الشيطان من رحمته تعالى هو الكبر .

### الثاني : استحقار الآخرين .

ثم قال ﷺ : «إِلَّا أزدَادَ فِي نَفْسِهِ عَظَمَةً وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةً» : أي أنه يرى الناس عبيداً له وينظر إليهم نظرة احتقار ؛ ذلك أن الله تعالى جعل النعمة التي منحه نعمةً واستدراجاً عليه ، فيزداد في نفسه عظمة وعلى الناس استطالة .

### الثالث : الاغترار بالله .

قوله ﷺ : «وَبِاللَّهِ اغْتِرَارًا» : يغترّ بالله ولا يلتفت إلى مكره تعالى ، بل يتعامل مع الحقّ تعالى كما يتعامل مع الخلق ، دون التفات إلى عظمته تعالى وإلى قدرته وإحاطته بالخلق ، فالمغرور لا يلتفت أن الله تعالى يمهل ولا يهمل ، بل يسدر في غيّه حتى يأتيه الموت وهو لا يدري ، يعيش في سُكْرِ دون التفات إلى ما كان ينبغي عليه أن يعيه ، أي أن الغرور يوجب فصلاً بينه وبين الله تعالى ، لا يتصل به

تعالى بل ينفصل بحاجزين ، هما : الغرور والعلم .  
وقد أكدت الروايات هذا المعنى وأفصحت عن الأهمية الفائقة للعالم الذي تتوافر فيه الصفات ، وأن من لم تتوافر فيه تلك الصفات كان علمه حجاباً بينه وبين الحق ، بل بينه وبين الخلق ، فلا يصلون إلى الحق بل يحجبهم عنه تعالى .

#### الرابع: الابتعاد عن الدين .

قوله ﷺ : « وَمِنَ الدِّينِ جَفَاءٌ »<sup>(١)</sup> : بينه وبين الدين جفوة ، الجفوة هي ابتعاد عن عالم القيم الدينية فلا يهتم بها ، لانفصاله عن قيم عالم المعنى ، فيضاد الدين ، كما كان عليه بلعم بن باعوراء وغيره من المضادين لقيم الحق تعالى . إن عكس الاجتهاد لتحقيق قيم العدل والمبادئ الإلهية الجفاء ، به يُبعد الناس عن الحق تعالى ، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « لَا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِمًا مَّقْتُونًا بِالدُّنْيَا فَيُضِدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي ، فَإِنْ أَوْلَيْتَكَ قُطِعَ طَرِيقُ عِبَادِي الْمُرِيدِينَ . إِنَّ أَدْنَىٰ مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي عَنْ قُلُوبِهِمْ »<sup>(٢)</sup> .

#### جفوة الناس للعالم بالله .

ويحسن أن نبين أن العالم كغيره قد يتعرض لنكبات في الحياة الدنيا لقيامه

(١) عن الإمام علي عليه السلام قال : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَابًا إِلَّا أَزْدَادَ بِهِ فِي نَفْسِهِ ذُلًّا ، وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا ، وَلِلَّهِ خَوْفًا ، وَفِي الدِّينِ اجْتِهَادًا ، وَذَلِكَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ فَلْيَتَعَلَّمْهُ .

وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا ، وَالْمَنْزِلَةَ عِنْدَ النَّاسِ ، وَالْحُظُورَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، لَمْ يُصِبْ مِنْهُ بَابًا إِلَّا أَزْدَادَ فِي نَفْسِهِ عَظَمَةً ، وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةً ، وَبِاللَّهِ اغْتِرَارًا ، وَمِنَ الدِّينِ جَفَاءً ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ ، فَلْيَكُفَّ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَالنَّدَامَةِ وَالْخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . روضة الواعظين : ١ : ١١ .

(٢) الكافي : ١ : ٤٦ ، الحديث ٤ .

بوظيفته ، فلا يرضى المجتمع عنه أو السلطة ، ويتضاد مع ما يريده الناس بأهوائهم ، فيصبح بينه وبين الناس جفوة ، وقد يتحدث الناس عنه قائلين : دعه ما كان ينبغي أن يقول ذلك ، بل كان ينبغي أن يسكت ، غير أن من كان مع الله وعرفه تعالى وأمر بالمعروف وعمل له تعالى لا يهتم بجفوة الناس له ؛ لأن الله تعالى هو الأعظم والأكبر في قلبه ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ بِهِ » : أي لتطبيق القيم والمبادئ التي أوصحنها .

« لَمْ يُوحِشْهُ كَسَادُهُ »<sup>(١)</sup> : أي أن ازدياد الناس نفوراً عنه لا يؤثر فيه ، ولا يبعده

عن وظيفته .

### تأسي العالم بالأنبياء .

على العالم أن يتأسى بالأنبياء عليهم السلام فيما يواجهه من صدور الناس ، فنوح عليه السلام قال تعالى في حقه : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، والعالم في قريته أو في مدينته قد يدعو الناس إلى العدل والخير ، ولكن الناس يرتبطون بالسوء والظلم كارتباط بني إسرائيل بعبادة العجل ، قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فينبذ العالم كما نبذ هارون عليه السلام .

وقال تعالى : ﴿ ابْنِ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويصبح غير مطاع دون أن يضره ذلك .

(١) غرر الحكم : ١٥٢ ، الرقم ٢٨٢٦ . عيون الحكم والمواعظ : ٤٤٥ ، الرقم ٧٨٢٣ .

(٢) نوح : ٧١ : ٧ .

(٣) البقرة : ٢ : ٩٣ .

(٤) الأعراف : ٧ : ١٥٠ .

«لَمْ يُوحِشْهُ كَسَادُهُ»: فعلمه وإن أصبح كاسداً كبضاعة ليس لها مشترٍ، غير أن ذلك لا يضره؛ لأنه تعلم العلم للعمل فلم يوحشه كساده ولا يهتم، أسوة بشعيب عليه السلام، فبعض الأنبياء انصاعت لهم الجماهير كداوود، وأثروا تأثيراً بالغاً وكبيراً في زمانهم، وبعضهم عليه السلام لم يلتفت إليهم وحُصروا، والعالم كذلك.

والله تعالى قص علينا خبر الأنبياء لبيّن الأدوار المختلفة، وما يتعرّض له السائر على طريقهم، والمقتدي بهم، كالعالم الذي هو بمثابة نبي في أمته قد ينجح في دعوته للظروف والامتحان الإلهي، يختبره الله تعالى بالنجاح، ويتليه بالظفر، وقد لا ينجح، أي قد لا يتأثر به المجتمع ولا تتكلم دعوته بالنصر، فيكون كصالح أو هود أو شعيب عليه السلام الذي بقي وحده غير أنه خلد بخلود الحق، ولم يوحشه كساد دعوته وعدم قبول قومه لها، بل بقي سائراً على الصراط المستقيم.

## القسم الرابع

### الفهم العملي للدين والدنيا

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

### الرؤية الموضوعية للأحداث.

لا زال الكلام موصولاً على الصفات التي ينبغي أن تتوافر في العالم ليكون مصداقاً لما جاء من الآيات والروايات في فضله والثناء عليه، من جملتها ما يمكن أن نعبر عنه بالنظرة الثابتة للأمور والرؤية الموضوعية للأحداث، أي أن نظرتة

(١) فاطر ٣٥: ٢٨.

لما يدور حوله ليست بسيطة وساذجة ، بل ينظر إلى الأمور بعمق ، ويفهم ما وراء الحدث ، وقد جاء التعبير في الروايات ليشير إلى العالم من هذه الزاوية ، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « الْعَالِمُ يَنْظُرُ بِقَلْبِهِ وَخَاطِرِهِ ، وَالْجَاهِلُ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ وَنَاطِرِهِ »<sup>(١)</sup> : هناك فارق بين العالم في نظرتة للأحداث وبين الجاهل ، فنظرة الجاهل لا تتعدى العينين ، أي النظرة الظاهرة ، أما العالم فله رؤية قلبية لما وراء الحدث يستطيع بها أن يربط بين الحدث والأسباب التي أدت إليه ، ويرى ما سوف يترتب عليه من أمور لاستشرافه للمستقبل .

### المعرفة العملية لحقيقة الدنيا .

من صفات العالم الورع : التقى والزهد لمعرفته حقيقة الدنيا ، وهذه مسألة غاية في الأهمية ؛ إذ معرفة الدنيا على حقيقتها تجعل المرء يعرفها عملياً وليس معرفة نظرية ، فهناك معرفة يسميها العلماء معرفة الحقيقة يعرف العالم بها الدنيا أنها عالم فناء وزوال ، ومن خلال هذه المعرفة يتوثق ارتباطه بعالم الغيب ، ويحصل له شوق وتوق لما وراء عالم المادة ؛ لمعرفته عدم استمرار وبقاء هذا العالم ، وبذلك يكون شوقه ووله إلى عالم الآخرة .

### الامتناع عن الحرام .

جمع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بين النظرتين والصفات التي أوأنا إليها وشرحناها بشيء من البيان ، وبين الارتباط الوثيق بنحو عملي بعالم الآخرة والجنة ، قال عليه السلام : « إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ دَعَاهُ عِلْمُهُ إِلَى الْوَرَعِ وَالتَّقَى » : له ورع في دين الله تعالى ، فلا يقع في الشبهات ، بل يمنع نفسه منها لئلا يجزه ذلك إلى الحرام .

(١) غرر الحكم : ٤٧ ، الرقم ٢٠٧ و : ٧٥ : الرقم ١١٤٨ . عيون الحكم والمواعظ : ٤٦ ، الرقم ١١٤٩ و ١١٥٠ .

## الزهد عن الدنيا.

قال الإمام عليه السلام: «وَالزُّهْدُ فِي عَالَمِ الْفَنَاءِ ، وَالتَّوَلُّهُ بِجَنَّةِ الْمَأْوَى»<sup>(١)</sup>: لا يتعلّق بعالم الدنيا، فإن حصل له من متاعها شيء أو لم يحصل فسيان، لأنّ زهده في عالم الفناء يربطه بالتولّه بجنة المأوى.

قال الإمام عليه السلام في خطبة المتّقين: «وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ»<sup>(٢)</sup>. ومن وصل إلى هذا المقام أصبح عالمًا بحقّ.

## التخلّي عن الرذائل والتحلّي بالفضائل.

من الصفات التي يجب أن تتوافر في العالم إعمار باطنه بالفضائل، وتنزيهه عن الرذائل، وقد أوضح علماء الأخلاق والعرفاء ذلك بمعنيين: الأول بالتخلية، والثاني: بالتحلية، التخلية عن الرذائل والتخلية بالفضائل، والعالم كي يؤثر علمه لا بدّ أن تتوافر التخلية والتحلية في نفسه.

## الابتعاد عن الحسد.

عبّرت الروايات عن هذا المعنى بتعبيرات متعدّدة، منها: ما جاء عن إمامنا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: «لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى لَا يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ»: ينتفي الحسد منه، وإذا رأى نعمة عند أحد لم يحسده، لعلمه أنّ النعم على قسمين ماديّة ومعنويّة، وقد يؤتى العالم من النعم الماديّة والمعنويّة فينقاد إليه الناس، ويؤثر عليهم، وقد يرزق بتلامذة من الطراز الممتاز، ويؤتى سعة في المال، وقد يكون

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٧٩، الرقم ٣٦٨٧.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ١٦١.

صفر اليدين ، فإن لم يعمر قلبه بالصفات الإلهية حسد صاحب النعمة ، وتمنى زوالها منه ، خصوصاً إذا كان صاحب النعمة غير عالم ، فيرى أنه لا يستحق نعم الله تعالى عليه ، ويعترض بذلك على حكمة الحق تعالى ، كيف أعطى المال من لا علم له ، قال بعضهم :

كم عالم عالم أعيت مذاهبه      وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا  
هذا الذي ترك الألباب حائرة      وصير العالم النحرير زنديقا<sup>(١)</sup>

أي أنّ العالم يكاد أن يكفر بالله تعالى لرزقه الجاهل (كم جاهل جاهل تلقاه مرزوقاً) والجاهل في نظره لا يستحق الرزق ، مع أنّ الحال بالعكس ؛ ذلك أنّ الجاهل يستحق المال لعدل الحق تعالى ، فيرزق العلم بعض خلقه ، والمال بعضهم الآخر ، ويجعل بعضهم يحتاج إلى بعضهم ، وقد أنعم على من آتاه العلم بالحظّ الأوفر والنعمة الأتمّ ، وينبغي للعالم أن ينظر إلى من آتاه الله تعالى العلم أنه الأهمّ من المال ، ومن رزقه الله تعالى العلم عليه أن يشني على الله تعالى أحسن الشناء لما آتاه من الخير ، قال الإمام عليه السلام : « لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى لَا يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ ، وَلَا يَحْتَقِرَ مَنْ دُونَهُ » : فإذا نظر إلى الأقلّ رتبة منه لم ينظر له نظرة دونية ، بل ينظر إليه بالتجلّة والتقدير ، وهذه نظرة الأنبياء عليهم السلام .

### الابتعاد عن حطام الدنيا .

قال عليه السلام : « وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِهِ شَيْئًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا »<sup>(٢)</sup> : أي لا يكون علمه جسراً

(١) تفسير الألوسي : ٢٢ : ١٤٨ .

(٢) قال عليه السلام : « لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى لَا يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ ، وَلَا يَحْتَقِرَ مَنْ دُونَهُ ، وَلَا يَأْخُذُ

عَلَى عِلْمِهِ شَيْئًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا » . عيون الحكم والمواعظ : ٥٤٤ ، الرقم ١٠١٠٩ .

غرر الحكم : الرقم ٢٥٨ .

للوصول إلى مآرب دنيّة لا لنفسه ولا للطغاة؛ لأنّ بعض العلماء يستفيد منه الظالمون، ويصبح علمه جسراً للوصول إلى مآرب الطغاة، والعالم لا يكون علمه لذلك، بل يكون سبيلاً للوصول غيره إلى السعادة، ولا يتحقّق له ذلك إذا جعل علمه سلعة تباع وتشترى ويقايض عليها، أمّا إذا قدّس العلم واحترم أهله، وكان علمه جسراً للوصول إلى الفضائل ورفعته الناس أصبح مصداقاً لأمناء الرسل، وقوله ﷺ: «وَلَا يَأْخُذْ عَلَى عِلْمِهِ شَيْئاً مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا»، أي لا يكون علمه جسراً إلى المادّة، كي يصل هو أو غيره إليها، بل غايته المعرفة، وأنّ العلماء كالأنبياء قد تتوافر لأحدهم الأموال كداوود وسليمان ﷺ، وقد يعيش الفقر والفاقة كموسى ﷺ، مع أنّه من أولي العزم من الرسل. نعم، لقد كان لا يستطيع أن يحصل على قوته إلاّ بالمشقّة والتعب، ولعلّ ما حصل من أجرته لنفسه عشر سنين للسقي حتّى يأكل بيّن ما لاقاه من مشقّة، والعلماء كذلك.

إنّ الله تعالى يبتلي الغنيّ بالفقير، والفقير بالغني، والتفاوت بينهما بالوصول إلى عالم القيم، ومن آتاه الله تعالى المال والجاه إن سخرّ جاهه وماله وعلمه لله تعالى فاز وظفر، ومن ابتلاه بالفقر والفاقة إن صبر ولم يحسد صاحب النعمة - المال والعلم ومن انصاع إليه الناس - فاز وظفر.

### الأسلوب الوعظي المؤثر.

من صفات العالم معرفة الوقت المناسب للحديث، متى يتحدّث؟ ومتى يسكت؟ من يعظ؟ ومن لا يعظ؟ متى تكون موعظته مؤثّرة؟ ومتى لا تكون؟ له إدراك للواقع النفسي لمن يتحدّث إليه، فيعرف أنّه يقبل حديثه أم لا.

### ملاحظة القابليّات.

يسدي العالم الموعظة إذا كانت الظروف متاحة وكان لموعظته أثر، أمّا إذا كانت



غير مؤثرة أحجم ، وقد أشارت الروايات إلى معرفة العالم الدقيقة لكيفية تأثير كلامه ، ويمكن أن نعبر عن ذلك بإحاطته بشيء من علمي النفس والاجتماع ، فالخبرة والثقافة في علمي النفس والاجتماع يتيحان له الأسلوب الأفضل ، ويحصل ذلك من خلال الممارسة والتنقيف المستمر ، قال الإمام عليه السلام : « مِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ : أَنْ لَا يَعِظَ إِلَّا مَنْ يَقْبَلُ عِظَتَهُ » : إذ قد يكون الطرف الآخر بينه وبين العالم حواجز بسبب الانتماء الجغرافي إلى مكان لا يرتاح إليه من يستمع للعالم ، أو حاجز الانتماء القبلي ، أو الخلاف الديني على بعض المسائل ، فهناك أناس لا يستطيع العالم التأثير عليهم ، قال الإمام عليه السلام : « أَنْ لَا يَعِظَ إِلَّا مَنْ يَقْبَلُ عِظَتَهُ » ، ولو فعل كان كمن يخط على الماء فلا يحصل لحديثه أثر .

### النصح على أساس الأولويات والأهم .

قال الإمام عليه السلام : « وَلَا يَنْصَحُ مُعْجَباً بِرَأْيِهِ » : أي لا ينصح مغروراً ؛ لأن من أعجب برأيه لن يستمع إلى العالم ، وعلى العالم أن لا يضيع وقته معه ، وليس معنى ذلك أن لا يبلغ العالم الحكم الشرعي ، بل عليه أن يقول الصواب ، وأن لا يألو جهداً في إيصال شرع الله تعالى ، ومع ذلك عليه أن لا يضيع وقته وجهده بنصحه المعجب برأيه .

### ملاحظة مستوى المستمع .

قال الإمام عليه السلام : « وَلَا يُخْبِرُ بِمَا يَخَافُ إِذَاعَتَهُ »<sup>(١)</sup> : للعلم أسرار ، وللناس قابليات مختلفة ، وبعضهم لا يعي حقائق العلم ، والعالم يعرف موقعه ، وحتى لا يكذب يكتفم أسرار علمه ؛ إذ لو أطلع عليها من لا قابلية له أدّى ذلك إلى تكذيبه ، وقد يؤدي

(١) قال الإمام علي عليه السلام : « وَمِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ أَنْ لَا يَعِظَ إِلَّا مَنْ يَقْبَلُ عِظَتَهُ ، وَلَا يَنْصَحُ مُعْجَباً بِرَأْيِهِ ، وَلَا يُخْبِرُ بِمَا يَخَافُ إِذَاعَتَهُ » . بحار الأنوار : ٧٤ : ٢٣٥ ، نقلاً عن العدد القويّة : ٣٥٨ .

بالمطلع إلى الكفر، لذا يكتُم العالم أسرار العلم عن غير أهله، وكذلك لا يركّز على الأمور التي تؤثر سلباً لكونه يعرف ما ينبغي أن يؤكّد عليه وما لا ينبغي، قال الإمام عليه السلام: «وَلَا يُخْبِرُ بِمَا يَخَافُ إِذْ أَعْتَهُ» لعلمه بضرر ذلك، وما يترتب على إظهار الحق من ضرر في بعض الأحيان.

نُسب إلى الإمام السجّاد عليه السلام:

إِنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ      كي لا يرى الحقّ ذو جهلٍ فيفتتنا  
فَرُبَّ جَوْهَرٍ عِلْمٍ لَوْ أَبْوَحَ بِهِ      لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثْنَ  
وَلَا سَتَحِلُّ رِجَالُ مُسْلِمُونَ دَمِي      يرون أقبح ما يأتونه حسناً<sup>(١)</sup>

ومن أطلع على أسرارٍ لا ينبغي له التحدّث بها مع من لا قابليّة له على فهمها إذ قد يؤدّي إلى صراع معه لا تحمد عقباه.

### إعمار الباطن عملياً بالخلق الجميل.

من صفات العالم معرفة الأمور الأخلاقية - الجانِب الأخلاقي والتقوائي - بعمق، وتطبيقها على ذاته، فهناك فرق بين من يأمر بالصدق ولا يصدق، ويأمر بالخير ولا يفعل، ويأمر بالتواضع ولا يتواضع، فمعرفة نظرية لا تسمن ولا تغني من جوع، والعالم من جسّد المعارف في ذاته وأصبح خُلُقاً وصبراً وتواضعاً، فذلك هو العالم، قال لقمان لابنه: «لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: الْعِلْمُ بِاللَّهِ، وَمَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ يَكْرَهُ»<sup>(٢)</sup>: إن معرفة الحقّ تعالى سهلة على اللسان، ثقيلة في الميزان، وأثرها عظيم، والعالم بالله تعالى وبما يحبه ويكرهه يؤدّي به ذلك إلى إعمار باطنه، والتحلي بالخلق الجميل.

(١) شرح النهج: ٥ : ٤. تفسير الألويسي: ٦ : ١٩٠.

(٢) الجعفریات: ٢٣١.

### الفهم الدقيق للأشياء .

إنّ العالم دقيق الفهم ، فإذا قرأ شيئاً فهم لوازمه وما يرتبط به من أمور ، لذا عندما يشرح بعض العلماء حديثاً يظهر جواهر مكنونة لا يستطيع أن يصل إليها غيره ، وإذا قرأه غيره لم يفهم ما اشتمل عليه الحديث من حيثيات .

### تقبّل النقد .

من سجايا العالم قبوله للنقد رغم سعة علمه ودقّة نظره ، إلاّ أنّه يحتمل أنّ غيره قد أطلع على ما لم يصل إليه ، فيقبل نقد العلماء له ، ولا يتكبّر إذا نُقد علمياً أو رُدّ عليه ، ولا يسم رأيه بالصحيح فحسب ورأي الناقد بالخطأ المطلق ، بل يقبل النقد لعلمه ، ويرى أنّ غيره قد يكون وصل إلى ما لم يصل إليه ، وقد شرح هذين المعنيين الإمام الحسين عليه السلام فقال : « مِنْ دَلَائِلِ الْعَالَمِ انْتِقَادُهُ لِحَدِيثِهِ »<sup>(١)</sup> : فإذا نُقد ورُدّ عليه وعرف الصواب قَبِل ، أمّا غير العالم فلا يقبل ذلك ، وإذا انتقد تكبّر ورأى أنّ ما صدر منه الحقّ ، وما قاله غيره الباطل ، إنّ من عرف الحقّ اتّبعه ، ولن يبرّر بالأدلة رأيه ، بل يصارح الناس بما وقع فيه من اشتباه ، ولا يستحي أن يقول لا أعرف ولا أدري فهما ينجيان العالم ، وقد رأينا بعض العلماء رغم علمه الغزير عندما يجيب يكتب في آخر الإجابة ( والله العالم ) أو ( الله أعلم ) .

والإمام الحسين عليه السلام أكّد على هذا المعنى وهو انتقاد العالم لحديثه ، فهو ينتقد حديثه ويبيح للآخرين نقده ، يقبل النقد السليم القائم على أسس علمية ، وله علم بحقائق فنون النظر ، لكثرة الاحتمالات الحاصلة له عند اطلاعه على مطلب فيحيط بحيثيات كثيرة ويربطها به ، أمّا من لا يقبل النقد لحديثه ، ولا يعي الحيثيات المختلفة لما يرتبط بعلمه ، فإنّ علمه ناقص لن يؤثر التأثير المطلوب .

(١) تحف العقول : ٢٤٨ .

## القسم الخامس

### الانعكاسات الإيجابية للعلم

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### الصفات النفسية في العالم :

لا زال الكلام موصولاً حول الصفات التي يجب أن تتوافر في العالم ليكون مصداقاً لما جاء من آيات وروايات ، جاء عن النبي ﷺ بعض من الصفات النفسية التي يتصف بها العالم وتلازمه ، ويعرف أن العلم أثر فيه لانعكاسه سلوكياً عليه ، فيرى الناس تأثير ذلك فيه .

### أولاً: اتصافه بمظاهر الغنى والكفاف .

قال النبي ﷺ : « أَمَّا الْعِلْمُ فَيَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا » (٢) . يستغني العالم بالله تعالى ، وذلك أن تصرفات الفقير والغني تظهران على سلوكهما ، فبعض الناس يتوافر لديه المال إلا أنه يتصرف تصرف الفقراء ، وبعضهم لا يمتلك المال غير

(١) فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « وَأَمَّا الْعِلْمُ فَيَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا ، وَالْجُودُ وَإِنْ كَانَ بَخِيلًا ، وَالْمَهَابَةُ وَإِنْ كَانَ هَيْنًا ، وَالسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَقِيمًا ، وَالْقُرْبُ وَإِنْ كَانَ قَصِيًّا ، وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ صَلْفًا ، وَالرَّفْعَةُ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا ، وَالشَّرْفُ وَإِنْ كَانَ رَذَلًا ، وَالْحِكْمَةُ وَالْحُظُوءَةُ ، فَهَذَا مَا يَتَشَعَّبُ لِلْعَاقِلِ بَعْلَمِهِ » . بحار الأنوار : ١ : ١١٨ ، نقلًا عن تحف العقول : ١٦ .

أنه يتصرف تصرف من يجده لديه كفاف ، والعالم حتى إذا لم يجد المال لكن العفة بادية على محياه ، والسلوك السوي طبيعة مترسخة في ذاته ، لا يؤثر الفقر في شخصيته فيبيديه بمظهر المملّقين الذين لا يجدون شيئاً ؛ ذلك أن حقيقة الغنى هو الارتباط الوثيق بالحق تعالى ، لذا قال ﷺ « فَيَتَشَعَّبُ مِنْهُ » ، أي ينبثق من العلم الغنى وإن كان فقيراً ، بل أفاد ﷺ أكثر من ذلك .

### ثانياً : الجود بما لديه .

فقال ﷺ : « وَالْجُودُ وَإِنْ كَانَ بِخَيْلًا » : قد لا يكون العالم تربى في بيئة من الكرماء الذين يجودون بأموالهم ، لكن العلم انعكس عليه فجعله جواداً لا يشح ، بل يقتدي بالأنبياء والرسل في كرمهم وعطائهم ، لذا فهو ليس بغني فقط وإنما يجود بما لديه ، ويبدو انعكاس العلم واضحاً في تعامله مع غيره بإعطائه ما لديه ، وعدم توقفه في البذل ، مع أنه قد لا يجد إلا القليل من المال لكنه يجود به .

### ثالثاً : أن يكون مهاباً .

ثم قال ﷺ : « وَالْمَهَابَةُ وَإِنْ كَانَ هَيْئًا » : أي من الانعكاسات الإيجابية للعالم المهابة يصبح مهاباً ، وشخصيته ذات احترام وتقدير من قبل عامة الناس وخاصتهم ، ولا يرجع ذلك إلى العلم بحفظ القواعد والأقوال ، وإنما لسلوكه يبدو مهاباً ، فإذا تكلم اتسم كلامه بالرزانة والتأصيل ، وإن صمت تفكر في عظمة الحق تعالى متوجهاً إلى ربوبيته ، هيئته من تقوى الله تعالى وعمله بعلمه .

### رابعاً : اتصافه بالسلامة .

ثم قال ﷺ : « وَالسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَقِيمًا » : تؤثر الأمراض التي يصاب الناس بها تأثيراً كبيراً على بعضهم ، فيصاب بالجزع والفرع ، وقد يتفاقم المرض النفسي

فيؤثر على حالته الجسدية ، غير أن العالم الذي انعكس علمه عليه إيجابياً لا يؤثر مرضه وسقمه فيه ، بل يبدو كأصحاء السالمين ، لا تراه جزعاً متألماً يشكو الحال لعلته وسقمه ، بل ترى آثار الرضا بادية على محياه ، والذكر وتسبيح الحق وتقديسه ديدنه ، والشكر والثناء على لسانه ، وقد أجمل ﷺ كل هذا بقوله : « وَالسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَقِيمًا » .

### خامساً : القرب من الصالحين .

ثم قال ﷺ : « وَالقُرْبُ وَإِنْ كَانَ قَصِيًّا » : إنَّ بعض الناس قد لا يكون من المقربين من الصالحين الأتقياء الخيِّرين ، لكن سلوكه طريق العلم عكس العلم على شخصيته فأصبح الخيرون يتوددون إليه مقتربين منه ، وأصبح لصيقاً بهم .

« وَالقُرْبُ وَإِنْ كَانَ قَصِيًّا » هناك معنى آخر ، وهو أن العالم قد يكون في بداية تحصيله للعلم يطلب به غير الله تعالى ، ثم يصل إلى مرحلة يتأثر إيجاباً بالعلم فيصبح من المقربين إليه تعالى .

### سادساً : الحياء .

ثم قال ﷺ : « وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ صَلِفًا » : أي من كان عنده صلافة في التعامل ، وتعامله غير محمود لخروجه عن حدّه بتكبره ، أصبح مبعوضاً من الناس قبل تعلّمه ، وعندما أصبح عالماً لانت عريكته وزالت الغلظة من طبعه ، فلا يتحدث بألفاظ بذينة ، ولا يصدر منه عمل قبيح .

### سابعاً : الرفعة .

ثم قال ﷺ : « وَالرَّفْعَةُ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا » : بعض الناس ليس له شيء من مراتب الشرف ؛ إذ يتأتى الشرف للمرىء باعتبارات العقلاء ، وفي زماننا الشريف له معايير ،

منها: المنصب والوجاهة الاجتماعية والقدرة الاقتصادية والسلوك الحسن المرضي، فيثنى على شخص لسلوكه الطيب، والعالم بادئ ذي بدء قد لا يتوافر فيه ذلك، غير أنه بعد أن يتعلم يصبح مجمعا للفضائل، وموثلا للقيم، فيرتفع شأنه، وتعلو درجته، ويكون من ذوي الرفعة.

### ثامناً : الشرف .

ثم قال ﷺ: « وَالشَّرْفُ وَإِنْ كَانَ رِذْلًا »: يشير النبي ﷺ إلى معنى دقيق ينظر إليه العرب نظرة ثاقبة وقوية، فالشرف عندهم يتأتى من أمور:

**الأول:** بالنسب، فيولد من أمهات زكيات، وآباء بعدوا عن الرذيلة، فيكون شريفاً في نسبه.

**الثاني:** أن يتصف بالحلم، فالحليم من الأشراف؛ إذ بالحلم تُدفع المكاره، ويسود الحليم قومه، خصوصاً إذا اقترن حلمه بعلم.

**الثالث:** الخلق الكريم في التعامل مع الناس، خصوصاً مع من أساء إليه، فيتعامل معه بالعفو والرحمة والحب والمودة.

هذه أمور توجب الشرف، ومن لم يكن لديه خلق ولا نسب، ولم يتصف بالحلم، ليس بشريف عند العرب، غير أنه إذا سلك طريق العلم وأصبح من العلماء جمع شتات الشرف المتفرق، فلا يكون رذلاً لأن الرذل لا حلم له ولا خلق، والعالم استعاض عمّا فاته من الخلق والنسب والحلم بالعلم الذي انعكس على شخصيته فأصبح من ذوي الرتب في شرفه.

### تاسعاً : الحكمة .

ثم قال ﷺ: « وَالْحِكْمَةُ وَالْحُظُوءُ فَهَذَا مَا يَتَشَعَّبُ لِلْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ »: من صفات العالم الحكمة، والحكيم متزن، يعرف متى وكيف يتحدث؟ ومتى يصمت؟ وكيف يقوم

بفعل في موردٍ ما؟ وكيف يحجم عنه في المورد الآخر؟ الحكمة وضع الشيء في موضعه، وهي الحظُّ الأسمى والأسنى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، والعالم علمه حكمة عرف به وضع الأمور في نصابها.

### عاشراً: الحظوة.

ثم قال ﷺ: «وَالْحُظُوءَةُ»: الحظي هو من جمع شتات المجد المتفرق، واستطاع العالم بعلمه أن يجمع ذلك فأخذ بالمجد من كل أطرافه.

### الحادي عشر: استعمال عقله.

وقد بين النبي ﷺ في ذيل الحديث مطلباً هاماً: فقال ﷺ: «وَالْحِكْمَةُ وَالْحُظُوءَةُ فَهَذَا مَا يَتَشَعَّبُ لِلْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ»: أفصح ﷺ عن أهميّة اقتران العلم بالعقل، ليكون العالم مجمعاً للكمال، وهناك حديث قدسي أشار إلى أهميّة العلم والعقل، فالعلم وحده دون عقل قد يقتل الإنسان، أما إذا استخدم العقل فإن العلم ينفعه وإن كان قليلاً، فيضع الأمور في نصابها، جاء في الحديث القدسي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي ﷺ قال له ربّه: «يَا أَحْمَدُ، اسْتَعْمِلْ عَقْلَكَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ»: أي قبل أن تموت، وقبل أن تصاب بحادث فيؤثر عليك؛ إذ كثير من الناس يصاب بأمراض عقلية تؤثر عليه، وقوله تعالى: «يَا أَحْمَدُ، اسْتَعْمِلْ عَقْلَكَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عَقْلَهُ لَا يُخْطِئُ وَلَا يَطْغَى»<sup>(٢)</sup>: أي يحصل له أمران:

الأول: «لَا يُخْطِئُ»، وإذا أخطأ تلافى خطأه، وعدّل مساره، وقيّم سلوكه بإصلاح الخطأ والخلل الذي صدر منه «فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عَقْلَهُ لَا يُخْطِئُ».

الثاني: «وَلَا يَطْغَى»: أي لا يصاب بغطرسة فيصبح كالطاووس يتبختر بجماله،

(١) البقرة ٢: ٢٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤: ٢٩.



والعالم الذي لم يستعمل عقله إذا ازداد علمه تبختر متكبّراً ، أمّا من استعمل عقله ازداد تواضعاً وافتقاراً إلى الحقّ تعالى .

### الثاني عشر: الاهتمام بشخصيته القياديّة .

من سمات العالم التي أكد على أهميتها أنه عندما أصبح قدوة للناس يعلمهم معالم الخير ، انعكس عليه علمه فأصبح يطبق ما يقوله على ذاته ، وأصبح دقيقاً فيما يرجع إلى شخصيته ، وله عناية بنفسه ، فلا يقول شيئاً لم يتّصف به ، بل يحذر من الاتّصاف بضدّه ، قال تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> العالم دقيق الملاحظة لصفاته المعنويّة ، فإذا وجد خللاً وإن كان صغيراً عالجه ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا - أَي كَانَ قَدُورَةً - فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ » .

### الثالث عشر: تأديب الناس بسيرته العمليّة .

ثمّ قال عليه السلام : « وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ » : أي ليكون سلوكه سويّاً في حديثه وعدله وإنصافه ، فهو رحيم ، ومن لم ينعكس عليه العلم إيجاباً فالتطرّف سمته يشتغل بالقييل والقال ، متتبّعاً لعيوب غيره بدلاً من اشتغاله بعيوب نفسه ، لذا قال الإمام عليه السلام : « فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ » ، فالتأديب ينعكس إيجاباً على غيره بسلوكه وسيرته ، ومن نظر إلى سيرته وسلوكه رأى شخصيّة متّزنة بسيرة حسنة وسلوك سويّ ، فلا يصدر من لسانه قبيح ، قال الإمام عليه السلام : « وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ، وَمُعَلِّمٌ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبٌهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ »<sup>(٢)</sup> : الإجلال والتقدير والاحترام لصفات إيجابيّة في شخصيته ، وبذلك يجلّ ويعظم أكثر من

(١) البقرة ٢ : ٤٤ .

(٢) نهج البلاغة : ٤ : ١٦ .

إجلال من يعلم غيره فحسب ، ولم يتَّصف بصفات الكمال والحسن في شخصيته ، قال عليه السلام : « وَمُعَلِّمٌ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبٌهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ » .

## القسم السادس

### التأييد الإلهي والعلم اللدني

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### الغزارة في العلم .

لازال كلامنا موصولاً حول الصفات التي ينبغي أن تتوافر في العالم ليكون مصداقاً لما جاء في الآيات والروايات من الثناء عليه والإشادة به .

من هذه الصفات الغزارة والسعة في العلم فيصبح دقيق النظر عارفاً بكثيرٍ من الأسرار لتوافر الأهلية في ذاته ، وقد أشار الحق تعالى إلى هذا المعنى ، قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٢) .

### التأييد الإلهي للعالم .

تنسب الآية المباركة التعليم إلى الذات المقدسة مباشرة ، أي أن الله تعالى أفاض عليه الطافاً حتى أصبح موسى عليه السلام تلميذاً للخضر يتعلم منه ، قال تعالى : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ ، وقد أسمى العلماء هذا العلم

(١) فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٢) الكهف ١٨ : ٦٥ .

باللَّدُنِّي نسبة إلى الآية المباركة .

وجاءت روايات عن النبي ﷺ والأئمة (سلام الله عليهم) تبين صفة العالم بغزارة العلم ، وسعة الاطلاع ، والتأييد اللدني ، أي أنّ الله تعالى يفيض عليه من علمه ، ويحصل على التأييد الإلهي ، قال ﷺ « إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلاَّ العلماء بالله ، فإذا نطقوا به لا ينكره إلاَّ أهل الغرّة بالله »<sup>(١)</sup> . بعض العلماء غزير علمه واسع اطلاعه ، وقد يتفاجئ به من لم يصل إلى مرتبته ، وإذا سمع منه بعض أسرار العلم تعجّب من ذلك ، وديدن أهل الغرّة - أي المغرورون بالله - الذين لم يحصلوا على الرتبة العالية لعدم توافر الأهلية في ذواتهم ، كما أشرنا إلى ذلك في الأبحاث الأنفة .

### إلهام العالم اللطائف الدقيقة .

قال النبي ﷺ : « علم الباطن - هذا العلم الغزير السعي الذي يتوافر لبعض العلماء - سرّ من أسرار الله عزّ وجلّ ، وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من شاء من عباده »<sup>(٢)</sup> لا يكون التأييد الإلهي لكل أحد ، بل لبعض العلماء حتّى يكاد يتفجّر العلم من قلبه ، يلتفت إلى أمور دقيقة ومعانٍ ولطائف جميلة تُسمع في حديثه وتُرى في كتبه ، وإذا شرح آية أو علّق على حديث رأيت الغزارة العلمية لشرحه وتعليقه ، ومن توافرت سمة الغزارة وسعة الاطلاع لديه علم بالأسرار الخفية ، وحصل على التأييد الإلهي .

### شروط تحصيل العلم اللدنيّ :

جاء في الروايات إشارات لما أوضحناه فيما تقدّم من لا بدّيّة توافر صفاتٍ

(١) كنز العمال : ١٠ : ١٨١ ، الرقم ٢٨٩٤٢ .

(٢) كنز العمال : ١٠ : ١٥٩ ، الرقم ٢٨٨٢٠ .

خاصة في العالم كي يحصل على لطائف العلم ودقائق الحكمة .

### الأول: الخوف والخشية من الله تعالى .

قال صلى الله عليه وسلم: « لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه »<sup>(١)</sup> يشير الحديث إلى المعنى الذي أكدناه وهو الخوف والخشية من الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، أي أنّ خوف الله تعالى يوصل العالم إلى علم لا جهل معه ، ويحصل على إفاضات تفتح له الكثير من المغلقات ، ويفاض على قلبه الأسرار التي لا تحصل بتعليم ؛ إذ قد يُتعب المرء نفسه في التحصيل دون أن يستطيع الوصول إلى تلك الدرجة العالية ، فالمعارف لا تحصل بالتحصيل العلمي فقط ، بل يحصل بعضها بالإفاضة لتجد التأثير الكبير لغزارة علمه ، ولا يرجع ذلك إلى تحصيله ومجالسته العلماء فحسب ، بل للإفاضة من الحق تعالى ، وذلك هو الإلهام ، أحد مصادر العلم ، يصل الملهم إلى معارف لا يصل إليها غيره ، وكثير من العلماء فتح لهم الإلهام أبواباً مغلقة .

### الثاني: الرقي بشخصيته إلى أعلى المراتب .

أوضح النبي صلى الله عليه وسلم هذا المطلب عندما جاء إليه شخص وقال : يا رسول الله ، أحب أن أكون أعلم الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : اتق الله تكن أعلم الناس<sup>(٢)</sup> يشير صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> فمن يتق ربّه يفاض عليه العلم إذا كان لديه استعداد وتأهيل لشخصيته ، يحاول أن يتعلم وأن يرتقي بشخصيته إلى مراتب عالية فتأتيه الإفاضة .

(١) كنز العمال : ٣ : ١٤٢ ، الرقم ٥٨٨١ .

(٢) كنز العمال : ١٦ : ١٢٨ ، الرقم ٤٤١٥٤ .

(٣) البقرة : ٢ : ٢٨٢ .

### الثالث : المثابرة في التعلم .

لا بدّ للعالم من المثابرة وأن لا يكتفي بما لديه من علم ، بل يحاول أن يتعلّم من الآخرين ، قال صلى الله عليه وآله : « وَأَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَيْ عِلْمِهِ »<sup>(١)</sup> : يشير الحديث إلى التحصيل الدائم المستمرّ ، فلا يقف العالم في تحصيله ، غير أنّ بعض طلبة العلم إذا حصل على مقدارٍ منه توقّف ، وإذا توقّف قلّ علمه ، بخلاف من استمرّ في التحصيل إلى موته ، فذلك الذي ظفر بالعلم الغزير .

جاء في حياة بعض العلماء أنّه كان يتباحث العلم في حالة احتضاره ، وتعجّب بعض من حضره ، فقال العالم : أريد أن ألقى الله تعالى وأنا عالم بهذه المسألة<sup>(٢)</sup> ، يريد أن يكون مصداقاً لما نُسب إلى النبي صلى الله عليه وآله : « اَطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ »<sup>(٣)</sup> . إذن من سمات العالم أن يبقى متعلّماً مدّة حياته وأن لا يشبع من تحصيل العلم .

### الرابع : الاتّصاف بالسكينة والحلم .

جاء عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ » : ذكرنا شرطاً من شرائط السعة والغزارة في العلم أن يكون العالم تعلّم العلم لله تعالى ، والعمل بعلمه ، ولم يجعل قلبه مستودعاً للمعلومات فحسب ، بل أراد أن يؤثّر العلم في ذاته وفي المجتمع الذي يعيش في كنفه ، والإمام عليه السلام نبّه على أنّ تأثير العلم يحتاج إلى السكينة والحلم ، والسكينة تحصل للعالم بهدوء طبعه ، فلا يغضب لتناول بعض الجهّال عليه ، ولا يستثار عندما يطرح مطلباً علمياً

(١) أمالي الشيخ الصدوق : ٢١ . معاني الأخبار : ١٩٦ .

(٢) الوافي بالوفيات : ٨ : ٩٢ . أعيان الشيعة : ٩ : ٦٧ .

(٣) تفسير القمّي : ٢ : ٤٠١ (الهامش) .

دقيقاً لم يستوعب من بعض المتلقين فيستغربونه منكرين على العالم؛ لأنه حليم، هادئ الطبع، متحلل بالسكينة، وبذلك يُتاح له تيسير المعلومة للمتلقى ليستوعبها، وبحلمه يشرح الحثيئات التي من خلالها يُتاح للمتلقى المعرفة، ولا يكون العالم جبّاراً في رده، قال عليه السلام: «وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ»: أي أنّ هناك جبابة من العلماء كجبابة السلاطين، وأنّ العالم الذي لم يصل إلى الغزارة والعلم اللدني، ولم يقترن علمه بالحلم والسكينة، قد ينقلب علمه إلى جهل، قال عليه السلام: «فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وجاء عنه عليه السلام في صفة المتقين: «يَمزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ»<sup>(٢)</sup>: مزج التقي علمه بحلمه، وحلمه بعلمه، فلا يستثار في علمه لئلا يصبح جبّاراً، بل يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، لا يقول شيئاً إلا وقرنه بعمل.

### الخامس: أن يجسّد ما تعلّمه.

جاء عن إمامنا الباقر عليه السلام: «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ عَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَا يَعْلَمُ»<sup>(٣)</sup>، الشرط الأساس أن يتجسّد علمه في شخصه، فلا يوصي بالصبر ولا يكون صبوراً، بل يتعلّم ليعمل، فتقترن أقواله بأفعاله لتدلّ على سيره على المحجّة البيضاء والصراف السوي، قال النبي صلى الله عليه وآله: «من تعلم فعمل علّمه الله ما لم يعلم»<sup>(٤)</sup>: الإلهام وحصول الفيض لا يتحقّقان إلا إذا اقترن العلم بالعمل، أمّا من كانت أقواله غير مقترنة بأفعاله، وعلمه غير مجسّد في شخصيته، فلن يحصل على الفيض الرباني، وقد أشارت الروايات إلى معنى دقيق هو أنّ العالم قد يُتعب نفسه في التحصيل، غير أنّه

(١) بحار الأنوار: ٢: ٣٧، الحديث ٤٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ١٦٣.

(٣) أعلام الدين: ٣٠١.

(٤) فيض القدير: ٤: ١٦٣.

لا يحصل إلا على القليل لعدم توافر الصفات الأنفة في شخصيته ، قال ﷺ :  
« لَيْسَ الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ ، إِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبٍ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
أَنْ يَهْدِيَهُ »<sup>(١)</sup> : أي أنّ بعض الناس يبذل جهوداً كبيرة دون أن تتوافر الصفات  
الأنفة في شخصيته ، فلا يحصل على كثير من العلم لفقدانه التأييد الإلهي ، بينما  
بذل غيره جهداً أقل مع توافر الصفات ، فحصل لديه إلهام وإفاضة من الله تعالى .  
إنّ بعض العلماء كان غيره أكثر منه تحصيلاً ، غير أنه اتّصف بالحلم والتواضع  
وسعة البال ، وكظم الغيظ ، والخلق الكريم ، فكثّر علمه ؛ لأنّ من تحققت الصفات  
في ذاته أفاض الباري عليه من علمه ، وأصبح غزير العلم واسع الاطلاع ملهماً ،  
موتلاً لتأييد الحقّ تعالى .

(١) بحار الأنوار : ١ : ٢٢٥ ، نقلاً عن منية المرید : ١٤٩ .





## الحقيقة التأثير في نحوسة الأيام

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### الأيام بين البركة والنحوسة.

هناك أسئلة كثيرة عن نحوسة الأيام وبركتها، فهل هناك أيام نحوسة غير جيدة يصاب فيها المرء بكثير من الآلام والحوادث، أم أن الأيام متساوية لا فرق بين يوم وآخر؟

لا يمكن أن ننكر أن بعض الأيام لها تأثير أعظم من بعضها الآخر، من ذلك ليالي القدر، وأيام شهر رمضان ولياليه، وأيام الله، قال تعالى: ﴿وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (٢)، فبعض الأيام لها بركة وتأثير كبيران، غير أن ذلك لا يعني أن غيرها من الأيام سيئة وغير جيدة، كأيام شهر صفر- وإن كنا لا ننكر وجود نحوسة لبعض الأيام باعتبار ما وقع فيها قال تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ (٣)- إلا أن ما في أذهان بعض الناس من معنى نحوسة الأيام وشدة تأثيرها على مسار الإنسان ليس بصحيح،

---

(١) الطلاق ٦٥: ٣.

(٢) إبراهيم ١٤: ٥.

(٣) فصلت ٤١: ١٦.

فليس هناك ما يؤثر سلباً على الإنسان إذا توكّل على الله تعالى وفوض أمره إليه .  
إنّ الزمن بمفرده لا يؤثر سلباً . نعم ، يمكن أن يكون للزمان والمكان تأثير حسيّ  
كالألوان تؤثر على الإنسان في إضفاء البهجة أو الاشمئزاز والألم ، غير أنّ معظم  
التأثير بيد الإنسان ويرجع إليه .

### تأثير الذكر على الإنسان :

إنّنا عندما نرجع إلى الروايات ونقارن بينها نجدها على طائفتين :

**الأولى :** تشير إلى وجود نحوسة لبعض الأيام .

**والثانية :** تبيّن تأثير الأعمال الطيبة التي يقوم بها الإنسان في دفع البلاء عنه ،  
وتوفيقه للخير وجلب المصالح إليه .

والطائفة الثانية هي الأكثر عدداً ، والأقوى سنداً ، والأوضح دلالة ، وهذا النحو  
من النصوص الدينية له الأثر الكبير في دفع كلّ ضرر وبلاء ، وهذا ما سوف نستعرضه  
في الآتي :

### الأول : التوكّل .

لعلّ الآية التي بدأنا بها الحديث من أوضح الأدلّة في ذلك ، قال تعالى :  
﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ،  
إنّ الأمور بيد الله تعالى ، إذا توكّل الإنسان عليه تعالى أحسبه وكفاه ، قال تعالى :  
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (١) .

### الثاني : الصدقة .

هناك أمر في غاية الأهميّة وهو : أنّ أعمال الخير التي تصدر من الإنسان تدفع

(١) الزمر ٣٩ : ٣٦ .

البلاء عنه ، وتوفقه للخيرات ، وهناك جملة من الأعمال ينبغي للمرء أن يلتفت إليها ليعيش بأمن واطمئنان وسلامة وتوفيق ، أشير إلى بعضها ، فالصدقة تدفع البلاء عن الإنسان ، وقد أبرم إبراهيم ، قال رسول الله ﷺ : « الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْبَلَاءَ ، وَهِيَ أَنْجَحُ دَوَاءٍ ، وَتَدْفَعُ الْقَضَاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَاهِمًا ، وَلَا يَذْهَبُ بِالْأَدْوَاءِ إِلَّا الدُّعَاءُ وَالصَّدَقَةُ »<sup>(١)</sup> ، وتأثيرها عام لا يختص بوقت فتؤثر في صفر وغيره ، وينبغي أن يتصدق المرء ليدفع البلاء عن نفسه ، وينفق في سبيل الله تعالى ، فالله وعد المنفقين في سبيله أن يغدق عليهم من عطائه وأن يدفع عنهم بلاءه وأن يكثر لهم خيره ، والصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى لهما تأثير لا يخطر على خيال أحد .

### الثالث : الآيات القرآنية .

الآيات والسور القرآنية سهلة ويسيرة ، ويمكن أن يجعلها الإنسان ورداً له بتكرارها ، فيحصل على فوائد تترتب عليها كالبعد عن الشيطان ، فمن قرأ القرآن باعد الله تعالى بينه وبين الشياطين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، بالإضافة إلى الثواب الجزيل ، فكل حرف يقرأه له به عشر حسنات .

جاء في بعض الروايات<sup>(٣)</sup> : أن « ألم » ليست كلها حرفاً بل الألف وحدها حرف ، واللام حرف ، والميم حرف ، فإذا قرأها كسب ثلاثين حسنة ، وتلك غنيمة يحصل بها القارئ على حسنات وتدفع عنه المكاره ، وتبتعد عنه الشياطين ، وتعلوه هالة نور بذكر الله تعالى ، إن قراءة بعض سور القرآن وآياته جد هام ، وعلى

(١) بحار الأنوار : ٩٣ : ١٣٧ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٤٥ .

(٣) البيان في عدآي القرآن : ٧٦ .

من أراد أن يخرج من بيته في صباحه ومساءه ويأمن المكاره أن يقرأ المعوذتين لتكونا حجاباً عن شياطين الإنس والجن، وأن يقرأ الأدعية والأذكار كالبسمة والحوقة، وبعض الأحراز التي جاءت في مفاتيح الجنان وغيره من كتب الأدعية.

على المرء محاولة التحرز بقراءة الآيات القرآنية والأدعية والأوراد، وبعض الآيات لها تأثير عظيم، وقد تحدّث النبي ﷺ عن عظمتها بأحاديث في مصادر الفريقين، وبعض السور أحراز تقي الإنسان المساوي كالمعوذتين والإخلاص والجحد الكافرون وآية الكرسي، كل ذلك حصانة للإنسان تقيه من الوقوع في البلاء.

### آية الكرسي.

جاء الكثير من الآثار المترتبة على قراءة آية الكرسي ينبره العقل من عظمة ما جاء فيها، ففي بعض الروايات أنها إذا قرأت بعض المرات جعل الله تعالى الملائكة حراساً لقارئها، يحرسونه عما يقع من مساوئ، قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً مَحِيَّ اسْمُهُ مِنْ دِيْوَانِ الْأَشْقِيَاءِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ اسْتَعْفَرَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَمَنْ قَرَأَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ شَفَعَتْ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ، وَمَنْ قَرَأَهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ اسْمَهُ فِي دِيْوَانِ الْأَبْرَارِ، وَاسْتَعْفَرَتْ لَهُ الْحَيَاتُ فِي الْبَحَارِ، وَوَقِيَ شَرَّ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ قَرَأَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ أُغْلِقَتْ عَنْهُ أَبْوَابُ النَّيْرَانِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَمَانِي مَرَّاتٍ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَمَنْ قَرَأَهَا تِسْعَ مَرَّاتٍ كُفِيَ هَمَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ فَلَا يُعَذِّبُهُ»<sup>(١)</sup>.

ومن أكثر من قراءتها تكفل الله تعالى بحراسته، ولعل ذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup> وإن كان المعنى أعمق يشير إلى مطلب

(١) مستدرك الوسائل : ٤ : ٣٣٥ ، الحديث ٤٨٢٣ .

(٢) الطلاق ٦٥ : ٣ .

لا تدركه العقول فهو تعالى قائم على كل شيء وحافظ له ، وكل شيء قائم به ،  
وآية الكرسي إذا قرأت خمس مرّات تكفل الله تعالى بحراسة قارئها .

ولآية الكرسي آثار كثيرة : منها أنّ الله تعالى يقيه أعمال السحرة والمشعوذين  
وشياطين الإنس والجن . إنّ تكرار آية الكرسي سبع مرّات في الصباح وسبع مرّات  
في المساء من المجرّبات .

### آثار سورة الإخلاص .

وهناك روايات صحيحة الأسانيد واردة في مصادر الفريقين ذكرت الاستعاذة  
بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، قال ﷺ : « فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْرُأُهَا إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِائَةَ  
أَلْفِ مَلَكٍ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ » (١) .

### الآيات القرآنية والوقاية .

إنّ الإنسان يمكن أن يقي نفسه من تأثير الجنّ والإنس والسحرة والشياطين  
ببعض سور القرآن وآياته ، قال تعالى : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ  
لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٢) .

### آيات الحفظ من المكاره .

القرآن كلّه حرز ، غير أنّ بعض سوره - كالمعوذتين والإخلاص والجحد - أحراز  
قويّة تقي المساوئ والمكاره ، إنّ الإنسان يخسر الكثير من وقته وصحته ، ويعيش  
الأمّاً مضنية ، غير أنّ بإمكانه أن يتجنّب ذلك كلّه بقراءة الآيات والسور .

### آثار المعوذتين .

عَوَّذَ ﷺ الحسنين بالمعوذتين ، « وَجَاءَ فِي أَكْثَرِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ

(١) مستدرک الوسائل : ٤ : ٢٨٠ و ٢٨١ ، الحديث ٤٧٠٣ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٨٢ .

يُعَوِّذُهُمَا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ»<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى ذلك هناك أذكار وأحراز تفيد الإنسان في دنياه وأخراه وهي ذكر الله تعالى .

### الرابع: الأذكار في الزمان الخاص .

هناك طائفة من الأدعية تختص بالصباح، وأخرى بالمساء، وبعضها تشير إلى بعض الآثار للدعاء والذكر الذي يُقرأ، وهي كثيرة وأهمها:

#### التسبيح والحوقة .

من جملة الآثار أن من قرأ ذلك الدعاء أو الذكر وُقي من الجنون والعمى، والحرق والغرق، وجنَّه الله تعالى سبعين نوعاً من البلاء. روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: شَيْبَةُ الْهُدَلِيِّ فَقَالَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَضَعَفَتْ قُوَّتِي عَمَّا كَانَ تَعَوَّدْتُهُ نَفْسِي مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَجِهَادٍ، فَعَلَّمْنِي - يَا رَسُولَ اللَّهِ - كَلَاماً يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، وَخَفَّفَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَعِدْ، فَأَعَادَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا حَوْلَكَ شَجَرَةً وَلَا مَدْرَةَ إِلَّا قَدْ بَكَتَ مِنْ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ عَشْرَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعَافِيكَ بِذَلِكَ مِنَ الْعَمَى وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ وَالْفَقْرِ وَالْهَدْمِ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلدُّنْيَا، فَمَا لِلْآخِرَةِ؟ قَالَ: تَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ.

(١) بحار الأنوار: ٤٣: ٢٨٢، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب: ٣: ٣٨٤.

قَالَ: فَقَبِضْ عَلَيْهِنَّ بِيَدِهِ ثُمَّ مَضَى ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ إِنْ وَافَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَمْ يَدْعُهَا مُتَعَمِّدًا ، فَتَحَّ اللَّهُ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»<sup>(١)</sup> .

والنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام يضعون مائدة كبيرة مملوءة بأنواع الأطعمة التي إذا أكلها الإنسان وقتَهُ من كافة الأعراض والأمراض ، فيأمن في نفسه وعلى ماله وولده ، ويأمن المكاره كلها ، ولن يجد الإنسان أعظم ممَّا قدَّمه الحقُّ تعالى والنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ، من هنا أنصح إخواني وأخواتي أن يلتفتوا إلى قراءة أدعية الصباح والمساء والمواظبة على بعض الأذكار .

### البسمة والحوقة .

إنَّ من جملة الأذكار الهامة والمفيدة : الحوقة والبسمة ، فينبغي الإكثار منهما وأن لا يقل تكرارهما عن عشر مرَّات في الصباح وعشر مرَّات في المساء (بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم) .

لقد جاء في الروايات الكثير في عظمة البسمة والحوقة إذا قرأتا صباحاً ومساءً ، عن الصادق عليه السلام قال : « مَنْ بَسَمَلَ وَحَوَّلَقَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مِنَ الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ سَبْعًا دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ أَهْوَنُهَا الرِّيحُ وَالْبَرَصُ وَالْجُنُونُ ، وَيُكْتَبُ فِي دِيْوَانِ السُّعْدَاءِ وَإِنْ كَانَ شَقِيًّا »<sup>(٢)</sup> ، فإنَّ لم يتمكن من قراءة الأذكار في الصباح والمساء ، أتى بها في أي وقت .

### المداومة على الذكر .

وعلى أيِّ حال يجب المداومة على الذكر خصوصاً أثناء ركوبه للسيارة ، فينبغي للمؤمن أن يذكر الله تعالى على كلِّ حال ، قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

(١) ثواب الأعمال : ١٥٩ .

(٢) بحار الأنوار : ٨٣ : ١١٢ ، الحديث ١١ .

الْقُلُوبِ ﴿١﴾، ويستحب للإنسان أن يقرأ البسمة قبل الأكل، وقبل القيام بأي عمل، وإذا كرر المرء الأذكار الأنفة أصبح مباركاً، وعلته هالة من النور، وجعل الله بعض ملائحته حرساً تقيه المكروه وتقربه إلى الخيرات.

### الخامس: الصلاة على محمد وآله.

من الأذكار الهامة التي أكد عليها القرآن الكريم، وبيّنت بعض آثارها الروايات منها الصحة والعافية، الإكثار من الصلاة على محمد وآله، فمن آثارها الشفاء من الأسقام وموفور الصحة، قال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً فَتَحَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَاباً مِنَ الْعَافِيَةِ» (٢). إن هذه المائدة التي وضعها النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام تزخر بكل ما يحتاجه المرء لدنياه وأخراه، بدءاً بالتوكل على الله تعالى ليكفيه ما أهمه، قال تعالى: ﴿الْيَسَّ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٣)، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٤)، والتوكل على الله تعالى بأن يسند ظهره إليه، وأن يلجأ له في كل أمر من أموره؛ ذلك أن الله تعالى بيده مقاليد السماوات والأرض.

### أثر المداومة على الأوراد.

إن من أدمن قراءة الأدعية والأذكار وفق للخيرات، وقراءتها في غاية السهولة لا تأخذ وقتاً طويلاً، فبالإمكان أن تقرأ في عشر دقائق في الصباح وعشراً في المساء، مع أن بعض الناس يخسر أوقاتاً طويلة، وتفوته مصالح كثيرة بتركه هذه الأذكار العظيمة، وهي مصداق لذكر الله تعالى الذي أمرنا به قياماً وقعوداً وعلى جنوبنا.

(١) الرعد ١٣: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٩١: ٦٣، نقلاً عن جامع الأخبار: ٥٩.

(٣) الزمر ٣٩: ٣٦.

(٤) الطلاق ٦٥: ٣.



إذن يحتاج الإنسان إلى ذكره تعالى ، والدعاء والأحراز والأذكار إذا اقترنت بالصدقة اليومية كان لها أعظم الأثر، وننبّه هنا على التصدّق يومياً فلا يقول بعض أنّه يتصدّق عن الشهر كلّّه، بل عليه أن يتصدّق لكلّ يوم على حدة، ليحصل على تأثير الصدقة وذلك من المجربّات، فكلّ يوم له صدقته الخاصّة، ويرجع هذا إلى مطلب أشار إليه الحقّ، في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(١)</sup>، إنّ للصدقة اليومية -ولو بالقليل - تأثيرها كبير، ومن قرأ ما أشرنا إليه وتصدّق وجدّ البركة والفائدة في عالمي الدنيا والآخرة، وإذا استمرّ على ذلك وقاه الله تعالى نحوسة كلّ يوم نحس في صفر أو غيره، ومن فعل ذلك استطاع أن يسافر في كلّ وقت، فالتوكّل على الله تعالى والصدقة والأذكار - خصوصاً آية الكرسي - حصانة يسلم بها المسافر ويظفر بالنجاة والفلاح بإذن الله تعالى .

---

(١) الرعد ١٣ : ٣٩ .





## الاقتصاد الإسلامي



## الاقتصاد في المنظور الإسلامي

### القسم الأول

#### التعامل المالي بين الواقع والطموح

قال الله تعالى :

﴿أَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ  
أَمْنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

يمثل المال الشريان الحيوي في حياة الإنسان ، بيد أن المال وسيلة وليس بغاية ، فهو آلة لتحقيق الهدف ، غير أن الكثير من الناس يربط حياته بالمال ، ويجعله غاية له ، مما يؤدي به أن يصبح أسيراً له ولا يمكنه الاستفادة منه .

#### النظرة السليمة للجانب الاقتصادي .

المشكلة الاقتصادية منذ القدم مثلت مأزقاً يؤرق الإنسانية على الدوام ، إلا أن الإسلام عندما بزغ نوره أولى الجانب الاقتصادي عناية خاصة في حياة الإنسان ، من ناحيتي التنظيم والتقنين والنظرة السليمة للجانب الاقتصادي في حياة الناس ،

---

(١) الحديد ٥٧ : ٧ .

حيث جعل الشارع المال وسيلة لتحقيق هدف والوصول إلى غاية .

### الآثار الإيجابية في التعامل بالمال .

الآيتان أنفتي الذكر تبلوران ما أوضحناه من مفهوم ، فأخذ الحاكم الإسلامي للزكاة وللمال إنما هو لأجل الطهارة النفسية والتركية بشكل عام ، والطهارة حالة معنوية خاصة ، والتركية معناها عام هو أن المجتمع الإسلامي ككل سوف يزكو ، فلا تنتشر فيه الأمراض كالسرقة والاحتيال وسائر الأمراض الأخرى التي توجب التخلف للمجتمع .

### الآثار السلبية في التعامل بالمال .

تركز بعض آي القرآن الكريم على أن إنفاق المال له أثره الكبير على حياتي الإنسان في عالمي الدنيا والآخرة إذا ارتبط الإنفاق بالإيمان ، وأما إذا تجرد عنه فسوف يعود عليه بالضرر في المال ، بل على من أنفق عليه أيضاً . وهذا ما نراه في عصرنا الراهن ؛ إذ أن بعض الدول تنفق أموالاً طائلة بيد أن هذه الأموال إنما هي لتحقيق غايات والوصول إلى مآرب لا تصب في صالح المنفق عليهم ، بل تعود بضرر ووبال عليهم ، فالكثير من الشعوب التي تُعطى الأموال يصبح مصيرها مرهوناً بأيدي تلك الدول المنفقة عليها .

### الحياة الاقتصادية الكريمة .

من هنا نظر الإسلام إلى الحياة الاقتصادية الكريمة وجعلها هدفاً من الأهداف التي ينبغي للمجتمع الإسلامي أن يسعى لتحقيقها ، باعتبار أن الحياة الاقتصادية للمجتمع ككل مطلوب من كل مسلم أن يسهم في إنمائها ، وهذا ما ركزت عليه الروايات الواردة عن النبي ﷺ التي أوضحت هذا المفهوم .

### الغنى من منظور إيجابي.

أبانت الروايات المتعددة أنّ الفقر من العوامل التي تقرب الإنسان إلى الذنوب ، بينما الغنى الذي يراد به تحقيق الاكتفاء الذاتي ، والإسهام في تطوير الحياة لعامة الناس ، يُقرب الإنسان إلى تقوى الله إذا كان الغني راشداً في إنفاق المال وسائراً على جادة الشريعة السمحاء ، قال النبي ﷺ : « نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغِنَى »<sup>(١)</sup> ، ولا يراد بالغنى ذلك المعنى الموجود لدى بعض الناس والذي يقصد منه استرقاق الآخرين . فالغنى عامل مساعد في إيصال ذلك الغني إلى مرحلة من تقوى الله تعالى ، قال إمامنا الصادق عليه السلام : « غِنَى يَحْجُزُكَ عَنِ الظُّلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَقْرٍ يَحْمِلُكَ عَلَى الْإِثْمِ »<sup>(٢)</sup> ، وفي حديث مشهور ، قال النبي ﷺ : « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا »<sup>(٣)</sup> . وهذه الطائفة من الروايات توضح ما أفدناه .

### الغنى من منظور سلبي.

بعض الناس يحجز المال لذات المال ، ويسعى إلى الوصول إليه من أجل زيادة الأرقام والأرصدة ليس إلا ، وليس له غاية يريدتها ويرضاها الحق سبحانه وتعالى ، والقرآن الكريم والروايات أبانا أنّ هذه الطائفة من الناس يضلّون الطريق ويخطئون الهدف .

### أهداف الحصول على المال .

من أروع ما جاء من روايات حول المال ؛ ما ورد عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام

(١) بحار الأنوار ٧٤ : ١٥٣ ، نقلاً عن تحف العقول : ٤٩ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ٣ : ١٦٦ ، الحديث ٣٦١٤ .

(٣) الكافي : ٢ : ٣٠٧ ، الحديث ٤ .

في كتاب له إلى أحد مواليه قال فيه (١):

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَا فِي يَدِكَ مِنَ الْمَالِ قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ»: أي قبل أن تصل إليك هذه الثروة كانت بيد غيرك، «وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَكَ»: فالمال لن يبقى في يدك، «وَإِنَّمَا لَكَ مِنْهُ مَا مَهَّدْتَ لِنَفْسِكَ»: فليس للإنسان من أمواله إلا ما أنفقه في سبيل الله، وما أراد أن يصل به إلى معنى قيمٍ، يحقق به رفاهاً اجتماعياً، أو غاية يريد بها الشارع، «وَإِنَّمَا لَكَ مِنْهُ مَا مَهَّدْتَ لِنَفْسِكَ، فَاتْرُكْ نَفْسَكَ عَلَى صِلَاحٍ وَوَلَدِكَ»: غير أن البعض قد يظن أن جمع المال يسهم في صلاح الولد، لكن هذا الظن ينبغي أن يرجح عليه صلاح النفس والإمام عليه السلام يقول: على الراشد في تفكيره أن يؤثر نفسه على صلاح ولده بالمال.

ثم بين عليه السلام أن المال سيؤول إلى أحد سبيلين: «فَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ»: قد يؤول المال إلى إنسان صالح ويستفيد منه في الوصول إلى المآرب السليمة التي يرضى بها الشرع، ولكن هذا على حساب الجامع للمال، بمعنى أنه جمع المال ولم يستفد منه، واستفاد منه من وصل إليه، لذا قال عليه السلام: «فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَتْ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ»: فإذا وصل المال إلى رجل لم يستفد منه كما أمره الله

(١) قال عليه السلام: «إِنَّ مَوْلَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَهُ مَالاً، فَقَالَ: يَخْرُجُ عَطَائِي فَأَقْسِمُكَ هُوَ، فَقَالَ: لَا أَكْتَفِي، وَخَرَجَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَوَصَلَهُ، فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخْبِرُهُ بِمَا أَصَابَ مِنَ الْمَالِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَا فِي يَدِكَ مِنَ الْمَالِ قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْهُ مَا مَهَّدْتَ لِنَفْسِكَ، فَاتْرُكْ نَفْسَكَ عَلَى صِلَاحٍ وَوَلَدِكَ، فَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَتْ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَيْنِ أَحَدٌ بِأَهْلٍ أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُبَرِّدَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ، وَثِقْ لِمَنْ بَقِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ». الكافي: ٨: ٧٢، الحديث ٢٨.



كنت عاملاً من العوامل المساعدة في إشقاء من وصل إليه ذلك المال ، «وَلَيْسَ مِنْ هَذَيْنِ أَحَدٌ بِأَهْلٍ أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُبَرِّدَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ» وليس من هذين ، لا الرجل الأول ولا الثاني الذي عمل أحدهما بطاعة الله في المال والآخر بمعصيته ، ليس منهما أحد بأهل أن تؤثره على نفسك وتحمل له على ظهرك ، فهذه الأموال التي شقيت نفسك بجمعها إنما أنت تحمل وزراً لغيرك .

### التوازن في جمع المال .

ثم يوجه الإمام عليه السلام الإنسان بقوله : «فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَثِقْ لِمَنْ بَقِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ» : هناك من يفكر بأن عليه أن يجمع المال لئلا يكون كبعض الفقراء الذين انتقلوا عن الدنيا ولم يستطيعوا أن يحققوا لأنفسهم ثروة أو اكتفاءً ذاتياً ، غير أن الإمام عليه السلام يبين معنى رائعاً وجميلاً وهو أن هؤلاء الذين لم يصلوا إلى مقام رفيع من الناحية المالية لهم رحمة الله .

وعليك أن تحقق لنفسك اكتفاءً ذاتياً ، وألا تنظر إلى من مات فقيراً فإن الله تعالى يتولى أمره ، والفقراء لهم رحمة من العزيز الحكيم ، ولا ينبغي أن تفكر مُتعباً لنفسك أن عليك جمع المال لإيصال من يؤول إليه إلى مستوٍ أرفع ، بل عليك أن تفكر بالنحو المعقول ، وأن تعد هؤلاء لاستقبال الحياة بقيم يستطيعون من خلالها استثمار الكون ، وتحقيقون لأنفسهم ما يرزقهم الله به .

وقوله عليه السلام : «وَثِقْ لِمَنْ بَقِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ» هو التوجيه والتسديد الذي أشرنا أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام بلوروا حيثيات ومفاهيم رائعة في إظهاره كسلوك اقتصاديٍّ مستقيم يوصل الإنسان إلى تحقيق الخير في عالمي الدنيا والآخرة ، وهو ما يريده إسلامنا الحنيف للإنسان السوي ، العارف بما يريده الله تبارك وتعالى منه .

## القسم الثاني

### أسس الإنماء الاقتصادي

قال الله تعالى :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ  
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

### أهمية الاقتصاد في حياة الإنسان.

للاقتصاد دور محوري وأساسي في حياة الإنسان ، لذا اعتنى به الشارع المقدس من جوانب متعددة لما له من أثر إيجابي على كل مناحي الحياة ، فلا يمكن أن يتقدم الإنسان مادياً أو معنوياً إلا بتوافر العيش الكريم من الناحية الاقتصادية . والمجتمع إذا جاع أو تأثر اقتصادياً فشت فيه الرذيلة وانتشر فيه الفساد ، والعكس من ذلك إذا توافرت الحياة الاقتصادية الكريمة يستطيع الإنسان أن يصل إلى مقامات عالية في التكامل المعنوي ، فالتكامل المعنوي أقرب للإنسان عند توافر العيش الكريم ، وعلى العكس من ذلك ، فإن الإنسان أقرب إلى الرذيلة والفساد الأخلاقي إذا انعدمت الحياة الكريمة مما يؤدي إلى انتشار الأمراض الأخلاقية في المجتمعات الفقيرة ، ولعل ما جاء من الروايات عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام والتي مفادها ، «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»<sup>(٢)</sup> بيان لهذا المضمون ، فالفقر يقرب الإنسان إلى الكفر بالله وبالقيم المعنوية التي جاءت بها رسالات

(١) الجمعة ٦٢ : ١٠ .

(٢) الكافي : ٢ : ٣٠٧ ، الحديث ٤ .

السماء ، غير أن المجتمع الإنساني له نظرتان متضادتان في المال :

### الأولى : منافاة المال للفضيلة .

يرتكز هذا التصور على أن المال يتنافى مع الفضيلة ، ويُبعد الإنسان عن القيم الإلهية ، وقد ركز على هذه النظرة المتصوفة والمرتاؤون ، الذين يناون عن زينة الحياة الدنيا ، ويعتبرون المال والحياة الاقتصادية الكريمة تنافى مع القيم المعنوية .

### الثانية : المال المحور الأساس في الحياة .

هذه النظرة مضادة للنظرة السابقة ، وتركز على أن الاقتصاد هو المحور الأساس في حياة الإنسان ، وبقدر ما يتقدم الإنسان اقتصادياً يتقدم في مجالات الحياة المختلفة .

### النظرية الإسلامية في الاقتصاد .

أما الإسلام فله نظرية وسطى بين النظريتين السابقتين ، يدعو فيها الإنسان إلى كسب المال ، وبذل الجهد في تحصيل الاقتصاد بأساليب متعددة وفق ما جاء به الشارع ، لكنّه في نفس الوقت يحدّ من تأثير الجموح في الحياة الاقتصادية لئلا يطغى الاقتصاد فيحوّل الإنسان إلى ماديّ بحت باعتبار تركّب الإنسان من جنبتين : معنوية ومادية ، وإذا توازن الإنسان في جنبته المادية انعكس ذلك على القيم المعنوية ، الذي تمثله الجنبه الأخرى اللامادية .

ويفسّر هذا ما جاء من روايات في ذمّ الحياة الدنيا ، والذي يؤكد على النظرية الوسط المرتكزة على الاعتدال ، قال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ الآية<sup>(١)</sup> ، وغيرها من آي القرآن ، بالإضافة إلى

(١) القصص ٢٨ : ٧٧ .

طائفة من الروايات المتعددة تبين اهتمام الإسلام بكسب المال باعتباره يُسهم إسهاماً كبيراً في حياة الإنسان الماديّة والمعنويّة. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تأكيد على أهميّة الجَمْع بين مسألتَي الإيغال برفق في التقدّم في الحياة المعنويّة عبر الصلاة بدوّاً، وذكر الله انتهاءً، والابتغاء من فضله بالعمل والكدح ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فلا يُربط التحصيل في الاقتصاد بالجنبه الماديّة البحتة دون ربطٍ بالله تعالى عبر ذكره.

### أسس تطوير الحياة الاقتصادية:

يهدف المنهج الذي خطّه النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام إلى تطوير الحياة الاقتصاديّة من خلال وضع أسس قويمة للإنماء الاقتصاديّ، سوف نستعرضها تباعاً:

#### الأولى: الكد وتحصيل الرزق.

لعلّ ما أوضحه النبي ﷺ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يبلور هذه النظريّة بجلاء. ومن أروع ما جاء في ذلك وأثر تأثيراً كبيراً، واستمر تأثيره إلى يوم الناس هذا، بل إلى أن تقوم الساعة، ما قام به النبي ﷺ عندما رجع إلى المدينة واستقبله أحد الأنصار فسلم عليه عليه السلام بيدي خشناء وضح فيها المجل من العمل، فسأله ﷺ عن يده الخشناء فأجاب الأنصاريّ بأنّه يكدح في العمل لتحصيل رزقه والكّد على عياله، فما كان منه ﷺ إلا أن أخذ يد الأنصاريّ فقبّلها، ولم يكتفِ بتقبيل تلك اليد، وإنما أعطاها وساماً، حيث قال ﷺ: هذه يدٌ لا تمسّها النار<sup>(١)</sup>، فالكادح في تحصيل ما يحتاج إليه مع عياله يُحرّم الله تعالى جسده على النار، ويجعله

(١) الإصابة: ٣: ٧٢.

من الفائزين في دار القرار ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (١).

### الثانية: تفعيل الطاقات.

قال الرضا عليه السلام: «الَّذِي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكْفِيهِ عِيَالَهُ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٢)، وهنا إغفات نظر رائع من الإمام عليه السلام إذ أنه اعتبر استمرار الحياة كما يحتاج إلى جهاد في سبيل الله من خلال الذبّ بالسيف، يحتاج كذلك إلى إعمار الحياة والسعي في تأمين المعيشة الكريمة، ولا تستمرّ الحياة إلا بهاتين الجنبتين: الجهاد في سبيل الله عبر الذبّ عن الحرمات والمقدّسات، والأخرى تفعيل الطاقات بالكدح في سبيل الله لتحصيل العيش الكريم، وجعل الحياة مستمرة في تلبية ما يحتاج إليه الإنسان من مال واقتصاد.

### الثالثة: المبادرة في إنجاز العمل.

قال إمامنا الصادق عليه السلام: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ الْحَاجَةَ فَلْيَبْرِكْ إِلَيْهَا، وَلْيُسْرِعْ الْمَشْيَ إِلَيْهَا» (٣)، فالتبكير والمسارة في إنجاز العمل له أهميته القصوى في الاستفادة من الفرص واستغلالها بشكل جيد قبل فوات الأوان.

### انسجام العمل مع التكامل المعنوي.

هناك فهم مغلوط لدى البعض تصوّر من خلاله أنّ الكدح والعمل يتنافى مع التكامل معنويًا، هذا الفهم لا ينسجم مع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من الروايات الكثيرة التي تشرح بجلاء أهميّة الكدح في سبيل الله، بل أنّ الشارع

(١) آل عمران ٣: ١٨٥.

(٢) الكافي: ٥: ٨٨، الحديث ٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٣: ١٥٧، الحديث ٣٥٧٥.

ندد شاجباً بالكسالى الذين لا يهتمون بتحصيل المعاش، وتأمين العيش الكريم لهم ولمن يعولون، فلا يقومون بتفعيل طاقاتهم، ويصبحون عالةً وثقلاً على الآخرين، ومن أروع ما ورد: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>، والحقّ تعالى طرد بعضاً من رحمته، منهم الذي يتكل على غيره في تحصيل معاشه دون بذل الجهد المطلوب في تحصيل ما يحتاجه، وقوله ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ» حضُّ لهذه الطائفة من الناس، بل هو حضُّ للجميع في تحصيل العيش الكريم.

### القسم الثالث

#### مبادئ التكسب وفق النظرية الإسلامية

قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ  
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

صدق الله العلي العظيم

#### أهمية السعي في التكسب.

تحث الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام الإنسان على الكسب باعتباره يُحقّق الطمأنينة والاستقرار، وعدم الاحتياج إلى الغير، قال النبي ﷺ: «إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوَّتَهَا اسْتَقَرَّتْ»<sup>(٣)</sup>، والاستقرار هنا يراد به الطمأنينة، فيُتاح للمكتفي اقتصادياً أن يدبر شؤونه باطمئنان.

(١) تحف العقول: ٣٧.

(٢) الجمعة ٦٢: ١٠.

(٣) الكافي: ٥: ٨٩، الحديث ٢.

## عِزُّ الْإِنْسَانِ فِي مَكْسَبِهِ .

هناك الكثير من الروايات تحضُّ المؤمن على الرزق والاستغناء عن الغير، لكونه يمثل عزاً وسؤدداً للإنسان الطالب لرزقه، وهذا ما أبانه المعلّى بن خنيس أحد أصحاب إمامنا الصادق عليه السلام، فقد روى عن الإمام عليه السلام أنه قال له: «اعُدْ إِلَى عِزِّكَ»<sup>(١)</sup>، وقد تكرر هذا الأمر من الإمام عليه السلام لبعض أصحابه ومواليه؛ وذلك لأنَّ الذهاب إلى السوق والبيع والشراء لتحصيل الرزق، وسدِّ العوز ورفع الحاجة، يمثل عزاً وسؤدداً للإنسان، وعليه أن لا يدع عزّه ويُنقص قيمته الذاتية بالالتكال على الغير.

## الالتكاء على الدعاء وترك التكسب .

أبانت الروايات مطلباً هاماً هو أن بعض الناس يقع في الخطأ بتصور أن الدعاء والتوجه إلى الله دون بذل الجهد وطلب الأسباب يُغني الإنسان، غير أن هذا التصور رُدَّ من قبل أهل البيت عليهم السلام، فقد روى أن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام دخل عليه فجلس قدامه وقال للإمام عليه السلام: ادع الله لي أن يرزقني في دعة أي أن يوسع عليّ رزقه لأعيش في رغد فأجابه الإمام جواباً قاطعاً: لَا أَدْعُو لَكَ<sup>(٢)</sup>، والإمام يريد أن يُصحح مفهوماً خاطئاً، هو أن الدعاء وحده كافٍ في تحصيل الرزق دون طلبه بالأسباب، فبيّن عليه السلام أنه لا بد للإنسان أن يطلب رزقه من أسبابه الطبيعية ويدعو الله ليسهل له تحصيله .

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ١٠، الباب ١ من أبواب مقدمات التجارة، الحديث ٢.

(٢) عن أيوب أخي أديم بن يع الهروي، قال: «كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِذْ أَقْبَلَ الْعَلَاءُ بِنُ كَامِلٍ فَجَلَسَ قُدَّامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنِي فِي دَعَةٍ، فَقَالَ: لَا أَدْعُو لَكَ اطْلُبْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». الكافي: ٥: ٧٨، الحديث ٣.

## أهمية التكسب حتى مع وجود المال.

شجّب الإمام عليّ (عليه السلام) الاتكال على الغير، وكذلك شجّب الركون الذي يظنّ بعض الناس أنّ ما لديه من المال يكفي، دون أن يطلب الرزق ببذل الجهد، ذلك ما ركّز عليه الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سأل الفضيل بن يسار: أَيُّ شَيْءٍ تُعَالِجُ؟ قال الفضيل: مَا أُعَالِجُ الْيَوْمَ شَيْئاً، فقال عليّ (عليه السلام): كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ<sup>(١)</sup>، يبدو أنّ الفضيل كان لديه بعض المال الذي يعتمد عليه في معيشته، والإمام عليّ (عليه السلام) وجّه إليه تساؤلاً حول عمله، ولمّا أجاب أنّه لا يزاول عملاً، أبان عليّ (عليه السلام) أنّ من لا يزاول مهنةً ولا يمارس تجارةً ولا يحترف صنعةً فإنّ مصيره الفقر، بذهاب ما لديه من مال.

### أهداف طلب الرزق:

لا بدّ أن نبين أنّ نظام العمل في الزمن السابق يختلف عنه حالياً، فيمكن لبعض الناس في أيامنا هذه أن يتكل على معاشه التقاعديّ ولا يعمل، إلا أنّ الأحسن له أن يمارس طلب الرزق لأنّه يحقّق أهدافاً كثيرة:

### الأوّل: الحصول على العزّ والسؤدد.

وردت آيات في القرآن الكريم وروايات عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) تحضّ الإنسان على طلب الرزق، من أجل أن يحصل على العزّ والسؤدد ويكفّ وجهه عن الناس ويستغني عن غيره.

### الثاني: البعد الإنساني والاجتماعي.

الكثير من الروايات جعلت طلب الرزق لتحقيق بعض الأهداف المشروعة،

(١) الكافي: ٥: ١٤٨، الحديث ٥.



قال إمامنا الباقر عليه السلام: « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا اسْتَعْفَافًا عَنِ النَّاسِ ، وَسَعِيًّا عَلَى أَهْلِهِ ، وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ »<sup>(١)</sup>، والرواية تركّز على أهداف ثلاثة ينبغي على من يطلب الرزق أن يضعها نصب عينيه:

أولاً: أن يعف نفسه عن الناس ، وفي رواية: « مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّةً عَلَى النَّاسِ »<sup>(٢)</sup>، وقول الإمام عليه السلام: اسْتَعْفَافًا عَنِ النَّاسِ يوضح هذا المفاد.

ثانياً: الإنفاق على الأهل ، وتأمين ما يحتاجون إليه من الأهداف الكبيرة لطلب الرزق ، فالكاد على أهله كالمجاهد في سبيل الله ، وهو ما أوضحه الإمام عليه السلام بقوله: « وَسَعِيًّا عَلَى أَهْلِهِ ».

ثالثاً: العطف على الجار. فلا يخلو الإنسان من الأقارب والجيران الذين يحتاجون إلى عطفه وبرّه وصلته ، قال عليه السلام: « وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ ».

### الأثر الأخروي في طلب الرزق.

بعد ذلك بيّن الإمام عليه السلام الأثر الأخروي لمن سعى في تحقيق هذه الأهداف الخيرة ، حيث أنه يلقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي أنّ نورهم يضيء لأهل المحشر ، ويُنير لأهل القيامة ؛ لأنّ البدر يضيء كما نرى ذلك في ليلة النصف من الشهر.

### جمع المال من الكسب الحلال.

قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: « لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ جَمَعَ الْمَالِ مِنْ حَلَالٍ

(١) تهذيب الأحكام: ٦: ٣٢٤، الحديث ١١.

(٢) تحف العقول: ٣٧.

(٣) التحريم: ٦٦: ٨.

يَكْفُ بِهِ وَجْهَهُ، وَيَقْضِي بِهِ دِينَهُ، وَيَصِلُ بِهِ رَحْمَهُ»<sup>(١)</sup>. تؤكد الروايات على صيانة النفس، وعزّ الذات، وسؤدد الشخصية، حتّى لا يحتاج إلى الناس فيظهر بمظهر يخالف تلك العزّة التي ينبغي أن تكون للمؤمن، «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ حَالٍ»، بيّد أنّ تحصيل المال لا بدّ أن يكون على وفق القانون الذي شرّعه الله تعالى، ليكفّ به وجهه، ويقضي به دينه.

### ثواب السعي في طلب الرزق.

يتعرّض بعض الناس إلى نكبات وعليه أن يبذل سعيه الحثيث لطلب الرزق من حلّه ليخرج منها ظافراً، بل مسهماً بفعل الخير كصلة رحمه، وما أروع أن يصل الإنسان بماله الرحم، لما لذلك من الأثر الطيب في إنماء الرزق، وإنساء الأجل، هذه آثار طيبة وكثيرة وردت في الروايات، قال إمامنا الكاظم عليه السلام شارحاً بعض الأهداف التي ينبغي لمن طلب الرزق، وسعى جاداً في تحصيله، أن يضعها نصب نظره: «مَنْ طَلَبَ هَذَا الرَّزْقَ مِنْ حَلِّهِ لِيَعُودَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ»: أي الصيانة للنفس «وَعِيَالِهِ»: أي تأمين العيش الكريم للأهل، «كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>: ليس هناك عمل أفضل من الجهاد، وتحصيل الرزق بالغايات المشروعة، والتوسعة على النفس والأهل، والعيش في سؤدد، يجعل الإنسان كالمجاهد في سبيل الله، وقد طُلب من الإنسان أن يمارس الرزق في كلّ وجوهه المختلفة وبأنحاءه المتعدّدة، فيطلب رزقه من خلال الكراية لنفسه والعمل بيده، أو بالتجارة.

### أهميّة التجارة في طرق الكسب.

الآية التي أوردناها - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ...﴾ - تشير إلى الاتّجار، كما أنّها

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ٣٣، الباب ٧ من أبواب مقدّمات التجارة، الحديث ١.

(٢) الكافي: ٥: ٩٣، الحديث ٣.

تعمّ في بعض التفاسير طلب الرزق من خلال العمل باليد، أمّا طلب الرزق في الأنحاء الأخرى -كالصناعة بالخصوص الاحترافية التي يمهر بها الصانع -فإنّه حُضَّ عليها في الروايات، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «تَعَرَّضُوا لِلتَّجَارَاتِ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا غِنًى عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُحْتَرِفَ الْأَمِينِ»، والرواية تشير إلى منحيين:

**الأول:** التجارة، بمعنى أن يطلب رزقه من خلال البيع والشراء.

**الثاني:** أن يتقن صناعة يصل بها إلى درجة المحترف الماهر بحيث تجلب له الرزق وتدرّ عليه المعاش.

ثم بيّن الإمام عليه السلام أمراً هاماً وهو أنّ على المتّجر أن يماكس ويساوم ويتعرّف على الظروف المختلفة للبيع والشراء، وتحصيل الرزق، لئلا يقع في مآسٍ دون معرفة الوجوه السليمة والصحيحة التي من خلالها يستطيع أن يحصل على رزقه، فقال عليه السلام: «الْمُعْبُونُ غَيْرُ مَحْمُودٍ وَلَا مَأْجُورٍ»<sup>(١)</sup>.

### معرفة طرق الكسب تقي المخاطر.

من يمارس التجارة دون التعرّف على المهارة في بيعه وشرائه، وتحصيل رزقه عبر الاتّجار، يقع في غبن، فتؤخذ الأموال منه بطرق شبه مشروعة دون أن يستطيع أن ينمي ما لديه من مال، بل يخسر ويبتزّ، وقد يعتبر هذا النوع من الابتزاز من قبل الآخرين عائداً عليه بالخير، غير أنّ الإمام عليه السلام حذّر من هذه النظرة السلبية لمن يريد أن يزاوّل التجارة أو يمارس الصناعة، لئلا يقع فريسة للغبن، ولا بدّ أن يمارس باحتراف وعلى وفق القانون؛ إذ أنّ الخسارة ليست بمحمودة العاقبة، ولا يؤجر عليها الخاسر.

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ١١، الباب ١ من مقدّمات التجارة، الحديث ٦.

## الحث على التجارة في الروايات .

التجارة من المهن التي يتوافر فيها الخير الكثير لمن عرف كيفية تحصيل المعاش عبرها ، لذا حُضَّ عليها في الروايات ، قال إمامنا الصادق عليه السلام : «إِنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ»<sup>(١)</sup> ، وروي عنه أيضاً قوله ٧: «مَنْ طَلَبَ التِّجَارَةَ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup> ، فالأئمة من أهل البيت عليهم السلام يحضون الناس على العمل ، ويحثونهم على الاتجار والمشاركة في الضروب المختلفة من تحصيل المعاش والرزق الحلال .

## معرفة طرق المحافظة على المال .

قد يحصل الإنسان على المال لكنّه لا يتحفّظ عليه ، فيخرج منه سريعاً نتيجة لعدم الإحاطة والعلم بكيفية التحفّظ على المال . لذا حثّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الناس على الأهميّة الفائقة في حفظ المال ، وعدم التسرع والعجلة والتساهل في صرفه دون علم بالكيفية السليمة للصرف في الوجه الصحيح السليم ، قال إمامنا الصادق عليه السلام : «اِحْتَفِظْ بِمَالِكَ ، فَإِنَّهُ قِوَامُ دِينِكَ»<sup>(٣)</sup> . يبيّن عليه السلام أنّ المال قوام الدين ، كما أنّه يمثّل عزّاً ، ويحتاج المال الذي يحصل عليه الإنسان إلى التعرّف على الأسباب والكيفيات التي من خلالها يستطيع أن ينمّيه من ناحية ، ويستطيع أن يحتفظ به ليمثّل قوامه لدينه ، لئلا يكون كلاً على الناس ، يتحصّل على المال لكن يذهب من بين يديه بسهولة فيعود فقيراً ، أي لا ينبغي للذي حصل على المال وارتفع في مستواه الاقتصادي أن يتساهل في صرف الأموال التي حصلها ، بل عليه أن يعي الكيفيات المختلفة بالحفاظ على ماله لأنّ ذلك المال قوامه لدينه .

(١) الكافي : ٥ : ١٨٤ ، الحديث ٣ .

(٢) تهذيب الأحكام : ٧ : ٣ ، الحديث ٥ .

(٣) أمالي الطوسي : ٦٧٩ ، الحديث ١٤٤٤ .

## القسم الرابع

### أُطر التصرف الماليّ الشرعيّ

قال الله تعالى :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (١)  
 ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢)

صدق الله العليّ العظيم

#### فطريّة ملكيّة الإنسان .

الملكيّة من المسائل الهامّة في الاقتصاد الإسلاميّ ، وهي أمر فطريّ أودعه الله في وجود الإنسان كما أودع فيه الكثير من الغرائز ، والإنسان كما يحبّ الجمال ويعشق الكمال ، كذلك يحبّ التملّك ، ذلك مشاهد حتّى لدى الصغار في السنّ ، فعندما يحصل الصغير على شيء يتمسّك به ويمنع الآخرين من الاستفادة منه ، إلّا بمقدار محدود إظهاراً لملكيتّه .

#### الملكيّة الفطريّة تراثيّة .

هذه الملكيّة الفطريّة التي أودعت في الإنسان بهدف تحقيق غرض وتحصيل غاية ، وحتّى تتضح الغاية نشير إلى أنّ هذه الملكيّة تراثيّة ، بمعنى أنّ الله تعالى هو المالك حقيقةً ، لكنّه خوّل الإنسان بالتصرف في الكثير من الأشياء على وفق ما يريدّه الله ؛ لأنّ هذه الملكيّة التراثيّة والتصرف القانوني يكفّلان للإنسان الوصول

(١) البقرة ٢ : ٢٨٤ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٠٩ .

إلى الكمال ، الذي لا يتأتى إلا بالملكيّة والتصرّف على وفق القانون ، وهذا ما أوضح في الروايات الواردة عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، قال عليّ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُطَاعُ جَبْرًا ، وَلَا يُعْصَى مَغْلُوبًا ، وَلَمْ يَهْمَلِ الْعِبَادَ مِنَ الْمَمْلُوكَةِ ، وَلَكِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ ، وَالْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ إِيَّاهُ»<sup>(١)</sup> : يبيّن النصّ أنّ الله تعالى اقتضت حكمته أن يقوم العباد بشؤونهم دون أن يكون قيامهم بشؤونهم دالًّا على أنهم مستقلّون بالتصرّف دون قدرة الحقّ تعالى عليهم ، بل كمن يطيع الله بما خوّله من النعم لم يُقسر على ذلك ، وإنما مُكّن وهُدِي للوصول إلى السعادة والكمال ، وهذا ما ركّز عليه عليّ بقوله : «لَا يُطَاعُ جَبْرًا ، وَلَا يُعْصَى مَغْلُوبًا» ، كذلك الله تعالى لم يهمل العباد ويدعهم يفعلون ما يشاؤون دون رقابة منه تعالى ودون حساب في عالم الآخرة تجاه ما صدر منهم ، وإنما هو «الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ ، وَالْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ إِيَّاهُ» .

### الغنى وسيلة امتحان .

إمامنا الصادق عليّ خاتب أحد أصحابه بقوله : «أَتَرَى اللَّهَ أَعْطَى مَنْ أَعْطَى مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ ، وَمَنْعَ مَنْ مَنَعَ مِنْ هَوَانٍ بِهِ عَلَيْهِ ، لَا ، وَلَكِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ يَضَعُهُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَدَائِعَ»<sup>(٢)</sup> ، والنصّ يبيّن أنّ المال الذي لدى بعض الناس لا يمثل كرامة لهم على غيرهم ، كما أنّ الفقر والعوز لا يمثل استخفافاً وهواناً بالفقير ، ولكن المال الذي مُنح إياه ذلك الغني يمثل امتحاناً ، وهو ودیعة لديه ليرى الله ما يفعل به ، قال تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾<sup>(٣)</sup> .

إذن هناك استخلاف في المال الذي لدى العبد ، وبالتالي فملكيتته الحقّة

(١) بحار الأنوار : ٧٤ : ١٤٠ ، الحديث ٢٢ .

(٢) مستدرک الوسائل : ١٥ : ٢٧٠ ، الحديث ١٨٢١٣ .

(٣) الحديد ٥٧ : ٧ .

ترجع إلى الله تعالى .

### الحكمة الإلهية سبب في تحصيل المال .

يُبد أن الإنسان يتوهم أن ما حصل عليه من المال إنما جاءه باستحقاق منه نتيجة لعلم أوتي إياه ، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ، أي أن الأموال التي لم يحصل عليها الآخرون جاءت نتيجة لإحاطة ودراية ليست لدى الآخرين ، والحال أن المنظور - كما جاء في الشريعة الإسلامية - مختلف ، فالمال يدخل فيه العلم لدى الإنسان .

يُبد أنه ليس وحده السبب في تحصيل المال ، وإنما هناك مجموعة من العوامل ، أحدها العلم ، وبموجب هذه العوامل يحصل الإنسان على المال ، ومن العوامل الحكمة الإلهية التي قد تقتضي أن يكون العبد متمكناً من الناحية المالية ، بل مالكاً لثراء من الناحية الاقتصادية ، فإذا ملك على حسب وسائل وقوانين جعلها الله موجبة للملكية بعضها قهرية لا دخل للإنسان فيها كالإرث ؛ إذ بمجرد موت المورث تنتقل الثروة إلى الوارث .

### الإنسان مستخلف على المال .

هناك مجموعة من الوسائل والأسباب موجبة للملكية مثل الإجارة والتجارة والحياسة ، وغير ذلك من الأمور التي جعلت موجبة للملكية بقوانين وحدود ، وإذا حصل الإنسان على ملكية المال على وفق القوانين التي جعلها الشارع فتمى لديه ، فلا ينبغي أن يرى أن ما لديه من المال مستقل في التصرف فيه باعتبار أن المال وصل إليه من خلال سلسلة عوامل مشروعة ومباحة ، وقد جعله الله تعالى مستخلفاً في المال يتصرف فيه على وفق ما يريده ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ .

## الطريقة المثلى في التصرف المالي :

أكد القرآن الكريم على الطريقة المثلى في التصرف بالمال ، قال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، بلورت الآية المباركة ما ينبغي للإنسان أن يتصرف فيه مالياً على وفق ما يريده الباري تعالى ضمن أطر أربعة :

### الأول : الهدف من جمع المال .

المال ليس غاية وإنما هو وسيلة من الوسائل المحققة للكمال والوصول إلى الله تعالى ، وقوله : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾<sup>(١)</sup> يوضح أن المال ليس بغاية ، وإنما وسيلة للوصول إلى الكمال وتحقيق درجة عالية في الدار الآخرة .

### الثاني : الله تعالى قسّم المال بين الناس .

المال قسّم بين العباد ؛ إذ أن كلّ عبد من العباد له نصيب منه ، فلا ينبغي أن يرى أن المال هو دولة بين الأغنياء ، بمعنى أنه ليس له نصيب منه لكون المال مقصوداً على الرأسماليين الذين يمتلكون الثروات الهائلة ، ويظهر من الآيات والروايات أن الله قسّم بين العباد ، وجعل لكل واحدٍ منهم نصيباً من المال ، والنصّ القرآني ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> يوضح أن لكل واحدٍ أن يسعى لتحقيق ما قسمه الله له من المال .

### الثالث : حق المجتمع في ما يملك الإنسان .

المال الذي يحصل عليه الإنسان ضمن إطار إلهي جعل ضمن مجموعة من

(١) القصص ٢٨ : ٧٧ .



القوانين ، منها إحسان الآخرين إليه بعد فضل الله تعالى عليه ، بمعنى أنه لولا المجتمع ككلّ لما أتيح للإنسان الحصول على المال ، فالمجتمع له نصيب من هذا المال باعتبار أنّ له دخل في حصوله عليه ، وبالرغم من أنّ المال في يده وقد أوتي إياه من خلال سلسلة من القوانين التي شرّعت ، بيد أنّ العباد لهم دخل لكونهم محسنين له ، وينبغي أن يُحسن إليهم ، قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

### الرابع : التعامل الشرعيّ فيما يُكسب .

نبّه النصّ القرآنيّ الإنسان إلى أمر هامّ هو : أنّ عدم السير بالمال على وفق ما يريده الحقّ تعالى ، واكتنازه وادّخاره وحيازته دون أن يكون على وفق ما يريده الله -بالإحسان إلى الغير بإعطائه ، والتصدق عليه ، وإخراج ما جعله الله فيه - يكون مفسداً للمال وجاعلاً له وسيلة لاسترقاق غيره ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ يبيّن هذه الحيثيّة الهامة التي لها دخل في وصول الإنسان إلى الحقّ تعالى .

هذه أطر أربعة كلّ منها له دخل في وصول الإنسان إلى الكمال والسعادة .

## القسم الخامس

### المال بين مدارج الكمال ومهاوي السقوط

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

## مبادئ الوصول للانتماء الإلهي:

ظهر ممّا تقدّم أنّ ملكية الكون كلّه لله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، وقد جعلت اعتباراً ومجازاً للإنسان كي يصل إلى كماله ورشده، اللذين لا يتحققان له إلا بالملكية الاعتبارية والقانونية، الشخصية والعامة.

وذكرنا أنّ المنهج السليم ينطلق من قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ رِئَاسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وإذا انطلق الإنسان من ذلك وصل إلى رشده وسار على ضوء المنهج الإلهي الموصل إلى السعادة في الدارين، وأكد الله تعالى هذا المنهج الذي لا بد للإنسان أن يجعله نُصب عينيه في انتمائه له تعالى، من خلال مبادئ أربعة:

### الأول: إزحاء الشكر له تعالى.

الشاعر هو الذي يرى أنّ ما لديه من نعم حصل عليها من الباري المنعم، الذي أمر عباده أن يشكروه، وشكره هو الثناء على ما أنعم به، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، يوضح هذا المبدأ أنّ ما بين يدي الإنسان من نعم مملوكة لله تعالى حقاً، وتأكيد ذلك بالشكر، وكلّما ازداد الإنسان شكراً للحقّ كلّما أكد انتماءه له تعالى، وإظهار العبودية في برامج الإنسان العامة لا يتأتى إلا بهذا الشكر، قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

(١) البقرة ٢: ٢٨٤.

(٢) القصص ٢٨: ٧٧.

(٣) النحل ١٦: ١٤.

## الثاني: السير في المسار الموصل إلى السعادة.

إن معنى سير الإنسان في المسار الموصل للسعادة هو أن لا يطغى فيما حصل عليه من نعم وما ملكه اعتباراً من عند الله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾<sup>(١)</sup>، فإذا رأى الإنسان أنَّ المالك حقيقة لما عنده هو الله تعالى فلن يطغى؛ إذ أنَّ الطغيان يتأتى من التصرف المستقل بتصور أنَّ ما لديه من مالٍ مُلكٌ له وليس لله تعالى، وهو ما أوضحه القرآن الكريم سبباً لظغيان الإنسان وخروجه عن صراط العبودية المستقيم، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾<sup>(٢)</sup>، فالضلالة بالخروج عن جادة الصواب، وفي الإنفاق، والتصرف الاقتصادي الذي لم ينطلق من مبدأ العبودية للحق تعالى، وأنَّ ما لدى الإنسان من مال قد استخلف فيه سوف يؤدي به إلى الطغيان.

## الثالث: الإنفاق وسيلة للتكامل.

المحور الآخر الذي أكد به مبدأ الملكية للحق تعالى كي لا يطغى أن ينفق المال فيما يريده الباري تعالى ولا يدخره، بل يجعله وسيلة لتكامله من ناحية، وتكامل المجتمع الذي يعيش في كنفه من ناحية أخرى، وهو ما ألمح إليه قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، يأمر الله تعالى الإنسان بأن ينفق دائماً وأبداً،

(١) طه ٢٠: ٨١.

(٢) العلق ٩٦: ٧ و ٨.

(٣) المنافقون ٦٣: ١٠.

وأن لا يتوقّف عن الإنفاق في سبيل الله في يسره وعسره ، وغناه وفقره ، والإنفاق في سبيل الله مبدأ لا يختصّ بالغنيّ من الناس ، وإنما هو تأكيد عبودية الإنسان له تعالى ، وأنّ ما لديه من مالٍ لله تعالى ينفق منه في سبيله وفق ما يريد ، وليس له استقلالية التصرف فيه ، بل أنّ ما لديه من مال من الله وصل إليه عبر مجموعة من العوامل المساعدة منها ، الجهد والعلم ، اللذان هما منحة من الله فالدربة والدراية والعلم نعمّ منحها الله إيّاها ولولاها لما استطاع أن يحصل على ما لديه وما أمكنه أن يستمتع به .

### الرابع : المال أمانة لدى الإنسان .

للمجتمع دور هامّ فيما لدى الإنسان من مال ، ولعلّ جعل مبدأ الملكية فردياً تارة ومشاعاً أخرى لأجل أن يتكامل الجانب الفرديّ بالملكية مع الجانب المشاع ، وما نطلق عليه بالملكية العامة وملكية الدولة ، فهناك ملكيات مشاعة للمجتمع ككلّ ، وهي الملكية المسيطر عليها من قبل الدولة ، وهناك ملكية فردية للإنسان ، وقد أكّدت آي القرآن والروايات الواردة على مبدأ عامّ ، وهو أنّ المال أمانة في يد الإنسان ، قال الإمام عليّ عليه السلام : « الْمَالُ عَارِيَةٌ »<sup>(١)</sup> ، وقال الإمام الصادق عليه السلام : « وَاجْعَلْ مَالَكَ عَارِيَةً تَرُدُّهَا »<sup>(٢)</sup> ، ومعنى عارية أي أنّ المال استعرت له لقضاء حاجة ثمّ ترجعه إلى مالكة الأصليّ وهو الله تعالى ، ومهما حاول الإنسان أن لا يرجع المال فلن يتمكن من ذلك ؛ لأنّ المال سيرجع إلى الله قهراً ؛ لأنّه لن يدوم في بقاءه ولن يستمرّ في وجوده ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهناك الكثير من النصوص تبين النظرة السليمة للملكية وللدنيا بشكل عامّ ،

(١) غرر الحكم : ٣٦٨ ، الرقم ٨٣٢٧ . عيون الحكم والمواعظ : ٦١ ، الرقم ١٥٧٤ .

(٢) الكافي : ٢ : ٤٥٥ و ٤٥٦ ، الحديث ٧ .

(٣) الشورى ٣٢ : ٥٣ .

قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «الدُّنْيَا مَتَجَرٌّ»<sup>(١)</sup> أولياء الله ، أي يتجر الولي لله تعالى بكل ما مُنح من مالٍ ، بل بكل ما لديه وفي متناوله .

وجاء عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «دَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup> ، فالدنيا تغني الإنسان ، بيد أن الذي يقتني بهذه الدنيا ويستغني بها من تزود بها ومنها في سبيل الله تعالى بالوصول إلى الكمال .

### كيفية الوصول بالمال إلى الكمال .

الطريقة التي تُتاح للإنسان كي يتصرف في المال متزوداً به ومتجراً مع الله تعالى للوصول إلى مدارج الرقي ، أوضحت في النصوص بطريقتين :

**الأول :** رُكِّز فيه على أن الإنسان لا بد أن ينظر إلى ما لديه من مالٍ ونعم مزرعة لا بد أن يحصد قطفها ونتاجها في عوالم سيؤول إليها في مستقبل أمره ، كما جاء : «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup> .

**الثاني :** ما أوضحه إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في كلمة رائعة بين فيها النظرة السليمة في جعل ما لدى الإنسان من مال ونعم يوصل إلى الرشد والكمال ، قال عليه السلام : «وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ»<sup>(٤)</sup> .

الحقيقة هي أن نظر الإنسان إلى المال والنعم التي حول إياها تارةً يكون بنظرة تؤدّي إلى السقوط ، وأخرى بنظرة تُوجب له الرقي والكمال ، فهناك نظرتان مختلفتان :

(١) شرح النهج : ٩ : ٢٠٢ .

(٢) الإرشاد : ١ : ٢٩٦ .

(٣) عوالي اللئالي : ١ : ٢٦٧ ، الحديث ٦٦ .

(٤) روضة الواعظين : ٢ : ٤٤٥ .

**الأولى: الإبصار بالدنيا.**

قوله ﷺ: « مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتُهُ »: أي من يُبْصِرُ بالدنيا فهو لا ينظر إليها بل تكون مرآة يرى من خلالها الأمور، وكلمة « أَبْصَرَ بِهَا » أي جعلها آلة للإبصار، وطريقاً للرؤية الموصلة إلى تحديد الأهداف المراد بلوغها، ممّا يجعل صاحبها على بصيرة ووعي، يرى الأمور فيها بوضوح.

**الثانية: الإبصار للدنيا.**

قوله ﷺ: « وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ » أي من جعل رؤيته إلى الدنيا، وحدّد مدار أمره عليها في إطار المال، سوف يعمى، ويتحوّل المال من وسيلة إلى غاية، ولن يرى الطريق بوضوح، ولن يصل إلى الهدف، وسوف يصبح إنساناً تحرّكه المادّة دون أن يعرف ما يريد الحقّ تعالى منه، هذه مبادئ موضّحة لكيفية الوصول إلى ما يريد الله تعالى لتكامل الإنسان.

**القسم السادس****العواقب الوخيمة للاستئثار بالمال**

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

**التأثير السلبي للمال.**

اتّضح ممّا سبق أنّ الله تعالى جعل للإنسان أنماطاً من الملكية؛ لأنّ التكامل

(١) الإسراء ١٧: ١٦.

والرقي لا يتأتيان إلا في ضوء هذه الأنماط ، خصوصاً نمطي الملكية الفردية والعامّة ، وذكرنا أنّ الإنسان بعد ملكه المال مطالب بشكر الله على ما أنعم به عليه ، أداءً لحقّ إنعامه كما عبّر علماء العقائد ، وأنّ العبوديّة لله تعالى لا تتحقّق إلا بشكره والإنفاق للمال فيما أمر الله ؛ إذ أنّ عدم إنفاق المال يؤدي إلى التكاثر والطغيان ، ورؤية الإنسان لنفسه مستقلاً غير مخوّل ولا مُستخلف من قبل الله تعالى ، ممّا يؤدي إلى الهلاك ، وأوضحت طائفة من الروايات التأثير السلبي للمال والملكيّة في هلاك الإنسان إذا لم يسرّ به على وفق ما يريدّه الحقّ تعالى .

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إِنَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ أَهْلَكَمَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ»<sup>(١)</sup> . النبي صلى الله عليه وآله يشير إلى تأثير الطغيان والرؤية المستقلّة للمال في أدائه إلى الهلاك .

### الأنبياء في مكافحة الطغيان الاقتصادي .

كان للمال التأثير السلبي في إهلاك الأمم السالفة ، فبعث الحقّ تعالى الأنبياء والرسول لمكافحة الطاغوت السياسي من ناحية والطاغوت الاقتصادي من ناحية أخرى ، فهو تعالى كما بعث الأنبياء لإزالة العلوّ والاستكبار لفرعون وهامان وغيرهما على يد موسى عليه السلام .

كذلك بعث أنبياءه لإزالة العلوّ والطغيان الحاصل من الثروة الماليّة الكبيرة التي يبخرس فيها أصحاب رؤوس الأموال الناس حقوقهم -كقارون الذي حاربه موسى عليه السلام - أي أنّ الأنبياء والرسول حاربوا الطغيان السياسي والطغيان الاقتصادي على المستويين : الفرديّ ، وعلى مستوى المؤسسات الكبرى التي تهيمن على الأمم والشعوب دون مراعاة لمبادئ العدالة .

(١) الكافي : ٢ : ٣١٦ ، الحديث ٦ .

## الاستثمار الشرعي للمال .

أشار إمامنا الصادق عليه السلام إلى التأثير السلبي للمال في فناء الأمم والشعوب من خلال قاعدة عامة تجري على الأمم غير المنتحلة للإسلام ، وعلى المسلمين أيضاً إذا لم يراعوا ما أمر الله به في إنفاق الأموال على وفق الضوابط ، فقال عليه السلام : «إِنَّ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ ، وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ ، فَإِنَّ مِنْ فَنَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَفَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ فِي أَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ ، وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ»<sup>(١)</sup> . الإمام عليه السلام يشير إلى أمرين رئيسيين لهما مدخلة في استثمار المال :

### الأول : الالتزام بالضوابط الشرعية .

معنى صيرورة الأموال في يد من لا يعرف فيها الحق هو عدم المعرفة بكسب المال من حله وإنفاقه في حله ، بمعنى عدم مراعاة الضوابط والقوانين المشرعة من قبل الله تعالى ، وقد يراعي الإنسان القانون المشرع من قبل الله إلا أنه لا يكون سائراً بالطريقة المثلى التي لا تتحقق إلا بصنع المعروف ، وهذا ما أوضحناه في قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

### الثاني : إنفاق المال في المعروف .

المال حتى إذا جاء على أسس الضوابط والقوانين من قبل الله تعالى ، لكنه قد يؤدي إلى وجود ثروة كبيرة محللة قد يترتب عليها ما لا تحمد عقباه ، إلا أن

(١) الكافي : ٤ : ٢٥ ، باب المعروف ، الحديث ١ .

(٢) القصص : ٢٨ : ٧٧ .



الإنفاق بالمعروف منها يوصل النفس والمجتمع إلى الرقي والسؤدد، وعدم الإنفاق بالمعروف حتى مع كسب المال من حله، قد يؤدي إلى عواقب وخيمة كما ورد في النص السابق للإمام الصادق عليه السلام حيث أوضح أن الفناء والهلاك كما يتأتى بعدم معرفة القانون قد يتأتى بعدم صنع المعروف.

### الآثار الوخيمة في عدم إنفاق المال.

أمر الباري تعالى في القرآن الكريم بالإنفاق بنحو عام ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(١)</sup>، ويتضمن أمره أن عدم الإنفاق يؤدي إلى التهلكة حتى مع اكتساب المال من حله، وهذا المعنى بلورته طائفة من الروايات.

### الإنفاق وقاية من هلاك المال.

الاعتداء على المال المكتنز لدى الإنسان بسرقة قد يحصل من الناس بنحو يشمل حتى من اكتسب المال من حله، فرغم أنه أخذ المال بحق غير أن وجود المال عرضة بإغراء الغير بالتعدي عليه، والشارع لتخليصه أمره بالإحسان واصطناع المعروف بإنفاق المال في سبيل الله لئلا يؤدي إلى التهلكة من ناحيتين:

**الأولى:** عدم كسب المال بالطرق المشروعة والقواعد التي أبانها الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمال لا يمكن أن يؤخذ بطرق غير مشروعة بتوهم أن أخذه عبر تلك الطرق والوسائل حنكة وذكاء، بل هو فناء للأخذ والمجتمع بأسره؛ لأنه أكل للمال بالباطل.

(١) البقرة ٢: ١٩٥.

(٢) النساء ٤: ٢٩.

**الثانية:** الاستئثار بالمال هلاك ، كما قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « وَمَنْ يَسْتَأْثِرْ مِنَ الْأَمْوَالِ يَهْلِكُ »<sup>(١)</sup> ، وهذا قانون عامٌّ أنّ من ملك المال واستأثر به - أي جعله إثراً بيده دون إنفاق وإشراك للمجتمع فيه - سوف يؤدي لهلاكه ، وقد الفتنا الانتباه فيما أسلفنا إليه من أنّ رأي الشارع بأنّ المجتمع له إسهام في إيصال الإنسان إلى الثراء ، ولولا إسهامه في التبادل الاقتصادي لما أمكن وصول الإنسان إلى الثراء ، وإذا نظرنا من هذه الزاوية نعرف أنّ الأمر بالإنفاق وعدم الاستئثار لئلا يترتب عليه الهلاك ناظر إلى إسهام المجتمع في الثروة ، وأنّ عدم إعطاء المجتمع ما يستحقّه يؤدي إلى الهلاك ، وهو ما أفاده الإمام علي عليه السلام « وَمَنْ يَسْتَأْثِرْ مِنَ الْأَمْوَالِ يَهْلِكُ » .

### نتائج استئثار الغنيّ بالمال .

هناك حقيقة جميلة أشار إليها إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وردت بمعانٍ متعدّدة في نصوصنا الروائية تبين مضمون «فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُنِعَ بِهِ غَنِيٌّ»<sup>(٢)</sup> : أي أنّ استمتاع الغنيّ بالمال سبب في جوع الفقير ، بل ورد أكثر من ذلك ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا ، وَلَا احْتَجُّوا ، وَلَا جَاعُوا ، وَلَا عَزُّوا ، إِلَّا بِذُنُوبِ الْأَغْنِيَاءِ »<sup>(٣)</sup> ، فما نشاهده من فقر وضياع وجريمة متفشّية في بعض الأحياء الفقيرة في المجتمعات الإنسانية سببه الرئيس استئثار أصحاب الأموال بأموالهم دون الرؤية السليمة في أنّ الفقراء لهم إسهام ونصيب في الثروة ، وبالتالي لا بدّ أن يُعطوا منها لئلا يؤدي عدم الإعطاء إلى الفناء ، ويتأتّى الفناء من ناحيتين : إما بالاعتداء من أولئك الفقراء نتيجة لحالتهم المأساوية ؛ إذ أنّهم قد لا يعرفون القانون أو

(١) بحار الأنوار : ٧٥ : ٥٦ ، الحديث ١١٨ ، نقلاً عن تحف العقول : ٢١٧ .

(٢) نهج البلاغة : ٤ : ٧٨ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٧ ، الحديث ١٥٧٩ .

لا ينضبون على وفقه لحاجتهم فيعتدون على مال الغير انتقاماً ليكون عملهم محققاً لسنة إلهية، فكما أن الله تعالى خسف بقارون الأرض فهناك سنن منها الأمراض والأوبئة والحوادث التي يصاب بها الإنسان وهي آتية على وفق تلك السنن التي يصاب بها الفرد تارة والمجتمعات تارة أخرى، وهذا ما أبانه القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (١)، فالفسق خروج عن القانون الإلهي، وعقابه إما بالتدمير بشكل مباشر أو غير مباشر.

## القسم السابع

### الرقى الاقتصادي وسيلة التقدم العلمي والاجتماعي

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَأَنْفُقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ  
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)

صدق الله العلي العظيم

### مقارنة بين النظام الإسلامي والرأسمالي.

قلنا إن الآية المباركة توضح مطلباً هاماً هو أن اكتناز الثروة يلازم الطغيان المؤدي إلى التهلكة، والنظام المالي في الإسلام يقوم على التكافل الاجتماعي لا على التنافس في امتلاك الثروة، ولا على الحرية المطلقة في الاستهلاك كما هو الحال في النظام الرأسمالي الحديث، بل يباح لكل فرد التمتع بنحو تام دون هيمنة مطلقة على رأس المال بحيث يُحوّل المجتمع إلى قطعان من الأغنام يتصرف فيها ملاك

(١) الإسراء ١٧: ١٦.

(٢) البقرة ٢: ١٩٥.

رؤوس الأموال، ويُعبّر الإسلام عن هذا المعنى بتعبير جميل في كلام النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(١)</sup>. من الواضح أنّ النظام الرأسمالي لا يراعي مسألة الحقوق للفرد ولا للأمة إذا كانت تؤثر سلباً في جمع الثروة، بل يتصرّف هذا النظام في الأمم والشعوب بنحو من الرق والاستعباد للحفاظ على مصالحه.

أمّا النظام الإسلامي فلا يسمح بأن تكون الثروة في يد طبقة رأسمالية تستعبد المجتمعات، بل يدعو إلى توزيع الثروة في المجتمع بأسره كي يكفل للإنسان العيش الكريم.

### الاستغلال المالي في هدر كرامة الإنسان.

والمجتمع الذي تتحوّل فيه فئة خاصّة تتكدّس لديها رؤوس الأموال في قبال أكثرية مطلقة لا تستطيع أن توفر لقمة العيش لنفسها، هو مجتمع غير قائم على مبادئ وأصول الاقتصاد الإسلامي، بل يقوم على طغيان اقتصادي شجب وأدين من قبل الإسلام، وقد وردت مجموعة من التعبيرات في الروايات الواردة عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام منددة بذلك، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرّ بعضهم على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها»<sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب له عليه السلام إلى عمّاله يشجب فيه تصرّف بعض الولاة الذين يستهترون

(١) كنز العمال: ١: ١٤٩، الرقم ٧٣٧.

ورواية أخرى عنه ﷺ: «مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضهم تداعى سائرته بالسهر والحمى». بحار الأنوار: ٥٨: ١٥٠، الحديث ٢٩.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٤٩.

بالمال ، ويحولون من يتقرب إليهم إلى رأسماليين كبار ويستغلون المجتمع ، قال ﷺ : « لَا تَسْخَرُوا الْمُسْلِمِينَ فَتَذُلُّوهُمْ »<sup>(١)</sup> : هذا معنى عميق في التشريع الإسلامي لا يسمح بالإذلال والتسخير للمسلم المؤدي إلى امتهان كرامته ، وعدم الحفاظ على حقوقه ، وتسخيره فيما يعود إلى الصالح الخاص لأصحاب رؤوس الأموال دون مراعاة للحقوق ، فتمتحن الكرامة للإنسان ، ويُسْتَذَلُّ في الحصول على ما يحتاجه من تأمين صحي ، أو توفير للقممة عيشه وأسرته .

وقد أبانت آي القرآن الكريم والروايات هذا المضمون العميق في الشريعة الإسلامية ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، عندما نتأمل قوله تعالى : ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ نجد في الآية دعوة إلى القوامة بالقسط ، وهو المعنى الذي أشير إليه في حديث النبي ﷺ : « الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ »<sup>(٣)</sup> والرواية ناظرة إلى الخلق بنحو عام ، ولم تلحظ فئة خاصة من الناس .

### أثر الترف في هلاك الإنسان .

إن تركيز طائفة من الروايات على أن الأمة الإسلامية لا بد أن تُقدّم العلم على الثروة ، وتتخذ الثروة سبيلاً إلى الرقي والمجد العلمي ، بما لا يؤدي إلى التكاثر الذي شُجِبَ في قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، بمعنى أن العيش الاترافى والتكاثرى تُدّد به لأدائه إلى الاستغلال للثروة بصورة بشعة

(١) مستدرك الوسائل : ١٣ : ٤٧٢ ، الحديث ١٥٩٣٠ .

(٢) المنافقون ٦٣ : ٩ .

(٣) قرب الإسناد : ١٢٠ ، الحديث ٤٢١ . مجمع الزوائد : ٨ : ١٩١ .

(٤) التكاثر ١٠٢ : ١ و ٢ .

تؤثر على كرامة الإنسان المسلم فلا تُصان له الحقوق ولا تُرعى له الواجبات التي كُفلت في التشريع الإسلامي، قال النبي ﷺ موضحاً هذا المعنى: «هالك أمتي في شيئين: ترك العلم وجمع المال»<sup>(١)</sup>، وهو ما يحصل في عصرنا الحديث من التأخر العلمي لأمتنا الإسلامية، فهناك حكومات تمتلك الثروات الكبرى غير أنّ لديها القليل من العلم في قبال الأمم المتقدمة، بينما لو سُخِرت هذه الأموال في الرقي والتقدم العلمي لأدى ذلك إلى مجد وسؤدد أمتنا الإسلامية جمعاء.

### الاكتناز المالي في نظر الإسلام.

قارن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام بين العلم والمال فقال عليه السلام: «ثروة العلم تُنجي وتُبيحي»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «ثروة المال تُردي وتُظني وتُفني»<sup>(٣)</sup> يشير عليه السلام إلى ما يعبر عنه بالاكتناز في المفهوم الإسلامي، أي أنّ الأمة الإسلامية إذا تحوّلت إلى جعل المال هدفاً دون أن يكون وسيلة في رقي الأمة وسؤدها وحصولها على التقدم العلمي والصحي والثقافي، والتقدم في المجالات الأخرى، بما يعود بالخير على فئات المجتمع بأسره، فإنّ ذلك طغيان يُردي الأمة، ويجعلها في أدنى درجات السلم الاجتماعي بين الأمم الأخرى بالرغم من تقدّمها الاقتصادي، فالتقدم الاقتصادي ليس هو المدار الذي به تتقدم الأمة في المجالات المتعددة.

### دور المال في تقدم الأمم.

يُراعي إسلامنا الحنيف الحفاظ على عزّة الإنسان المسلم، غير أنّ واقع

(١) المستطرف: ١: ٤٧.

(٢) غرر الحكم: ٦٣، الرقم ٧٧٦.

(٣) غرر الحكم: ٣٦٨، الرقم ٨٣٠٥.

المسلمين في عصرنا الحديث جعلهم في أدنى الأمم التي ليس لها كلمة الفصل ، فلا تستطيع أن تقول كلمتها في الحفاظ على عزّتها ، بل تتحكّم فيها الأمم الأخرى بالرغم من تقدّمها الاقتصاديّ الكبير وامتلاكها الثروات الهائلة دون أن يعود هذا التقدّم عليها بما يحفظ لها الكرامة والعزّة والسؤدد ، وهذا ما لا يريده إسلامنا ، بل يريد أن نحصل على المال لكونه وسيلة دون أن يتحوّل إلى غاية ، وأن تكون الغاية هي التقدّم العلمي والثقافي والاجتماعي بما يحقق العزّة والكرامة للأمة الإسلامية جمعاء ، وهو الذي أبانه الحقّ تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ليكون المال وسيلة تُسهم في عزّة ومجد الأمة .

### طريق خلاص المجتمع من الطغيان الماليّ .

الإنفاق يجعل الثروة دائرة بين المجتمع ، وبتدوير الثروة ينتفي الطغيان ويُتاح للجميع الحفاظ على الصّحة والتقدّم العلمي والاجتماعي للفرد وللأمة بأفضل صورته ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١) يوضّح أنّ اللازم من جمع المال بجعله هدفاً يؤدّي إلى التهلكة ، ولا يحقق المراد من كونه وسيلة من الوسائل التي تحقّق الغايات المرجوة للأمة ، وهي أن تكون غايتها - أفضل أمة - ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٢) ، ومعنى خير أمة هو كونها قدوة للأمم الأرض لا أن تكون في أدنى درجات السلم بين الأمم بالرغم من ثرواتها الهائلة .

### أثر الإنفاق والعدل والرقيّ الاجتماعيّ .

#### الخطبة الأولى : الإنفاق في سبيل الله

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ،

(١) البقرة ٢ : ١٩٥ .

(٢) آل عمران ٣ : ١١٠ .

أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فهو الصادق الأمين الذي جاء للناس بخير شريعة وهدى ، من أتبعه وصل إلى السعادة والرشد ، وتحقق له الأمن والرفاه في الدنيا والآخرة ، وقد تمثل هديه ﷺ في القرآن الكريم والسنة الواردة عنه وعن أهل بيته المعصومين عليهم السلام ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١).

### أنواع البذل والعطاء .

الزكاة عبادة مالية فرضها الله تعالى لتحقيق الرفاه للإنسان والرفق في مجالات الحياة المختلفة ، وهي بذل وعطاء في سبيل الله ؛ ذلك أن البذل والعطاء له أنحاء متعدّدة ، فتارة يبذل الإنسان نفسه في سبيل الله ، وأخرى يبذل المعروف - كالكلام الطيب - قال ﷺ : « الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » (٢) ، وثالثة يكون البذل بالإنفاق المالي .

### أهمية الإنفاق في الإسلام .

من أهمّ الركائز التي أكّدت عليها الشريعة الإسلامية الإنفاق المالي ؛ إذ أن تقدّم المجتمع الإسلامي يرتبط بالإنفاق ، وقد ضاعف الله تعالى الأجر لمن أنفق في سبيله ، قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) ، وحضت الروايات على البذل ، وأكّدت على السخاء والكرم والإنفاق في سبيل الله ، وهو لا يقصر على البذل للفقراء والمعوزين فقط ، بل يشمل كلّ مفردة من المفردات

(١) الأعلى ٨٧ : ١٤ - ١٩ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٤ : ٨٥ ، الحديث ٣ ، نقلاً عن مكارم الأخلاق : ٤٦٧ ، الحديث ٣ .

(٣) البقرة ٢ : ٢٦١ .



التي يحتاج إليها المجتمع في تقدّمه ونموّه المُطرد ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «وَلَيْكُنْ نَظْرُكُمْ عَبْرًا ، وَصَمْتُكُمْ فِكْرًا ، وَقَوْلُكُمْ ذِكْرًا ، وَإِيَاكُمْ وَالْبُخْلَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّخَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِخَيْلٍ» (١) . حرّم الله تعالى الكريم على النار .

وقد ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام في المقارنة بين العبادة والبخل والسخاء مع ارتكاب بعض الذنوب ، وكيف أنّ السخي يوفق للغفران ، قال عليه السلام : «شَابُّ سَخِيٍّ مُرَهَّقٌ فِي الذُّنُوبِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ شَيْخٍ عَابِدٍ بِخَيْلٍ» (٢) : أي لا شيء يمحق الإيمان كالبخل والشحّ .

وقال عليه السلام أيضاً : «لَمْ تُبْعَثْ لِجَمْعِ الْمَالِ ، وَلَكِنْ بُعِثْنَا لِإِنْفَاقِهِ» (٣) ، ويبيّن هذا الدقّة المتناهية للنظرية الإسلامية تجاه المال ، فهي تتبنّى إنفاقه وبذله من خلال التشريعات التي جعلها الله من أجل حضّ المسلم على العطاء في جميع المجالات الاقتصادية والصحيّة والثقافيّة والفكريّة والاجتماعيّة ، ليتحقّق الرقي والتكامل للفرد والمجتمع من جهة ، وينتشر الأمن والاطمئنان من جهة أخرى ، وبذلك نفهم دور الإنفاق في اجتثاث جذور الجريمة التي تنشأ من الفقر والعوز .

### أسلوب قرآني في الحثّ على الإنفاق .

يؤكد الإنفاق روح الإستخلاف لله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٤) : أي أنّ ما حصل عليه الإنسان من مال في هذه الحياة الدنيا إنّما هو مستخلف فيه ، ووكيل في التصرف فيه ، ومن خلال هذا يسهل الإنفاق ، ويزول الشحّ عن النفس ؛ لأنّ المال في حقيقته

(١) بحار الأنوار : ١ : ١٤١ و ١٤٢ ، الحديث ٢٩ ، نقلاً عن تحف العقول : ٣٩٠ .

(٢) الكافي : ٤ : ٤١ ، الحديث ٤ .

(٣) مشكاة الأنوار : ٣٢١ .

(٤) الحديد ٥٧ : ٧ .

ملك لله ، قال تعالى : ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (١).

### شمولية الإنفاق .

من أهم موارد التعاون على البرِّ والتقوى الإنفاق في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٢) ، وليس ذلك مقصوراً على أداء الواجبات كالزكاة والخمس بل يشمل كل الموارد التي يوجد بها المنفق بالإنفاق المستحب ، لتوضع في المجالات التي يحتاجها الإنسان ، ومن أهمها المجال العلمي والمعرفي والصحي الذي يحتاجه الناس في تقدمهم وتطور مستقبلهم ورفع شأنهم ، قال الصادق عليه السلام : « وَلْيَعْنِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، فَإِنَّ أَبَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : إِنْ مُعَاوَنَةَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » (٣) .

وقال عليه السلام : « أَرْبَعَةٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْبِرُّ ، وَالسَّخَاءُ ، وَالصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّ الْمُؤْمِنِ » (٤) : يقوم المؤمن بحق أخيه المؤمن من خلال الإخاء والتعاون بينه وبين إخوانه المؤمنين والمسلمين .

### الخطبة الثانية : العدل

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

(١) النور : ٢٤ : ٣٣ .

(٢) المائدة : ٥ : ٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٧٥ : ٢١٧ و ٢١٨ ، الحديث ٩٣ .

(٤) بحار الأنوار : ٧٥ : ٢٦٠ ، الحديث ١٠٨ ، نقلاً عن تحف العقول : ٣٧٥ .

المبغ للرسالة السماوية السمحاء، الكافية لإيصال الإنسانية جمعاء إلى الخير والهدى والسداد، والمحقة لهم السعادة في الدارين.

### العدل في الإسلام.

من أهم الركائز التي أكد عليها الإسلام العدل، فهو أحد الأصول الاجتماعية التي ترجع جذورها إلى أحد مبادئنا العقدية، وهو قاعدة صلبة يبنى عليها المجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (١).  
وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوَظٌ مِنَ الْعَدْلِ» (٣).  
وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الْعَدْلُ أَحْلَىٰ مِنَ الْمَاءِ يُصِيبُهُ الظَّمَانُ، مَا أَوْسَعَ الْعَدْلُ إِذَا عُدِلَ فِيهِ وَإِنْ قَلَّ» (٤): يوضح لنا الإمام عليه السلام الأهمية الكبرى التي أولاها الإسلام للعدل.

### العدل مبدأ عام.

من المبادئ التي تتسم بالشمولية العدل، وهو لا يقتصر على الجانب الاجتماعي الذي يرتبط بعدل الإنسان في تعامله مع أخيه الإنسان، بل يتعدى ذلك فيشمل عدل الإنسان مع نفسه ومع زوجه، وفي تعامله مع كل مفردة من مفردات الحياة، لذا ركز أئمة أهل البيت عليهم السلام على أهمية العدل في مفهومه العام، وأن على الإنسان

(١) النحل ١٦: ٩٠.

(٢) المائدة ٥: ٨.

(٣) نهج البلاغة: ٣: ١١٦.

(٤) بحار الأنوار: ٧٢: ٣٦، الحديث ٣٢.

مراعاة جانب العدل ، وأن لا يحيد ولا يظلم ، ويسير بالقسط فيما بينه وبين الناس ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأحد أصحابه : « فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً »<sup>(١)</sup> : يؤكد الإمام عليه السلام على مبدأ العدل بين الناس بغض النظر عن دينهم أو مذهبهم ؛ لأن العدل لا يطبق على المسلم فقط ، بل حتى غير المسلم ما دام يشترك في الإنسانية معنا ، يشمله العدل ، قال عليه السلام الناس : « [النَّاسُ] صِنْفَانِ : إِمَّا أَحَقُّ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ »<sup>(٢)</sup> ، ويدفعنا هذا إلى مراعاة العدل في تعاملنا مع مختلف الناس بغض النظر عن اختلافهم وانتماءاتهم العقديّة والمذهبيّة ، بل واللادينيّة ، أي أنّ حتى من لم يعتقد بدين ، فإنّ التعامل معه بالعدل يجذبه نحو الإسلام ، فيعتنق الدين الحقّ الذي شرّعه الله لعباده ، قال عليه السلام : « اَعْدِلْ فِي الْعَدُوِّ وَالصَّديقِ »<sup>(٣)</sup> .

وقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : « كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ »<sup>(٤)</sup> : أي أنّ القداسة والطهر لن يتحققا لأمتنا الإسلاميّة - ولا لأيّ مجتمع من المجتمعات - ما لم تسر على وفق هذا القانون الذي أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلمة (قوم) لم يُلاحظ فيها الانتماء إلى الإسلام أو الانتماء إلى دين ، من هنا ينبغي للمسلمين أن يراعوا العدالة في تعاملهم مع الإنسان ، حتى وإن لم ينتم إلى دين .

إذن العدل من السنن والقواعد التي أكّد عليها القرآن الكريم ، وعلى من صام هذا الشهر العظيم - شهر الله - وتلا أي الذكر الحكيم ، وناجى الله تعالى بالأدعية

(١) نهج البلاغة : ٣ : ١١٦ .

(٢) نهج البلاغة : ٤٢٧ (صبحي الصالح) .

(٣) غرر الحكم : ٢٩٤ ، الرقم ٩١٠١ .

(٤) بحار الأنوار : ٧٢ : ٣٥٢ و ٣٥٣ ، الحديث ٦٣ ، نقلاً عن عوالي اللئالي : ١ : ٣٧١ ،

الحديث ٨٠ .

التي وردت عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فوصل إلى مقام فوق الملائكة ؛ لأنّ الله تعالى أعطى الملائكة العقل دون الشهوة، وأعطى الإنسان العقل والشهوة، فإذا غلب عقله شهواته وانصاع لقانون عقله فقد فاق الملائكة، أن يتحرى العدالة والعدل في كلّ شيء .



## آلية الإنفاق في سبيل الله تعالى

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### أهمية الإنفاق في سبيل الله تعالى .

ذكرى تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه في صلاته وهو راعع تلفت نظرنا إلى ما ينبغي أن يلحظه المرء في إنفاقه في سبيل الله تعالى ؛ لأن الرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام أكدوا على أهمية العطاء والإنفاق في سبيل الله تعالى ، وجعلوا ذلك من الدين ، بل أن بعض آيات القرآن الكريم تفصح عن أهمية الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وتجعله عدلاً للإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢) ﴿ آمَنُوا ﴾ و ﴿ أَنْفَقُوا ﴾ الإنفاق عدل للإيمان ، في الشق الأول ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ ، وفي الشق الثاني أن الأجر الكبير يرتبط بالإيمان والإنفاق في سبيل الله تعالى .  
إذن في الشقين جاء الإنفاق في سبيل الله تعالى والبدل والعطاء كعدل للإيمان ،

(١) المائدة ٥ : ٥٥ .

(٢) الحديد ٥٧ : ٧ .

يُبدَأُ الإنفاق في سبيل الله تعالى له مقومات لا بدَّ أن يلتفت إليها المنفق حتَّى يحصل على خيري الدنيا والآخرة، والمقومات والأسس إذا التفت إليها تجعل المنفق من أولياء الله تعالى، فما أكثر ما ينفقه كثير من الناس، غير أنَّ الإنفاق لأغراض وأهداف غير مقدّسة ولا طيِّبة.

### شروط الإنفاق في سبيل الله تعالى :

الإنفاق عمل عباديٍّ لله تعالى متقوم بشروط هي :

#### الأول: الاكتساب بالطرق المشروعة.

يريد الله تعالى من المرء أن ينفق في سبيله بشرط أن يكتسب المال من حلّه وأن ينفقه في حلّه، الشرط إذن أن يكون المال الذي اكتسبه المرء من طرق مشروعة، أمّا من يكتسب المال من طرق محرّمة وينفق بعضه في طرق مشروعة، أو اكتسب المال من حرام وأنفقه في الحلال، فليس له أجر على الله تعالى، ولن يجازيه الله تعالى على ذلك رغم إنفاقه المال في طريق مشروع، جاء في الروايات أنَّ أجر المال الذي أنفق يرجع إلى أصحابه الذين أخذ منهم بالحيلة والاعتصاب. إذن الشرط الأول لتأثير الإنفاق أن يكون المال المكتسب من حلّه، وأن ينفق في الحلال.

#### الثاني: الهدفيّة من الإنفاق.

لا بدَّ أن يكون الإنفاق لهدف مقدّس، فيكون الإنفاق له معنىٌ قيميّ شريف، كرفع المستوى الاقتصاديّ للفقير والمعوز، أو الصحيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، ولا يراد به تحوّل المنفق عليه كعبد ذليل، يحقّق به أغراضاً ومطامع شخصيّة تعود بالنفع على المنفق وليس على المنفق عليه، إنَّ أي القرآن المتعدّدة تدعو إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى لأهداف مقدّسة ومشروعة يريدّها الله تعالى.



## أهل البيت عليهم السلام مصداق الهدف السامي للإنفاق:

وهذا المعنى نجده في أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً في الإمام علي عليه السلام، وهناك موردان يُجلبان هذه الحقيقة:

**الأول:** ما جاء في تصدّقه بالخاتم.

**الثاني:** ما جاء في إطعامهم الأسير والفقير والمسكين لوجه الله تعالى، وفي الموردين نلاحظ المعنى جلياً بيناً، كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لديه خاتم فجاءه فقير وهو يصلي، وطلب أن يعان، وكان الوضع الاقتصادي متردّ، وليس لدى الإمام عليه السلام إلا الخاتم، فقدمه في أثناء صلاته صدقة للفقير لا يريد بها إلا الله تعالى، وقد جاء الإفصاح عن ذلك في المورد الثاني في قوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾<sup>(١)</sup>، الهدف من إعطائه وبذله وإنفاقه عليه السلام الحصول على رضا الله تعالى، وهو هدف من الأهداف المقدّسة ثوابها على الله تعالى.

**الثالث:** الإخلاص في الإنفاق.

يرى بعض الناس أنّ الإنفاق على بعض الشرائح الاجتماعية لا قيمة له لأنّ من يُنفق عليه لا يستحقّ، كالإنفاق على شخص غير محتاج، ويقال إنّ ذلك لا قيمة له عند الله تعالى، وننبّه هنا أنّ الإنفاق على المحتاج أفضل لكن العطاء لغير المحتاج له معنى قيميّ؛ لأنّ بذل المال حتّى لغير المحتاج يرفع من مستوى المعطي ويجعله مسيطراً على أمواله وهذا معنى قيميّ، قال رجل عند إمامنا الحسين عليه السلام: إنّ المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع - أي أنّ المال إذا أعطي لغير المستحقّ ضاع - فقال الإمام الحسين عليه السلام: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ تَكُونُ الصَّنِيعَةُ مِثْلَ وَابِلِ الْمَطَرِ تُصِيبُ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ<sup>(٢)</sup>: الإنفاق كالمطر يهطل على الأرض الطيبة الخصبة فينبت نباتاً

(١) الإنسان ٧٦: ٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥: ١١٦ و ١١٧، الحديث ٢، نقلاً عن تحف العقول: ٢٤٥ و ٢٤٦.

جيداً، ويهطل على الأرض السبخة فلا يؤثر فيها بالإنبات، يشبه الإمام عليه السلام العطاء الذي يقدمه المعطي بالمطر، فالعطاء إذا استفاد منه البرّ والفاجر كان له معنى قيمى دّل على أنّ المنفق أكبر من المال في إعطائه له وأنّه هو المتحكّم فيه .

### مساحة العطاء عند الإمام عليّ عليه السلام .

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشرح لنا المعنى الأنف بوضوح، قال عليه السلام: «ابذل معروفك للناس كافة، فإن فضيلة فعل المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء»<sup>(١)</sup>: يركّز الإمام عليه السلام على المعنى الإنسانيّ العام، وقوله: «لِلنَّاسِ كَافَّةً» يريد به عدم قصر الإنفاق على من يشترك معك في الوطن أو الإيمان أو أمر آخر، بل تعطيه للغير يستفيد منه لكونه إنساناً يستحقّ التكريم، تريد بذلك رفع مستواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٢)</sup> وقد أكد على المعنى الإنسانيّ في فكر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وجسد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله عليه السلام: «ابذل معروفك للناس كافة»، لم يقل أعط من يشترك معك في الإسلام، أو أعط جارك أو صديقك أو أقربائك، بل أعط معروفك للناس كافة، إنّه معنى قيمى عظيم .

### الرابع: العطاء دون المنّ والأذى .

العطاء لا يتبع بالمنّ والأذى، هناك من يعطي غير أنّه ينكّد عطائه بالمنّ والأذى بذكر من أعطاه، والإبانة بأنّه لولا عطائه لما كان ذلك الشخص المعطى وصل إلى ما وصل إليه، إنّ الله تعالى هو الذي قدر أن تعطيه وهياً الأسباب، ووفر النعم، ونعمة العطاء من عند الله تعالى، لذا أكد على هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٣٨٢، الرقم ٨٦٨٥.

(٢) الإسراء ١٧: ٧٠.

(٣) البقرة ٢: ٢٦٤.

إذن لا ينبغي أن يُكدر العطاء باليمن والأذى ، وقد أكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المعنى في وصيته عليه السلام في نهج البلاغة ، قال عليه السلام : « **وَإِيَّاكَ وَالْيَمْنَ عَلَيَّ رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ** »<sup>(١)</sup> : أي أنّ على المسؤول وصاحب المقام ومن له القدرة أن يعي مسؤوليته ، ويقدم العطاء للآخرين دون أن يتبع ما قدمه باليمن والأذى ، ويقول : أنا الذي فعلت ، ولو لم أفعل لم يصل المعطى إلى ما وصل إليه؛ إذ أنّ ذلك يجعل العطاء لا قيمة له ، بل إهانة وامتهان لشخصية المعطى ، والله تعالى كرم الإنسان فلا يجوز الحطّ من قدره ، ولا يسوغ للمعطي أن ينزل من شخصية المعطى ، بل أنّ المعروف لا يكون معروفاً إلا بتوافر شروط .

قال الإمام الحسن عليه السلام : « **الْمَعْرُوفُ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَطْلٌ ، وَلَا يَتَّبِعُهُ مَنْ** » : من طلب شيئاً فأخر مما طلة ، كان الإعطاء بعد المطل ليس بمعروف ، بل امتهان لشخصية المعطى وقال عليه السلام : « **وَالْإِعْطَاءُ قَبْلَ السُّؤَالِ مِنْ أَكْبَرِ السُّؤُدِ** »<sup>(٢)</sup> : أي أنّ سداد الرأي بمعنى إصابته للواقع ، لا يتحقق إلا بالإعطاء قبل السؤال ؛ ذلك أنّ المعطي نما حسّه وأدرك حاجة غيره إلى العطاء وإلى الكرامة قبلها وذلك كاشف عن سداد رأيه ، أمّا من يكدر عطائه باليمن ، ويمتهن به شخصية من أعطاه ، فإنّ ذلك إساءة إلى من أعطي ، إنّ الله تعالى يريد من الإنسان أن ينفق ، ويريد منه أن يرفع مستوى من أنفق عليه ليصل إلى مستوى المنفق نفسه ، قال الإمام الجواد عليه السلام : « **أَهْلُ الْمَعْرُوفِ إِلَى اضْطِنَاعِهِ أَحْوَجُ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ وَذِكْرَهُ ، فَمَهْمَا اضْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّمَا يَبْدَأُ فِيهِ بِنَفْسِهِ ، فَلَا يَطْلُبَنَّ شُكْرَ مَا صَنَعَ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ** »<sup>(٣)</sup> : ونريد بالإنفاق هنا المستحبّ وليس الواجب ؛

(١) تحف العقول : ١٤٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٥ : ١١٣ ، الحديث ٧ ، نقلاً عن العدد القويّة : ٣٧ .

(٣) بحار الأنوار : ٧٥ : ٧٩ ، الحديث ٦ .

إذ أنه مفروض ، وعلى المنفق أن يقدمه دون سؤال . إذن المراد من الإنفاق العطاء من فضل المال لا ما أوجبه الله تعالى ، بل أن المعطي ينفق من أجل رفع مستوى الآخرين ، خصوصاً الأقربين كالأرحام ، يساهم في أفعال الخير على أكثر من صعيد ، وقد يصل به الحال أن يكون له في كل مورد من موارد الخير سهم .

قال إمامنا الصادق عليه السلام : « لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِلَالٍ : تَعْجِيلُهُ » : أي لا مماثلة في ذلك ، « وَتَقْلِيلُ كَثِيرِهِ » : يعطي كثيراً ويرى أنه لا قيمة لعطائه ، بل يرى أن ما قدمه قليلاً ، « وَتَرْكُ الْأَمْتِنَانِ بِهِ » <sup>(١)</sup> : أي لا يمنّ بعطائه لأنه من عند الله تعالى ، والله تعالى هو الذي أعطاك ووفّقك .

### التجارة الرباحة في سبيل الله تعالى .

ما ذكرناه من شرائط إذا توافرت أصبح العطاء مقدّساً ، وعاد بالنعف على المرء في دنياه وأخراه ، عندما نزل قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

كان أبو طلحة أكثر أنصاريّ المدينة نخلاً ، وكان أحبّ أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما أنزلت ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قام أبو طلحة فقال : يا رسول الله ، إن الله يقول : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وأن أحبّ أموالي إليّ بيرحاء ، وأنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **بخ بخ** ، ذلك مال رابح لك ، وقد سمعت ما قلت ، وإنّي أرى أن تجعلها في الأقربين . قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسّمها

(١) بحار الأنوار : ٧٥ : ٢٣٧ ، الحديث ١٠٧ ، نقلاً عن تحف العقول : ٣٢٣ .

(٢) آل عمران ٣ : ٩٢ .

أبو طلحة في أقاربه وبني عمه<sup>(١)</sup>.

إنَّ النبي ﷺ قال له هذه هي التجارة الرباحة؛ إذ أنه لم يتعلّق بشيء أحبّه، بل قدّمه في سبيل الله تعالى من أجل ألاّ يسيطر عليه المال، وينشد إليه، فبذله لينشد إلى المعاني القيّمة التي ربطته بالحقّ تعالى.

### أهميّة ربط الإنفاق بالله تعالى.

الأئمّة من أهل البيت ﷺ أكّدوا على ذلك، وبينوا أهميّة هذه المعاني القيّمة، والإمام أمير المؤمنين ﷺ عندما تصدّق بالخاتم جسّد هذه المعاني، وهكذا عندما تصدّق على الفقير والأسير والمسكين، وقد جاء بيان أهميّة العطاء في أدعية مولانا الإمام السجّاد ﷺ: «وَوَجّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي»<sup>(٢)</sup>: أي اجعل إنفاقي في الأمور المرتبطة بك - يا كريم - أبواب الخير، هي ما يعود بالنفع على كلّ من يعطي. وفي دعاء آخر له ﷺ: «وَأَجْرٌ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيِ الْخَيْرِ، وَلَا تَمَحِّقْهُ بِالْمَنْ»<sup>(٣)</sup>: أي أنّ الإمام ﷺ يبيّن أنّ من أعطى الآخرين لا ينبغي أن يعقّب عطائه بالمرء عليهم بكلمات تمتهن شخصياتهم، وتصغر من قدرهم، وتحطّ من مكانتهم، فهناك من يعطي غير أنه لا يلتفت إلى المعاني القيّمة.

### عليّ ﷺ بين الجذب والدفع.

الإمام أمير المؤمنين ﷺ نبراس يعجب من نظر في شخصيته، وكلّما ازداد ارتباط المرء بهذه الشخصية العملاقة انجذب إلى فعل الخير، فعليّ ﷺ جاذبة ودافعة يجذب إلى مبادئ الخير والفضيلة ويدفع عن السوء، وانجذاب المرء لشخصية

(١) تفسير الأئمة: ٢: ٥٩٤. تفسير النعلبي: ٣: ١١٠.

(٢) الصحيفة السجّادية: ١٥٥، دعاؤه ﷺ في المعونة على قضاء الدين.

(٣) المصدر المتقدم: ١٠٠، دعاؤه ﷺ في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

الإمام عليه السلام يدفعه عن سوء ، غير أنّ هناك من لا يعي المعاني القيّمة التي كان الإمام يرسّي قواعدها ، ويجسّدها بين الناس ، بتعليمهم ما ينبغي أن يكون عليه المنفق للمال في إنفاقه .

## دور الكرم في حلّ المشكلة الاقتصادية والاجتماعية

### القسم الأول

#### كرم الإمام الحسن عليه السلام أفق اقتصادي

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

#### دور الإمام عليه السلام في حلّ مشاكل الأمة.

حياة الإمام الحسن عليه السلام ملأى بالدروس والعبر، غير أنّ من الدروس الهامة في حياته عليه السلام، والتي تصلح أن تكون دواءً ناجعاً لكثير من المعضلات والإشكالات الفردية والاجتماعية على أكثر من صعيد -كالصعيد الاجتماعي- في حياة الناس بين بعضهم وبعضهم الآخر، وفي حلحلة المشاكل الاقتصادية المعضلة التي يعيشها الناس في العالم بأسره، وهذا الدرس الذي نستعرضه من حياة إمامنا عليه السلام كفيل بإيجاد توازنات سياسية يعيشها العالم بانسياب وراحة؛ ذلك أنّ إشكالية العالم تكمن في معضلته الاقتصادية، فإذا استطاع المنظرون والسياسيون والاقتصاديون أن يحلّوا الإشكالية الاقتصادية سوف تقلّ الكثير من الإشكاليات.

---

(١) الحديد ٥٧ : ١١.

## الإمام عليّ عليه السلام يواجه المشكلة الاقتصادية.

أجمع المؤرّخون وكتاب السير على وصف إمامنا الحسن عليه السلام بالكرم، فهو كريم أهل البيت عليه السلام، ومعنى الكرم ما أوضحه الإمام الحسن عليه السلام عندما سُئل عن معناه فعرفه بقوله: «أَمَّا الْكَرَمُ: فَالتَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْإِعْطَاءُ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَالْإِطْعَامُ فِي الْمَحَلِّ»<sup>(١)</sup>. هذا هو البلسم الناجع للمشكلة التي يعيشها الناس في حياتنا الحاضرة.

## آثار المشكلة الاقتصادية.

إنّ مئات المشاكل التي يعيشها الناس ناتجة عن الإشكالية الاقتصادية، ومنبعها الشح والبخل، فالعالم تتوافر فيه المادة، وما يحتاجه الناس أقلّ ممّا هو متوافر، غير أنّ شحّ الأنفس والاستئثار بالمال يحدث إشكالية اقتصادية معقّدة يحاول العالم حلّها دون جدوى.

ففي تاريخ يناير ٢٠٠٩م عُقد مؤتمر دافوس الاقتصاديّ في سويسرا وحضره الكثير من الاقتصاديين والسياسيين من أنحاء العالم، وذكرت فيه إحصائيات كثيرة ومتعدّدة، وقد استمعت لبعض نشرات الأخبار التي ذكرت بعض الإحصاءات منها أنّ عدد من يموت من أطفال العالم يومياً أكثر من عشرة آلاف طفل، أمّا الفقراء الذين لا يجدون لقمة العيش إلاّ بشقّ الأنفس فأكثر من ثمانية وخمسين مليوناً

(١) سَأَلَ مُعَاوِيَةَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْكَرَمِ، وَالنَّجْدَةِ، وَالْمُرْوَةِ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا الْكَرَمُ فَالتَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْإِعْطَاءُ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَالْإِطْعَامُ فِي الْمَحَلِّ ...

وَأَمَّا الْمُرْوَةُ: فَحِفْظُ الرَّجُلِ دِينَهُ، وَإِحْرَازُهُ نَفْسَهُ مِنَ الدَّنَسِ، وَقِيَامُهُ بِضَيْعَتِهِ، وَأَدَاءُ الْحُقُوقِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ. نزهة الناظر: ٧٨ و ٧٩، الحديث ٣٢.



في أنحاء العالم ، ناهيك عمّن يحتاج إلى مساعدة لأنّ دخله لا يفي باحتياجاته ، ويقدر بأكثر من نصف سكان العالم ، أي أكثر من ثلاث مليارات .

### الحلّ العمليّ للمشكلة الاقتصادية .

إنّ الدواء الناجع لهذه المشكلة الاقتصادية هو الاتّصاف بالجدود والسخاء ، وتعلّم الإنسان البذل والإسهام في أي مشروع يعود بالنفع على الجميع بنحو مباشر أو غيره .

إنّ إشكالية الحاجة إلى الوظيفة أو العلاج ، وتلبية الحاجات الرئيسة الأربع -المطعم والمشرب والملبس والمسكن - يحتاج إلى جهد كبير ، وقد بذلت الحكومات والدول قصارى جهدها في حلحلة هذه الإشكالية ، غير أنّها لم توفّق لذلك .

ويعود السبب إلى الشحّ والبخل ، وسيطرة الكثير من الجشعين على الثروة بغير حقّ ، ولن يتأتّى حلّ هذه المعضلة إلّا بالتغيير الداخليّ والتجسيد العمليّ لصفة الكرم التي اتّصف بها أنبياء الله تعالى ورسله وعباده الصالحون -كالإمام الحسن عليه السلام - فقد جسّد كمال هذه الصفة ، وظهر ذلك من خلال ما ذكره المؤرّخون وكُتّاب السّير من أنّه عليه السلام قاسم الله تعالى أمواله ثلاث مرات - يقسّم أمواله إلى قسمين ، ويبذل في سبيل الله تعالى نصف أمواله ، ويجعل له نصفاً - قد لا يستطيع الناس التأسّي بالإمام عليه السلام بهذا النحو أو بالنحو الأعظم منه ؛ لأنّ الإمام الحسن عليه السلام خرج من كلّ أمواله مرّتين ، وبدأ صفحة جديدة في حياته عليه السلام ، فأنفق كلّ ما يملكه في سبيل الله تعالى .

### دور المجتمع في حلّ المشاكل الاقتصادية .

إنّ الناس قد لا يستطيعون ذلك ، غير أنّهم يستطيعون أن يسهموا بنحو دائم

ومستمرّ بالمعروف في العطاء لله تعالى؛ إذ أنّ العطاء والمعروف يجعلان الحياة تسير سيراً انسيابياً، يتكامل به الناس ويتقدّمون على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي، وفي كلّ مجالات الحياة، فالتقدّم يرتبط ارتباطاً جذرياً بالمادّة باعتبارها الشريان الحيويّ الهامّ، وإذا أبقيت المادّة دون إنفاق تعقّدت أمور الحياة.

### العلاقة بين الكرم والتقدّم الاجتماعيّ.

هناك روايات متعدّدة وردت عن النبيّ ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام تفصح عن أهميّة الكرم، فالنبيّ ﷺ عندما سأله جابر بن عبد الله الأنصاريّ: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ -والكلام في السجايا النفسيّة، فالفضل تارة في العمل الخارجيّ وتارة أخرى في السجايا التي يتّصف بها، والسجية ينبثق منها عمل - قال ﷺ: «الصبر والسماحة»<sup>(١)</sup>: والسماحة هي البذل، وعدم التوقّف في العطاء فيكون الإنسان سمح بما عنده.

وعنه ﷺ: «خلقان يحبّهما الله، وخلقان يبغضهما الله: فأما اللذان يحبّهما الله فالسخاء والسماحة، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس»<sup>(٢)</sup>.

هذه معادلة في السير المؤدّي إلى الرفاه والتقدّم على جميع الأصعدة، فقضاء حوائج الناس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإسهام والبذل والجود والسماحة، أمّا التقهقر إلى الوراء فيرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإمساك والبخل.

(١) المصنّف: ٧: ٢٢٢.

(٢) الجامع الصغير: ١: ٦٠٥.

## القسم الثاني

## الأثر الاجتماعي للإنفاق والبذل

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>  
 ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>

صدق الله العلي العظيم

الكرم والسماحة دواءان ناجعان لحلحلة المعضلة الاقتصادية التي نعيشها في عصرنا الحاضر، باعتبار أن الكثير من المشاكل ترتبط بحل الإشكالية الاقتصادية وحلها يسهم في التقدم على أكثر من صعيد، فكثير من المشاكل الاجتماعية تحل اقتصادياً، والكرم والسماحة لهما أعظم الأثر في ذلك، كما أن التقدم العلمي والثقافي يرتبطان بالوفرة المالية التي تتحقق بهذه السجية، وإذا اتصف أفراد المجتمع بالكرم والبذل تحقق التقدم في المجالين الاقتصادي والثقافي.

## البخل سبب التفهق الاجتماعي.

يعيش المجتمع مشاكل متعددة أخلاقية واجتماعية، ويعود السبب في ذلك إلى البخل، وهو مرض يصاب به الجانب المعنوي من شخصية الإنسان فهو يمرض جسدياً ويتعالج عند الطبيب من مرضه، غير أن المرض المعنوي - كالاتصاف بالشح والبخل وما يترتب عليهما من إشكاليات - تدمر أسراً بأكملها، وتسهم في التفهق للواقع الاجتماعي.

(١) النمل ٢٧ : ٤٠ .

(٢) الحاقة ٦٩ : ٤٠ .

## أثر البخل في تدمير الكيان الأسري.

هناك إحصاءات قام بها بعض الشباب المؤمن أثبتت أن معدل الإنفاق الذي يتناسب مع الأسرة المكوّنة من خمسة أشخاص لا يقلّ عن ثلاثة آلاف وخمسمائة ريال، وهذا المبلغ يحقّق الكفاف، أمّا الأقلّ منه فلا يغطّي الحاجة ويبقى المرء يحتاج إلى مساعدة، وإذا نقص الراتب عن ثلاثة آلاف وخمسمائة ريال للأسرة تتكوّن من خمسة أشخاص فذلك دليل على احتياج الأسرة إلى دعم وإسناد، غير أن بعض الناس قد يستلم راتباً مجزٍ، مع أن أسرته تعيش حياة الضنك والمشقة، وذلك لسوء التقدير.

وهذه الحالة وإن كانت ليست متفشية، غير أن بعض الأسر التي يتّصف ربّ الأسرة فيها بهذا الداء الويل - داء البخل والشح - ويسهم في تدمير أسرته بجعلها تعيش حياة الضنك، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

الفلاح هو النجاح والفوز واجتياز العقبات، إن البخل لا يدمّر نفسه فحسب، بل يدمّر أسرته ومجتمعه.

إن المشكلة الاقتصادية مشكلة دول وشعوب، كما أنها إشكالية للأفراد والأسر، فبعض أرباب الأر لا يعي مسؤوليته، أو يصاب بهذا الداء فيدمّر أسرته.

## شمولية الكرم الإلهي.

وصف الحقّ تعالى رسوله ﷺ بالكرم لبيان ما لهذه السجّية من معنى حتى قال بعض العلماء: «إن الكرم صفة من صفات الذات للحقّ تعالى»، فذاته كريمة

(١) الحشر ٥٩: ٩. التغابن ٦٤: ١٦.

وقادرة وعالمة ، وكرمها بمعنى العطاء الذي لا نهاية له ولا حد ، وقد جاء في بعض الأدعية « يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّنًا مِنْهُ وَرَحْمَةً »<sup>(١)</sup> ، فالله تعالى يعطي السائل ومن لم يسأله لكرمه وبره بخلقه ، غير أن بعض الخلق يمنع ما يعطيه الله تعالى ويجمعه ، ناسٍ وظيفته بأن ما يعطاه وسيلة من الوسائل التي تُسهم في تقدّم شخصيته المعنوية من ناحية ، وتقدّم أسرته ومجمعه من ناحية أخرى .

### أثر الإنفاق في الرقي والتقدم .

يرتبط تقدّم الفرد معنويًا بالإنفاق ، والذي لا ينفق لا يرتقي معنويًا ؛ إذ أن إنفاق المال في سبيل الله تعالى سُلّم يوصل إلى الكمال ، وإيضاح هذه المفردة يتبين من خلال وصية لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام لكميل : « يَا كَمِيلُ ، لَا تَرُدَّ سَائِلًا وَلَوْ مِنْ شَطْرِ حَبَّةِ عَنَبٍ ، أَوْ شِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَنْمُو عِنْدَ اللَّهِ »<sup>(٢)</sup> ؛ إذ المسألة ذات ارتباط عميق لما أوضحناه من أن الإنفاق يربي المنفق في سبيل الله تعالى ويرقيه في سلّم الصعود المعنوي وهو ما يريده الله تعالى .

### الوصول إلى التكامل المعنوي :

إنّ أي القرآن الكريم التي تتحدث عن الإنفاق في سبيل الله تعالج جانباً نفسياً وأخلاقياً ، وتربّي المرء ليصعد في سلّم التكامل المعنوي ؛ إذ لا يتاح التكامل المعنوي والرقي النفسي إلا بالإنفاق في سبيل الله تعالى ، وذلك ما أكّده الروايات الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام فهي تبين هذا الجانب بالتأكيد على خصلتين :

(١) بحار الأنوار : ٩٥ : ٣٩١ .

(٢) تحف العقول : ١٧٢ .

## الأولى: التحلي بالكرم.

يراد للمرء أن يتكامل بالاتّصاف بصفات الله تعالى «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> وما لم يتّصف العبد بصفاته تعالى لن يتاح له أن يتقدّم معنوياً، قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ»<sup>(٢)</sup>، ومن لم يتّصف به لن يكون محبوباً من عند الله تعالى، ولن يكون محبوباً من خلقه.

## الثانية: التحلي بالحياء.

جاء في وصف الرسول صلى الله عليه وآله من بعض الصحابة أنه قال في وصفه صلى الله عليه وآله: «كَانَ رَسُولَ اللَّهِ حَيِّئاً»<sup>(٣)</sup>، والحياء صفة ممدوحة تفتقر عن الخجل، فالخجل هو أن لا يسأل الإنسان عما يحقّق له الكمال خجلاً فيفوته العلم الكثير، أمّا الحيّ فهو الذي يجتنب الرذائل ويغضّ الطرف عن الدنيّة، والنبي صلى الله عليه وآله حيّ وكريم، والصفتان ترفعان الإنسان إلى الله تعالى.

## سمات الكريم:

لقد أبانت الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام سمات خاصّة للكريم:

## الأولى: الابتهاج بعمله.

أوضح إمامنا زين العابدين عليه السلام أن «الْكَرِيمُ يَبْتَهِجُ بِفَضْلِهِ، وَاللَّئِيمُ يَفْتَخِرُ

(١) بحار الأنوار: ٥٨ : ١٢٩. جامع السعادات: ٣ : ١١٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ١ : ٤٨. كنز العمال: ٦ : ٣٥٢.

(٣) عن أبي سعيد الخدري، قال: كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا ذكره شيئاً عرفناه

في وجهه». الشمائل المحمّديّة: ١٩٢.

بِمَلِكِهِ»<sup>(١)</sup> إذا اتَّصَف المرء بالكرم برزت لديه سمة هي أنه كلما أنفق ازداد سروراً وابتهاجاً، وبخلاف ذلك المريض النفسي وهو الذي كلما جمع المال بنحو أكبر افتخر بأنه ملك كذا وكذا .

### الثانية: رقة القلب.

هناك سمة جميلة للكرم، فالكريم يرقّ على الناس كرقّة الأمّ على ولدها، وأقرب الأرحام هي الأمّ، والرحم يرقّ على رحمه ويقدمه على غيره، وقد أكّد الشارع العناية بالرحم لأنّ الصفة واقعية ذات جذور طبيعية موجودة لدى الإنسان، غير أنّ الكرم يغلب الرحم فينفق الكريم لكرمه أكثر من إنفاق الرحم لرقته على رحمه؛ لأنه يتّصف بهذه الصفة الكمالية من الله تعالى فينفق لكرمه، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «الكَرَمُ أَعْظَمُ مِنَ الرَّحْمِ»<sup>(٢)</sup>، ومن يعيش بين الكرماء يرى الحياة سعيدة لا ينقصها كدر.

### الثالثة: احترام الآخرين.

من سمات الكريم أنه كلما أعطى أحبّ من أخذ منه، وقدّر له ذلك، قال الإمام العسكري عليه السلام: «نَائِلُ الْكَرِيمِ يُحِبُّكَ إِلَيْهِ، وَنَائِلُ اللَّئِيمِ يُبَاعِدُكَ مِنْهُ، وَيُبْغِضُكَ إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>: أي أنّ الكريم إذا أعطى نواله ازداد المعطى قريباً ومحبةً عنده، وعلت درجته لديه «نَائِلُ الْكَرِيمِ يُحِبُّكَ إِلَيْهِ»، وكلما أعطى الكريم وأنال من فضله كبرت في عينه، وارتفعت عنده؛ لأنّ الحياة لا تمثّل عنده مالا يؤخذ منه، وإنّما عطاء وإسهام في رفع الآخرين، وعكسه اللئيم المتّصف بالشحّ فينظر إلى من يأخذ منه

(١) بحار الأنوار: ٧٥: ١٤٣، نقلاً عن الدرّة الباهرة: ٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨: ٣٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ٧٥: ٣٧٩.

بأنه وضع ، لا قيمة له ، فاللئيم إذا أعطى نظر إلى من أخذ منه بضعة ، ولم ير له قيمة .  
ثم قال ﷺ : « يُبَاعِدُكَ مِنْهُ ، وَيُبَغِضُكَ إِلَيْهِ » .

### أهمية الإنفاق لدى أهل البيت ﷺ .

أكد أئمة أهل البيت ﷺ على أهمية الإنفاق في سبيل الله والكرم ، الكريم لا يبذل يوماً فيقف ، بل يبقى دائم العطاء ؛ لأنّ التقدّم المطرد لشخصه ولمجتمعه ، والتوفيق الذي يناله من الله تعالى يرتبط بهذه الصفة الكمالية التي اتّصف بها الحقّ تعالى .

## القسم الثالث

### الإمام الرضا ﷺ دعوة للكرم من منطلق شرعيّ

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

### ريادة أهل البيت ﷺ للكرم .

جسد النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ الريادة في الكرم فكانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى في الليل والنهار ، سرّاً وعلانية ، وقد جاءت الروايات الكثيرة في إعجاب الخلق بهم ﷺ وبنفاقهم في سبيل الله تعالى ، جاء في وصف الرسول ﷺ أنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ومعنى ذلك أنه ﷺ لا يفكر بمنحى التفكير الذي عليه الخلق في إبقائه لنفسه بعض المال خشية تبدّل الحال ، بل ينفق

(١) السجدة ٣٢ : ٢٣ .



كثيراً، وكذا كان خلفاءه من أهل البيت عليهم السلام في الإنفاق الكثير في سبيل الله تعالى في رفع العوز والحاجة.

### الإنفاق عند الإمام الرضا عليه السلام :

الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم المصدّق الأمثل للكرم والبذل في سبيل الله تعالى، وقد اشتهر بذلك الإمام الحسن عليه السلام، والإمام الرضا عليه السلام الذي أذهل بعض من كان يتبوأ منصباً كبيراً في السلطة العبّاسيّة والأموال بين يديه، إلا أنه لم يستطع أن يجاري الإمام الرضا عليه السلام في الإنفاق، وذلك لكون الإنفاق والكرم سجية لدى بعض، ولا دخل للوفرة الماليّة التي يملكها الإنسان في ذلك، وهناك صور متعدّدة بيّنت كرم الإمام الرضا عليه السلام :

### الأولى: توزيع الأموال في يوم عرفة.

أنفق أئمة أهل البيت عليهم السلام أموالهم في سبيل الله تعالى ليسيئوا للناس كافة - وليس للموالين المقتدين بهم فحسب - كيف ينبغي للمرء أن يكون باذلاً لما وهبه الله إياه في سبيله تعالى، فالإمام الرضا عليه السلام فرّق ماله كلّهُ في خراسان يوم عرفة لما ليوم عرفة من فضل فهو من الأيام المباركة التي يستحبّ فيها البذل والإنفاق في سبيل الله تعالى.

### الثانية: المغنم في الإنفاق.

ما فعله الإمام الرضا عليه السلام أذهل بعض رجال السلطة، فرغم أنّ الفضل بن سهل يتبوأ منصباً كبيراً في هرم الدولة، إلا أنه نظر إلى الرضا عليه السلام فقال له عليه السلام بعد أن أنفق الإمام جميع أمواله: «إِنَّ هَذَا لَمَغْرَمٌ»: أي أنّ ما فعله الإمام عليه السلام لا ربح فيه؛ لأنّه لم يبق لنفسه شيئاً، فردّ الإمام الرضا عليه السلام ردّاً بيّن حالة المرتبطين بالحقّ تعالى، قائلاً للفضل بن سهل: «بَلْ هُوَ الْمَغْنَمُ» كأي أنّ الأموال التي تنفق في سبيل الله

لا تمثل خسارة ومغرمًا بل غنيمة ومربحاً، وكنزاً لا ينفد، ثم قال عليه السلام للفضل بن سهل: «لَا تَعْدَنَّ مَغْرَمًا مَا ابْتِغَتْ بِهِ أَجْرًا وَكَرَمًا»<sup>(١)</sup>: فالذي ينفق لكسب الفضل الإلهي، وليتصف بسجية الكرم، لا يمكن أن يخسر ويغرم، بل يربح ويغنم، هكذا بين الإمام الرضا عليه السلام لمن هم في السلطة كيف ينبغي لهم أن يتعاملوا مع الناس من موقع المسؤولية لأنه عليه السلام كان ولياً للعهد، وقد أنفق جميع الأموال التي أعطيت له من منح ورواتب وهدايا في سبيل الله تعالى، وكانت أموالاً كبيرة وعظيمة أبان بها الإمام عليه السلام المغنم والمربح.

### الثالثة: حفظ كرامة السائل.

من مواقف الإمام الرضا عليه السلام ما جاء عن اليسع بن حمزة، قال: «كُنْتُ أَنَا فِي مَجْلِسِ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عليه السلام أُحَدِّثُهُ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طَوَالَ آدَمَ فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، رَجُلٌ مِنْ مُحِبِّكَ وَمُحِبِّي آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ عليه السلام مَصْدَرِي مِنَ الْحَجِّ، وَقَدِ افْتَقَدْتُ نَفَقَتِي، وَمَا مَعِيَ مَا أَبْلُغُ بِهِ مَرَحَلَةً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْهَضِنِي إِلَى بَلَدِي، وَاللَّهِ عَلَيَّ نِعْمَةٌ، فَإِذَا بَلَغْتُ بَلَدِي تَصَدَّقْتُ بِالَّذِي تُؤَلِّينِي عَنْكَ، فَلَسْتُ مَوْضِعَ صَدَقَةٍ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَأَقْبَلْ عَلَى النَّاسِ يُحَدِّثُهُمْ حَتَّى تَفْرُقُوا وَبَقِيَ هُوَ وَسَلِيمَانُ الْجَعْفَرِيُّ وَخَيْثِمَةُ وَأَنَا، فَقَالَ: أَتَأْذُنُونَ لِي فِي الدُّخُولِ؟ فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ: قَدَّمَ اللَّهُ أَمْرَكَ، فَقَامَ فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ، وَبَقِيَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ، وَرَدَّ الْبَابَ، وَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَعْلَى الْبَابِ وَقَالَ: أَيْنَ الْخُرَاسَانِيُّ؟ فَقَالَ: هَا أَنَا ذَا، فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ الْمَائَتِي دِينَارٍ وَاسْتَعِنْ بِهَا فِي مَثُونَتِكَ وَنَفَقَتِكَ، وَتَبَرَّكْ بِهَا، وَلَا تَصَدَّقْ بِهَا عَنِّي، وَأَخْرُجْ فَلَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ سَلِيمَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَقَدْ أَجْرَلْتُ

(١) بحار الأنوار: ٤٩: ١٠٠.

وَرَحِمْتِ ، فَلِمَاذَا سَتَرْتِ وَجْهَكَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ : مَخَافَةَ أَنْ أَرَى ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِهِ لِقَضَائِي حَاجَتُهُ ، أَمَا سَمِعْتَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَةِ تَعْدِلُ سَبْعِينَ حِجَّةً ، وَالْمُذْيِعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ ، وَالْمُسْتَتِرُ بِهَا مَغْفُورٌ لَهُ»<sup>(١)</sup> .

### دروس من مواقف الإمام الرضا عليه السلام .

ولنا وقفات متعددة في هذا الموقف العظيم الذي جسده الإمام عليه السلام لإبانة الحيثيات والدروس العظيمة الثرة بالعتاء ، والتي ينبغي أن يجسدها الإنسان في مساره إلى الله تعالى ومع الخلق ، فالسائل جاء من الحج ، وقد شاءت الظروف أن تنفذ نفقته وتنتهي أمواله ، فأخبر الإمام الرضا عليه السلام بأنه من المحبين له ولآبائه ، وأنه غني في بلده لا يحتاج إلى المال ، غير أنه لم يبق له ما يوصله إلى مسافة بسيطة ، ثم طلب من الإمام الرضا عليه السلام أن يعطيه مالاً لإيصاله إلى بلده ، وبعد أن يصل يتصدق به عن الإمام الرضا عليه السلام لأنه غني لا يحتاج إلى المال ، فأكد الإمام عليه السلام على أمرين هامّين :

#### الأول : الحفاظ على شخصيّة السائل .

إذ دخل إلى الغرفة لإخراج المال الكافي الذي يحتاجه السائل ، ولم يقدم المال بنحو مباشر إليه ، بل أرجع الباب قليلاً ، ثم مدّ يده من أعلى الباب وأعطى السائل ما يحتاجه من المال ، وطلب منه برفق أن لا يراه ، وبعد أن خرج الإمام عليه السلام ، سئل عن ذلك فأجاب عليه السلام بأنّ السائل له وزن فهو غني في بلده ولا يريد أن يرى عليه ذلّ السؤال وذهاب ماء الوجه ، بل يريد أن يحفظ شخصيته ، وهذا نبل جسده الإمام الرضا عليه السلام وأبان أهميّة التعامل الفذّ مع بعض الناس الذين لهم ماء وجه ، فمرت عليهم حالات طارئة وظروف صعبة احتاجوا إلى إعانة واسترفاد ، إلا أنه لا يوجب

(١) بحار الأنوار : ٤٩ : ١٠١ .

ذلك أن يُتعامَل معهم كما يُتعامَل مع الآخرين ، بل ينبغي أن يُحفظ لهم ماء وجههم وهو ما فعله الإمام الرضا عليه السلام ، فلم يعطِ المال بنحو مباشر بل أغلق على نفسه الباب قليلاً ، ثم مَدَّ يده من أعلى الباب وناول السائل ، وطلب منه برفق أن يذهب كي لا يلقاه فيرى ذلَّ السؤال على وجهه .

وهذا ما نحتاجه في تعاملنا مع الناس الذين لهم ماء وجه وليسوا من أصحاب الحيلة والشحاذين الذين يحاولون بثتَّى الطرق الحصول على المال ، فمن كان ذا شخصيَّة محترمة وألجأته الظروف إلى الاستدانة أو الحاجة إلى المال ينبغي أن يحافظ على شخصيَّته كما فعل الإمام الرضا عليه السلام .

### الثاني: بيان بركة أموال أهل البيت عليهم السلام .

والملفت في فعل الإمام عليه السلام أنه أعطى ولا يريد أن يسترجع المال ممَّن أعطاه إياه ، خلافاً لبعض الناس ؛ إذ يعطي إلا أنه يريد أن يأخذ بدلاً عما أعطاه ، والإمام عليه السلام لم يأمر حتَّى بالصدقة عنه بهذا المال لأنه عليه السلام يريد إدخال الخير والبركة إلى الخلق ، فيده عليه السلام يد الله في خلقه ، وقد أمر عليه السلام المعطى أن لا يتصدَّق عنه ، بل يبقي المال ليبارك صفقاته مع الآخرين ، وأراد عليه السلام أن يكون المعطى أكثر عزَّة بهذه الأموال المباركة التي دُفعت إليه والحفاظ على شخصيَّته .

### استغلال المناسبات للإنفاق .

هناك أوقات مباركة يتضاعف العمل فيها -كشهر رمضان ، ويوم عرفة ، ويوم النصف من شعبان - كما أنَّ العطاء والبر إذا كان للأقربين من الأرحام والجيران كان له أعظم الأثر ، والإمام الرضا عليه السلام نبه بعمله على أهميَّة يوم عرفة كما أنه عليه السلام كان يستغلُّ كلَّ وقتٍ من أوقات الطعام للبدل والكرم في سبيل الله تعالى ، خصوصاً للطبقة المسحوقة : الفقراء والمساكين .

ورد في حديث معمر بن خلاد : « كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّضَا عليه السلام إِذَا أَكَلَ أَتَيْ بِصَحْفَةٍ

-إناء كبير يشيع خمسة من الرجال - فتوضع بقرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئاً فيضع في تلك الصحفة، ثم يأمر بها للمساكين، ثم يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةً \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (١).

وكان ﷺ يقول - عندما يضع بعض الطعام الجيد في هذه الأنية الكبيرة، ويأمر بها إلى المساكين -: إن الله تعالى أمرنا أن نعتق الرقاب في سبيله تعالى، غير أن كثيراً من الناس لا يتمكن من ذلك (٢)، يُبد أنه يمكنه الإطعام، فيقدم بعض الأكلات الطيبة للمساكين المحتاجين، فيصبح مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، أي أنه ﷺ يعلم الناس الذين لا يستطيعون بذل الكثير أن يقدموا قليلاً، وأن ذلك باب فتحه الله تعالى للجميع، فيستطيعون أن يلجوه بالإطعام اليومي مما يأكلونه فيقدمون بعضه لجيرانهم من الفقراء والمعوزين، وكان الناس قديماً يفعلون ذلك انطلاقاً من توجهات أهل البيت ﷺ.

## القسم الرابع

### النبي ﷺ قدوة عالمية في الكرم

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾  
 ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣)

صدق الله العلي العظيم

(١) البلد ٩٠: ١١ - ١٦.

(٢) الكافي: ٤: ٥٧، باب فضل إطعام الطعام، الحديث ١٢.

(٣) البقرة ٢: ٢٧٤.

## أضرار البخل :

النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم الرواد الأوائل في تبيان الدور الكبير للإنفاق في سبيل الله تعالى ، وما له من أثر فاعل في تقدم الفرد والمجتمع .

### الضرر المعنوي .

وننبه هنا على أمرين هامّين :

**الأول :** إن إمساك المال والبخل به يترتب عليه الشقاء الماديّ والمعنويّ ، أما الشقاء المعنويّ فقد مرّ أنّ التكامل للإنسان يتأتى بالإنفاق في سبيل الله تعالى ، ولا يسمو المرء في الآفاق الرحبة إلا إذا سخر أمواله في سبيله تعالى ، وأصبح المال له خادماً مطيعاً ، دون أن يتحوّل هو إلى خادم للمال ، فالسموّ الروحي والرفقيّ المعنويّ يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بإنفاق المال في سبيل الله تعالى ، ومن لم ينفق يتحوّل إلى خادم وعبد قنّ للمال يلهث وراءه دون أن يرتوي ممّا جمعه منه ، وقد بيّن هذا المعنى للدنيا ككلّ ، والمال أحد مصاديقها ، قال الصادق عليه السلام : « **مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ** »<sup>(١)</sup> : أي أنّ المال قد يجعل الإنسان ثقيلاً يرسف في أغلال القيود الماديّة دون أن يستطيع الارتقاء معنوياً .

### الضرر الماديّ .

أما ما يتعلّق بالضرر الماديّ من إمساك المال ، وعدم السماح به وبذله للغير ، فيعرف من خلال الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان ؛ ذلك أنّ بعض الناس يريد الاستعلاء فيستغلّ المال في ذلك ، وقد أبان القرآن الكريم هذه الحيثيّة في قضيّة

(١) الكافي : ٢ : ١٣٥ ، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها ، الحديث ٢٤ .

موسى عليه السلام وفرعون عليه السلام **﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾** <sup>(١)</sup>، المال وسيلة مؤثرة من وسائل الاستعلاء لتسخير الغير في المآرب، مما يؤدي إلى الظلم والفساد في الأرض، ويترتب عليه حروب ومشاكل لا نهاية لها، وتسخير المال بجمعه للاستعلاء للفرد أو الجماعة والفتنة، يترتب عليه ظلم كبير، فالجوع والأمراض الفتاكة بالإنسانية سببان رئيسان في تفهقر المجتمع الإنساني إلى الوراء، بالإضافة إلى ما يتحقق من عداوات شخصية كقطع الرحم بسبب المال، وهناك خلافات بين الإخوة سببها الرئيس عدم تقسيم التركة من بعض الورثة لحرص على المال بإرادة أخذ الحصّة الأكبر مما يسبب قطع الرحم والعداوة بين الأقربين.

### النبي صلى الله عليه وآله أسوة في الكرم.

أبان النبي صلى الله عليه وآله - وهو القدوة للناس جميعاً - هذا الدور وجسده بنحو لا مثيل له، قديماً وحديثاً، بمواقف عملية وقفها صلى الله عليه وآله وأحاديث صدرت منه :

عن أنس خادمه صلى الله عليه وآله، قال: « ما سئل رسول الله على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: ففجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا فإنّ محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة » <sup>(٢)</sup>.

قوله: « ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله على الإسلام شيئاً إلا أعطاه » له معنى دقيق، بل معانٍ عدّة :

منها: أنه إذا سُئل، وكانت المسألة تعود إلى القانون الإسلامي - أي ليس فيها تعدُّ على قوانين الإسلام - فإنه صلى الله عليه وآله يعطي الكثير ولا يأبه بكثرة العطاء.

ومنها: أنه إذا تُوسِّل إليه بالإسلام - أي جعل الإسلام وسيلة في الحصول على

(١) طه ٢٠ : ٦٤ .

(٢) صحيح مسلم : ٧ : ٧٤ .

المبتغى - فلا يردَّ ﷺ من توَّسَّل إليه بقيم الرسالة وقداسة التشريع .

قال أنس : « فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاءٍ كثيرٍ » : أي قطع كبير من الغنم بين جبلين أمر به النبي ﷺ إلى السائل ، من شاء الصدقة - أي أن هناك زكوات وصدقات تجمعت فأمر النبي ﷺ بها إلى السائل ، وقد أحدث عطاء النبي ﷺ أثراً كبيراً فرجع السائل إلى قومه فقال : « يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر » .

### الضمانات من التغيرات المستقبلية .

كثيرٌ من الناس يدخر لنفسه شيئاً ويخبأ بعض المال من أجل الحوادث التي تلمُّ به في المستقبل ، غير أنَّ النبي ﷺ يضمن المستقبل من خلال العطاء الذي يفرِّقه للمعوزين من الناس ، وضمان المستقبل من ناحيتين :

الأولى معنوية بالارتباط بالله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾<sup>(١)</sup> .

والثانية بالإحسان إلى الناس ، فإنَّ الناس إذا أحسن إليهم لن يضرُّوا ، بل تحدث الألفة والمحبة بين المعطي والمعطى ، لذا أصبح السائل مبلغاً لرسالة النبي ﷺ وداعٍ لقومه إلى الإسلام .

### كيف تصنع المعروف ؟

وعنه ﷺ : « اصنع المعروفَ إلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ ، وَإِلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ »<sup>(٢)</sup> ، والحديث يستدعي منا وقفات للتأمل في معطياته الكبيرة .

(١) الزمر ٣٩ : ٣٦ .

(٢) الكافي : ٤ : ٢٧ ، باب فضل المعروف ، الحديث ٦ . كنز العمال : ٦ : ٣٩٧ .



## أولاً: صنع المعروف للجميع.

يأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس كافة إلى صنع المعروف للجميع ، من هو أهل له ، ومن ليس له بأهل ، لتحقيق شيئين ؛ وذلك أن المرء إن أصاب أهل المعروف فقد كسب خيري الدنيا والآخرة ، وإن لم يصب أهله فقد أصبح أهلاً له بالبدل والعطاء وفق هذه السجية الحميدة .

## ثانياً: الدافع في صنع المعروف هو الله تعالى و

الأمر الآخر - وهو الأهم - أن بعض الناس قد لا يؤمن بالله تعالى ومع ذلك يعطى للجانب الإنساني ، وهذا نبل في العطاء ، ومن ينطلق من هذا الدافع الذي ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصبح محموداً لأنه أهل للعطاء والمعروف ، ولا يبتغي بعطائه تحقيق مآرب دنيئة ، وإن كان بعض الناس يعطي من ليس بأهل للعطاء ويريد أن يحقق مآرب كرفع شخصيته أو الاستيلاء على بعض المغنم في المستقبل ليحقق أموراً دنيئة ، والرواية تنهى عن ذلك ، فالعطاء إما أن يكون لله تعالى ولأهله المستحقين له ، وإما أن يكون من أجل الاتصاف بهذه السجية - أن يكون أهلاً للعطاء - وليس لتحقيق مآرب تُهَي عنها كما جاء في طائفة من الأحاديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام قال : « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَشَقِيَّ الرَّجُلِ أَمْ سَعِيدٌ فَانظُرْ سَيِّبَهُ وَمَعْرُوفَهُ إِلَى مَنْ يَصْنَعُهُ ، فَإِنْ كَانَ يَصْنَعُهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِلَى خَيْرٍ ، وَإِنْ كَانَ يَصْنَعُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ » (١) .

أي أن من يعطي للطيبين الخيرين الذين يستحقون العطاء فإن مستقبله إلى خير ، وسيأخذ الله تعالى بيده إلى السداد ، أما من كان يصنعه إلى غير أهله ، فاعلم أنه ليس له عند الله تعالى خيراً .

(١) الكافي : ٤ : ٣٠ و ٣١ ، باب وضع المعروف موضعه ، الحديث ١ .

وهذه الطائفة من الأحاديث لا تتنافى مع الطائفة الأولى التي أشرنا إليها، والمهم أن يكون العطاء لا لتحقيق مآرب دنيئة لا يرضى بها الله تعالى، فالعطاء إما أن يكون للفضل الأخرى، أو أن يبتغى به انتشار المدقعين في الفقر من المستوى المنخفض الذي هم فيه إلى ما هو الأفضل، وهذا العطاء وإن لم يتقرب به إلى الله تعالى إلا أنه يجازى عليه بالخير لأثره الوضعي.

### أوصاف الأبدال.

وقد أكد ﷺ على هذا العطاء وعلى أهميته الكبيرة فقال ﷺ: «إنَّ بدلاء أمتي - الأبدال الذين يصلون إلى درجات عالية من القرب إلى الله تعالى، أي أن هؤلاء استطاعوا أن يصلوا إلى هذه المراتب العالية بكرمهم وجودهم - لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصدر، والنصح للمسلمين»<sup>(١)</sup> يؤكّد ﷺ هنا على أمور ثلاثة:

**الأول:** الكرم، وقد جعله في المقدمة بالعطاء الذي لا ينقطع، فيعطي دون توقّف فيصل إلى مرتبة الأبدال.

**الثاني:** أن لا يحمل المرء سخيمة في نفسه وغلاً للآخرين في صدره، بل يحب الآخرين ويريد لهم الخير، وهذه سمة أكّدت عليها الروايات الواردة عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

**الثالث:** النصح للمسلمين، فيريد لهم الخير ويصبح منبراً إعلامياً إذا علم بالخير أرادته للآخرين، ومتى ما عرف خطأً أو خطأً أعلم الآخرين به برفق وسداد وجاذبية للغير إلى سلوك الطريق المستقيم، والشاهد في الفقرة الأولى التي أكّدت عليها المصطفى ﷺ فالأبدال لم يصلوا إلا بالسخاء والكرم، وسلامة الصدر، والنصح

(١) جامع السعادات: ٢: ٨٨. كنز العمال: ١٢: ١٨٨، الرقم ٣٤٦٠٤.

للمسلمين ، وما أروع أن تجتمع هذه الأمور في المرء ليقترني بنبينه ﷺ .

## القسم الخامس

### نفحات من كرم الإمام العسكري عليه السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

يُسهم البذل والكرم في سبيل الله تعالى على مناحي الحياة المتعددة في حلحلة إشكاليات الحياة المعقدة ، وقد جسّد كل واحد من أئمة أهل البيت عليه السلام صوراً مشرقة وآثاراً مضيئة تتجلى بها الأهمية الكبيرة والفائدة للإنفاق في سبيل الله تعالى .

### مظاهر كرم الإمام العسكري عليه السلام :

هناك صور مشرقة ومتعددة على أكثر من صعيد للإمام العسكري عليه السلام جذبت تلکم الصور كثيراً من الناس إلى خطّ أهل البيت عليه السلام ؛ ذلك أنّ الإمام عليه السلام اتّسم بمظاهر متعدّدة من الكرم :

### الأول : رفع الحواجز من نفسيّة السائل .

من صور كرمه عليه السلام ما فعله مع أبي هاشم الجعفري ، وهو من كبار الرواة عندنا ، وقد احتاج ذات يوم فأرسل إلى الإمام عليه السلام بحاجته ، فقضى حاجته وأرسل إليه مائة دينار ، ولا يهمننا هذا وإنما يهمننا الرسالة التي بعث بها الإمام عليه السلام إلى أبي هاشم

(١) البقرة ٢ : ٢٧٤ .

الجعفري، فقد كتب عليه السلام: «إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَلَا تَسْتَحِي وَلَا تَحْتَشِمُ وَاطْلُبْهَا، فَإِنَّكَ تَرَى مَا تُحِبُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

نقف هنا ملياً لنشير إلى معاني كلمات الإمام عليه السلام؛ ذلك أن من طلب حاجة من غيره صعب عليه أن يطلبها مرة أخرى، بل يصاب بشيء من الإحراج والخجل، ويتجنب طلب حاجته في المستقبل، ولا يحاول أن يطلبها ممن قضاها أولاً، كذا حال أصحاب المروءة والشخصيات الهامة، غير أن الإمام عليه السلام أراد أن يكسر هذا الحاجز ويبين لأبي هاشم الجعفري الشخصية العلمية ذات الواجهة الاجتماعية أن عليه أن يطلب ما شاء إذا احتاج مرة أخرى ولا يستحي، بل عليه أن يسقط الحواجز بينه وبين الإمام عليه السلام ويطلب حاجاته في المستقبل، وتقضى إن شاء الله تعالى مع ما هو عليه من المنزلة والمكانة، ولن يؤثر الطلب المتكرر في منزلته؛ لأن الإمام عليه السلام يعرف أتران شخصيته، وأنه مختلف عن بعض الناس الذين يطلبون دون حاجة لمروءته وشخصيته اللتان تجعلانه لا يطلب إلا إذا كان بحاجة.

### الثاني: استشراف حال السائل.

الأمر الثاني الذي أبانه الإمام عليه السلام في السماحة، والندى الذي ينبغي أن يكون عليه الشخص المتبوء لمكانة كبيرة، والإمام عليه السلام يدعو الناس كافة إلى الكرم، فقد احتاج بعض الشعراء ورفده الإمام عليه السلام، وهنا ينبغي أن نعرف أن الشاعر منبر إعلامي في العصر القديم، وهو أشبه بقناة فضائية في عصرنا الحاضر، لأهميته

(١) حدثني أبو هاشم الجعفري، قال: «شَكَوْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَيْقَ الْحَبْسِ، وَكَتَلَ الْقَيْدَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ: أَنْتَ تُصَلِّيَ الْيَوْمَ الظُّهْرَ فِي مَنْزِلِكَ، فَأُخْرِجُكَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ فَصَلِّتْ فِي مَنْزِلِي كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُنْتُ مُضَيِّقاً فَأَرَدْتُ أَنْ أُطَلَّبَ مِنْهُ دَنَائِيرَ فِي الْكِتَابِ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَّهَ إِلَيَّ بِمِائَةِ دِينَارٍ، وَكَتَبَ إِلَيَّ: إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَلَا تَسْتَحِي وَلَا تَحْتَشِمُ وَاطْلُبْهَا، فَإِنَّكَ تَرَى مَا تُحِبُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». الكافي: ١: ٥٠٨، الحديث ١.

الكبيرة في إيصال الأفكار والآراء إلى عموم الناس ، وقد كان أحد الشعراء وُلد له ولد وكانت ظروفه صعبة ، كما حدّث عن نفسه فقال : « وُلِدَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ مُضَيِّقًا ، فَكَتَبْتُ رِقَاعًا إِلَى جَمَاعَةِ أَسْتَرْفُدُهُمْ ، فَرَجَعْتُ بِالْخَيْبَةِ . قَالَ : قُلْتُ : أَجِيءُ فَأَطُوفُ حَوْلَ الدَّارِ طَوْفَةً وَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ ، فَخَرَجَ أَبُو حَمْرَةَ وَمَعَهُ صُرَّةٌ سَوْدَاءُ فِيهَا أَرْبَعُمِائَةٍ دِرْهَمٍ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ سَيِّدِي : أَنْفِقْ هَذِهِ عَلَى الْمُؤَلُودِ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ »<sup>(١)</sup>

ونلاحظ هنا أنّ الشاعر دار في خلدته أن يطلب لكنّه لم يطلب من الإمام عليه السلام ، وعلم الإمام عليه السلام به فأرسل الخادم بالمال لقضاء حاجته ، فهو يفكر ويهمّ أن يسأل الإمام عليه السلام حاجته لكنّه لم يسأل والإمام عليه السلام لبى حاجته ، وهنا استشراف حال ، فبعض الناس قد تكون شخصيته على علاقة وطيدة مع المسؤول أو مع من يقضي حاجته ، لكنّه لا يحصل على ما يريد ، والشاعر هنا شاعر الحكومة ، وهو من شعراء المتوكّل ، وقدّم رسائل كتبها لشخصيات الدولة لكنّه لم يسعف من أحد ، وما حصل عليه هو عطاء من الإمام عليه السلام فعلم الإمام بحالته كانت به الكفاية لقضاء حاجته ، وهذا درس عملي للمعطين ؛ إذ أنّ بعض الناس قد لا يسأل لكنّ الكرم والجود كفيلاّن بقضاء حاجته .

### الثالث : تربية السائل على الصدق في السؤال .

هناك صورة مشرقة ذكرها المؤرّخون لحياة الإمام عليه السلام ، فقد كان إسماعيل بن محمّد بن عليّ من ولد العباس ابن عبد المطلب ، وهو من العباسيين ، وحكم الدولة بأيديهم ، غير أنّ حالته كانت بسيطة ، فأراد أن يسترفد الإمام عليه السلام لإنعاشه كما جاء ذلك في كشف الغمّة ، قال إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، قال : « قَعَدْتُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ،

(١) بحار الأنوار : ٥٠ : ٢٩٤ ، الحديث ٦٩ ، نقلًا عن كشف الغمّة : ٢ : ٤٢٦ .

فَلَمَّا مَرَّ بِبِي شَكَوْتُ إِلَيْهِ الْحَاجَةَ ، وَحَلَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي دِرْهَمٌ فَمَا فَوْقَهُ ، وَلَا غَدَاءٌ وَلَا عَشَاءٌ ، قَالَ : فَقَالَ : تَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا ، وَقَدْ دَفَنْتَ مِائَتِي دِينَارٍ ، وَلَيْسَ قَوْلِي هَذَا دَفْعًا لَكَ عَنِ الْعَطِيَّةِ . أَعْطِهِ يَا غُلَامٌ مَا مَعَكَ ، فَأَعْطَانِي غُلَامُهُ مِائَةَ دِينَارٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : إِنَّكَ تُحْرِمُ الدَّنَانِيرَ الَّتِي دَفَنْتَهَا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا» (١) .

والإمام عليه السلام علمه مبدأ أخلاقياً بكيفية التعامل مع عظمة الحق تعالى ، فلا ينبغي أن يقسم بالله تعالى صادقاً ، فضلاً عن أن يكون كاذباً ، من أجل حفنة من الدراهم فيشتري بالقسم العظيم بالله تعالى دراهم معدودة ذلك ثمن بخس ، ومع ذلك فإن الإمام عليه السلام لا يريد أن يدفعه فقال عليه السلام له : « وَلَيْسَ قَوْلِي هَذَا دَفْعًا لَكَ عَنِ الْعَطِيَّةِ » : أي أن كلام الإمام عليه السلام كان لردعه عن القسم بالله تعالى لا لمنعه .

### الرابع : توزيع العطايا في المناسبات .

ومن الصور المشرقة التي أبانها الإمام عليه السلام أنه نبه على أهمية المواقف والمناسبات - كمواقف الحج ، والأعياد - فالناس بحاجة للعطايا ، خصوصاً في الأزمنة السابقة وليس في زماننا هذا ، فالناس فيه بخير نسبياً بخلاف الأزمنة السابقة ، إن كثيراً من الناس قد لا يعلم ما هي الحال قبل خمسين سنة ، فقد كانت بعض الدول لا تستطيع أن تسدّ رواتب الموظفين لنصف سنة ، وعلى الموظف للدولة أن يرتب وضعه ، وقد كانت الأثرية الساحقة من الناس تعيش الفقر والفاقة ، من هنا يأتي دور الكرم والإنفاق .

وننبه أيضاً أن الحال لدى بعض الناس لا زال كما كان ، وينبغي أن تساعد هذه الفئة بالخصوص في المناسبات الاجتماعية الكبيرة كمناسبة الحج ، والإمام عليه السلام يؤسس لإطار عام يبين فيه للناس ما ينبغي أن يقيم به من العطاء والسخاء ، لتكون

(١) بحار الأنوار: ٥٠ : ٢٨٠ و ٢٨١ ، الحديث ٥٦ . الإرشاد : ٢ : ٣٣٢ .

الأعطيات التي يقدمها الإمام عليه السلام محلاً للتعجب حتى من بعض أصحاب الإمام عليه السلام. قال أبو جعفر العمري: «حجّ أبو طاهر بن بلال فنظر إلى علي بن جعفر وهو يُنفق النفقات العظيمة، فلما انصرف كتب بذلك إلى أبي محمد عليه السلام، فوقع في رُقعته: قَدْ كُنَّا أَمْرًا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ أَمَرْنَا لَهُ بِمِثْلِهَا»<sup>(١)</sup>، ويدل هذا على أن كنوز الأرض تحت أيديهم.

وهو موقف عملي يعالج به سلوكاً، ويبين أن الكرم والعطاء في سبيل الله تعالى لا بد أن يكون بهذه المثابة، خصوصاً من الناس الذين يمتلكون المال، فالمال إذا لم يصنع به ذخيرة لمعاد عند الله تعالى لرفع العوز والفاقة من الناس لا فائدة تعود منه؛ لأنّ فائدته ببذله، ولذا نجد هذا الشخص عندما انصرف من الحجّ كتب ذلك إلى أبي محمد عليه السلام فوقع الإمام عليه السلام في رقعته: «قَدْ كُنَّا أَمْرًا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ أَمَرْنَا لَهُ بِمِثْلِهَا»: أي أعطينا مبالغ ضخمة يوزعها في هذه المناسبة الدينية، وأمرنا لك أن تفعل كما فعل، فتوزع الأموال الكثيرة في هذه المناسبة الدينية والاجتماعية التي يحتاج الكثير من الناس إلى الأعطيات الكبيرة.

### الخامس : تفقد حال المحتاجين .

كان الإمام عليه السلام يتفقد حاجات الناس؛ لأنّ بعض الناس قد يكون من ذوي الوجاهة ويحتاج إلى خادم أو جارية؛ لأنّ الزمان الغابر كانت الظروف فيه بالغة السوء، وليس كزماننا هذا، ففي سالف الزمن عاش الناس حالة من الفقر والعوز، والإمام عليه السلام أعطى علي بن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي مائتي دينار وقال: اصرفها في ثمن جارية لك، ليتناسب مع وضعه ولتسدّ حاجته.

جاء في الثاقب في المناقب: وحدث علي بن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن

(١) بحار الأنوار: ٥ : ٢٢٠.

عليّ، قال: «صَحِبْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ مِنْ دَارِ الْعَامَّةِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الدَّارِ، وَأَرَدْتُ  
الانْصِرَافَ قَالَ: أَمْهَلْ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَأَعْطَانِي مِائَتِي دِينَارٍ وَقَالَ:  
أَصْرِفْهَا فِي ثَمَنِ جَارِيَةٍ، فَإِنَّ جَارِيَتَكَ فُلَانَةٌ قَدْ مَاتَتْ، وَكُنْتُ خَرَجْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ  
وَعَهْدِي بِهَا أَنْشَطُ مَا كَانَتْ، فَمَضَيْتُ فَإِذَا الْعِلَامُ قَالَ: مَاتَتْ جَارِيَتُكَ فُلَانَةُ  
السَّاعَةِ.

قُلْتُ: مَا حَالُهَا؟ قِيلَ: شَرَيْتُ مَاءً فَشَرَقْتُ فَمَاتَتْ»<sup>(١)</sup>.

والإمام عليه السلام لا يعطي زيدا باعتباره من أبناء عمه، بل فعل عليه السلام هذا الفعل لعمر بن  
مسلم ولغيره من الذين كانوا يحتاجون إلى ذلك.

### السادس: بذل الهدايا للمحتاجين.

للإمام عليه السلام مواقف جميلة، فقد كانت تقدّم له الهدايا من الأطعمة من بعض  
الفلّاحين والمزارعين من شيعة أهل البيت عليهم السلام فيأتونه عليه السلام بأنواع من الرطب والتين  
من ذي الجودة العالية، وكان عليه السلام يأكل منه ثمّ يقول لبعض أصحابه قسم ما بقي  
ويقدّم عليه السلام ما يبقى من الأعطيات على من يزوره بنحو موجب للتعجب فقد جاء  
بعض لزيارة الإمام عليه السلام، فرأى طبقاً فخماً قدّم له عليه السلام غير أنه قسمه بعد أن أخذ  
قليلاً منه وقد وصف بعض حاضري المجلس الإمام عليه السلام بقوله: مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَسْدَى  
مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

وهو عليه السلام يرسم بهذه الصورة المشرقة معالم للندى والكرم والسماحة ذلك لما  
لهذه السجّية الحميدة من تأثير كبيرٍ وعظيمٍ في حلحلة إشكاليات الحياة الاجتماعيّة  
والاقتصاديّة للناس كافة.

(١) بحار الأنوار: ٥٠: ٢٦٤، الحديث ٢٤، نقلاً عن الثاقب في المناقب: ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠: ٢٥٣، نقلاً عن الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١٧.



## ثقافة الغذاء الشرعيّ

### القسم الأول

#### التجارة الحرّة وتأثيرها في السوق الإسلاميّة

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

#### تأثيرات الغذاء على شخصيّة الإنسان.

للغذاء أهميّة خاصّة في حياة الإنسان ، غير أنّ البعض يتصوّر أنّه يرتبط بالنشاط والحيويّة ، وما يقوم به المرء من أعمال يوميّة بنحو طبيعيّ ، إلّا أنّ الغذاء له تأثير جدّ هامّ على مناح متعدّدة من شخصيّة الإنسان ، ترتبط بالروح والعقل والإدراك ارتباطاً جذريّاً ، بل بالسجايا التي يتمتّع بها الإنسان -كأنّصافه بالحلم وكظم الغيظ والشجاعة والإقدام - فالغذاء الذي يتناوله الإنسان له تأثير فاعل في ذلك ، بل أنّ هناك جوانب أخرى ترتبط بالغذاء لا نستطيع أن نكتشف جهة الربط الوثيق بينها وبينه ، وإنّما كشفت الروايات عن ذلك .

---

(١) عبس ٨٠ : ٢٤ .

## الآثار الماديّة للغذاء.

هناك كثير من الأبحاث العلميّة في الغذاء منذ القديم وحديثاً بعد الثورة العلميّة والمعرفيّة، فألاف الكتب - بل عشرات الآلاف - تتحدّث عن أهميّة التغذية، غير أنّ هذه الكتب لا تشير إلى الجوانب التي ألمحنا إليها، وكشف الأنبياء والرسل والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام عنها.

لقد كان الإنسان قديماً يأكل الأشياء التي أمامه دون أن يميّز ما يضرّه وما ينفعه، وبالتجربة أصبح يميّز تأثير أنماط الغذاء المختلف، فيرى أنّه يصاب بأمراض لتناوله أغذية محدّدة ويتمتّع بنشاط وحيويّة بتناول أغذية أخرى، من هنا حاول أن يدع الأغذية التي يصاب ببعض الأمراض إذا تناولها، وكانت التجارب الماديّة الدليل لإعطاء الإنسان إضاءة حول ما يأكله، وتأثير ذلك على نفسه وصحّته، إلا أنّ التقدّم العلميّ في العصر الحديث محور البحث حول الأغذية التي يتناولها الإنسان في جوانب أهمّها الحركة والنشاط والحيويّة والصحة، وبين أنّ الغذاء (أ) يحتوي على سعرات حراريّة، ويفيد في النشاط الذهنيّ أو الجسمي، ويؤثر على الصحة في الجانب المحدّد، أي أنّ الأبحاث تدور حول نشاط الإنسان وحيويّته من جهة، وصحّته من جهة أخرى، فتتناول جنبتين رئيسيتين دون ذكر الأبحاث الهامّة التي أشرنا إليها.

## تأثيرات الغذاء في النصوص الشرعيّة.

لقد تحدّثت الروايات عن جوانب مختلفة ومتعدّدة للغذاء، ألقت القرآن الكريم الإنسان إليها قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ تتناول الآية وما بعدها أهميّة نظر الإنسان إلى غذائه، أمّا الروايات فتؤكّد على مسائل غاية في الأهميّة يرتبط بعضها بالغذاء، وهناك ثقافة مشتركة بين العلم الحديث والروايات، كغسل اليدين قبل الطعام، وكون الطعام نظيفاً وطازجاً.

## التأثيرات المعنوية .

هناك مسائل بمنأى عن الأبحاث العلمية، كتأثير التسمية في الغذاء، والحمدلّة بعد الانتهاء منه، وأهميّة وجبة العشاء للإنسان، وكون الطعام حلالاً لا شبهة فيه، وأن لا يكون مغتصباً أو مسروقاً، وقد لا نفهم التأثير السلبي للغذاء من هذه النواحي والحيثيات إذا كان صحياً ومفيداً في النشاط والحيوية، فحتى إذا كان مغتصباً أو مسروقاً المفروض أن لا يؤثر، بينما تؤكد الروايات على التأثير الكبير على شخصية الإنسان إذا تناول الأغذية المغتصبة وغير الحلال، ونفهم من خلال ذلك الأهميّة الفائقة لكون اللحم مذكّياً، وتتحقق التذكية بشرائط، منها: استقبال القبلة بمقاديم بدن الذبيحة، ومنها: كون الذابح مسلماً، ومنها: ذكر اسم الله تعالى عليها عند البدء، ومنها: فري الأوداج الأربعة، وقد أكّد الفقهاء عليها لتكون الذبيحة حلالاً يسوغ للمسلم تناول لحمها، أمّا إزهاق الروح بالصعق الكهربائي، أو الطعن بخنجر في جزء من بدن الذبيحة، ومن ثمّ تقطيعها من مؤخرها، فلا يذكيها ولا يجعلها حلالاً.

إنّ الفقه الإسلامي والثقافة الدينية يربط الغذاء بأمور غاية في الأهميّة، ويفصح عن تأثيره على جوانب مختلفة من شخصية المسلم، كشجاعته ونقاء سريرته وسجايه وروحه، بل بأمور أخرى تستمرّ معه إلى ما بعد موته .

## كشف الأمور الغيبية للغذاء .

يقف الإنسان مذهولاً لتأثير هذه الأمور في عوالم ما بعد الموت، والبحث العلمي الذي يتناول الجانب المادّي لا يستطيع كشف الآثار اللامرئية التي تظهر في عوالم غيبية مستقبلية، لذا كان كشف التأثيرات المختلفة بإخبار الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام، فأبانوا جوانب لا يستطيع الناس آنذاك أن يصلوا إليها، ولا زال بعضها كذلك .

## النظرة القاصرة للغذاء الجيد .

إنّ طبيعة الإنسان ترفض التقيّد، وتحب الحرّيّة ولو كان فيها ضرر على النفس ، لذا لا يتقيّد بعض الناس إذا ذهب إلى دول غير إسلاميّة بأكل الحلال ، ويرى أنّ الطعام صحّي وممتاز ، وقد صنّع على وفق أرقى الأساليب الطبيّة والصحيّة ، ولعلّه أفضل ممّا عندنا في الدول الإسلاميّة لعدم مراعاة بعض الشروط في دولنا ، ولا ينظر إلى الأمور الأخرى التي أشرنا إليها ، والارتباطات الدقيقة للغذاء بجوانب في شخصيّة الإنسان .

## قاعدة سوق المسلمين .

يحسن بنا أن نذكر مسألة هامّة بنحو مقتضب لكونها تحتاج إلى أبحاث مركّزة ، لعلنا نشير بشيء من البيان إليها في الأبحاث اللاحقة إن شاء الله ، هي مسألة الأكل في المطاعم التي انتشرت في القرى والأرياف والمدن ، وفيها من الأطعمة ما هبّ ودبّ من مختلف أنحاء العالم ، وعندما ينصح بعض الناس بعدم الأكل إلا من الحلال ، يجيب بقاعدة سوق المسلمين ، وهي قاعدة صحيحة يفتي بها الفقهاء ، ويقولون لا يجب السؤال إذا كنت في بلد إسلامي .

## تطبيق قاعدة سوق المسلمين .

إلا أن أنّ القاعدة واردة بلحاظ مختلف ، فأسواق المسلمين في السابق من النادر أن تجد فيها لحوماً غير مذكّاة ، أمّا الآن بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة ، فإنّ اللحم يأتي من شرق الأرض وغربها ، والمسألة مختلفة ، ويعود السبب إلى وجود قواعد واتّفاقات دوليّة على التجارة الحرّة التابعة لمنظمة الجات ، فهناك دول إسلاميّة كثيرة وقّعت عليها ، وأصبح التداول البينيّ فيما بينها وبين الدول غير الإسلاميّة حرّاً ، ومعنى ذلك أنّ اللحوم التي تأتي من الصين ، وفيها

ما يقرب مليار ونصف من البشر، أي هم ربع سكان الأرض، فإذا جاء الدجاج الصيني فهل يستطيع أحد أن يطبق قاعدة سوق المسلمين على ما يستورد من كمّيات كبيرة من اللحوم الصينية الممتازة، رغم أنّ كثيراً من المطاعم تراها الأفضل.

### أضواء على قاعدة سوق المسلمين.

إنّ تطبيق قاعدة السوق بحاجة إلى أبحاث فقهية حديثة تتناسب مع الاختلاط الهائل، خصوصاً إذا رأينا أنّ الصين فيها طوائف ومذاهب كالعالم الإسلامي، وبعض طوائفها لا يأكل لحم الدجاج بل عظامه فقط، والصين متقدمة صناعياً، فيدخلون الدجاج في آلات تفرز اللحم عن العظم دون اهتمام بكون الذبح على الطريقة الإسلامية، تتضمّن استقبال القبلة، وذكر اسم الله تعالى، وفري الأوداج، وكون الذابح مسلماً.

### الجهل بالضوابط الشرعية.

إنّ أكل اللحوم التي تباع في السوبر ماركت بالبناء على قاعدة سوق المسلمين، أو افتتاح مطعم دون دراية بالثقافة الإسلامية، خصوصاً إذا كان عمّاله من الدول المجاورة - سوريا وتركيا ولبنان - وهمهم الربح فحسب، بل قد يكون بعضهم غير متديّن وغير ملتزم، أو أنّه لم يعش الثقافة الدينية ولم يعرف الحلال من الحرام، وأخذ المطعم كفالة يريد أن يربح، والناس تشتري الحلال بناءً على قوله، فعندما يُسأل هل اللحم حلال يجب بنعم استناداً إلى قاعدة سوق المسلمين، مع العلم أنّ المسائل مختلفة في عصرنا عمّا كانت عليه في العصور السابقة، ولا بدّ من لفت الانتباه إليها بدقّة وتبيان أن يعيش المسلم مراناً عليها، وأن يعود أولاده على أكل الحلال فحسب.

## الآثار الوضعية للغذاء.

إنَّ أكل الحرام له تأثير وضعي لا ينفك عنه ، فالحرمة كحكم تكليفي ترتفع بالجهل أو الاضطرار ، إلا أنَّ الأثر الوضعي باقٍ ، فمن شرب ماءً وتبين أنه خمر سيسكر ، والسكر أثر وضعي لا ينفك ، ولا يستطيع أن يقول المفروض أن لا أسكر ؛ لأنَّ السكر يتحقق لشارب الخمر وإن كان جاهلاً بخرمته .

نعم ، لا حرمة تكليفية عليه ، لحديث الرفع ، قال ﷺ : «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تِسْعَةٌ : الْخَطُّ ، وَالنِّسْيَانُ ، ... وَمَا لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup> : أي أن الحرمة التي لا تعلم مرفوعة ، أما أثرها الوضعي على الروح والجسد والصحة ونسل الإنسان فلن يرتفع .

## الاهتمام بغذاء الروح.

إذن علينا أن نلتفت إلى ثقافة الغذاء من ناحيتين :

**الأولى:** ارتباطها بالجانب الروحي من شخصية الإنسان .

**والثانية:** ارتباطها بالجانب العقلي والإدراكي من الشخصية .

فقوة الإدراك ترتبط بالغذاء ، وكذلك استمرار النسل قوياً نشيطاً يرتبط به أيضاً ، وهناك نواح متعددة من الشخصية ، كالسجايا التي تنتقل في الأجيال اللاحقة مرتبطة بالغذاء أيضاً .

## التدبر فيما نأكله .

إننا لا نريد أن نجعل التكليف صعباً ، بل نريد أن نضع التكليف في ميزانه الصحيح ، وأن ننظر إلى طعامنا ، قال تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(٢)</sup> ،

(١) بحار الأنوار : ٢ : ٢٨٠ ، نقلاً عن التوحيد : ٣٥٣ .

(٢) عبس : ٨٠ : ٢٤ .

فإنَّ النظر إليه يوقف المرء عن الأكل والشرب فيما لم تتوافر فيه الشروط الشرعيَّة ،  
وعلينا أن نعلِّم أطفالنا عدم الأكل والشرب دون مراعاة الضوابط .

### ثقافة الأبناء الغذائيَّة.

إنَّ الأب قد يحرص على تعليم ابنه التقاطعات الخطرة لئلاَّ يصاب بحادث ،  
وعليه أيضاً أن يلفت انتباهه إلى الثقافة الغذائيَّة الإسلاميَّة التي ترفع مستواه  
العقليِّ والفكريِّ والثقافيِّ والنفسيِّ ، وتؤثِّر على مصيره الدنيويِّ والأخرويِّ ، وأن  
لا يتركه وشأنه دون الفات نظر إلى ما يأكل وما يشرب ، إنَّ بعض الآباء يتهاون  
كثيراً ، وقد لا يعي ارتباط ذلك بانتشار بعض الأمراض والأوبئة ، ونزع البركة كأثر  
من الآثار غير المرئيَّة ، فلا يبارك له في نفسه ، ولا في ولده وماله ، ويعيش تعساً  
بسبب عدم اهتمامه بالغذاء الذي يأكله . نعم ، إنَّ علينا أن نعلِّم أطفالنا وشبابنا  
ليسعدوا في حياتهم .

### بلورة قاعدة سوق المسلمين .

إنَّ قاعدة سوق المسلمين تحتاج إلى بلورة تتناسب مع زماننا الذي نعيشه ؛ إذ أنَّ  
القاعدة لها شرائط لا تتوافر في زماننا الحاضر في بعض أسواق المسلمين إذا أصبح  
عالمياً مختلطاً ، ففي بعض المدن ليس للمسلمين سوق يخصَّهم ، ويعيش الناس  
مختلطين ، وتجد الأغذية المختلفة من دول شتَّى ، وقد رأيت في بعض الدول  
اللحوم تأتي من مختلف دول العالم .

### أحوال المسلمين في هذه الأسواق .

فعندما دخلت سوقاً شعبيّاً في إحدى الدول تفاجأت بأنَّ الناس يشترون اللحوم  
دون وعي من بعضهم لثقافة الحلال والحرام ؛ لأنَّ الاستيراد عامٌ ، ويعيشون انفتاحاً  
غير مسبوق . نعم ، قد كُتب على اللحم أنَّه بإشراف وزارة الصحة ، ويشتره

المستهلك لكونه الأرخص مع عدم توافر الشروط الشرعيّة، مكتفياً بشهادة وزارة الصحّة وكشف الطبيب البيطريّ دون اهتمامٍ بالحكم الإسلاميّ .

إنّ الطعام قد يكون صحياً ليس فيه ميكروبات أو بكتيريا، مع كونه لم يذبح على الطريقة الشرعيّة، والطبيب البيطريّ لا يهتمّ ذلك، وكلّنا نشاهد في المدن المقدّسة أسواقاً مملوءة باللحم من مشارق الأرض ومغاربها، والناس يشترون دون التفاتٍ إلى مسائل الحلال والحرام .

### أثر التجارة الحرّة على أسواق المسلمين .

إنّ تثقيف الناس وتعليمهم الأحكام الشرعيّة انطلاقاً من الظروف المحيطة بنا واجب، غير أنّ بعض الطلبة ( حفظهم الله ) لا يلتفت إلى ذلك، والتاجر يستورد للربح، وقد يكون غير متديّن، والقانون يسمح له باستيراد ما يريده من اللحوم مع كون أكثر الدول الإسلاميّة قد وقّعت على معاهدة الجات ( التجارة الحرّة ) ولا تستطيع منع استيراد اللحوم غير المذكّاة .

### الغذاء في السفر .

إنّ غرس مبادئ الإيمان وإيضاح الأحكام الإسلاميّة يجذّرها في شخصيّة المسلم، علماً أنّ الكثير من أبنائنا يدخلون المطاعم ويسافرون إلى مشارق الأرض ومغاربها، وإذا لم يلفتوا إلى ذلك أكلوا الحرام مستحلّين لكون الذبح غير إسلاميّ، كما أشرنا، وهو متوافر حتّى في المدن المقدّسة، فإنّ أصحاب المطاعم لا يقتصرون على ذبح المملكة فقط، بل يصرّح بعضهم أنّه مذبوح في دول غير إسلاميّة .

### الاحتياط في قاعدة سوق المسلمين .

إنّ قاعدة سوق المسلمين فيها تأمل واضح في عصرنا الراهن، خصوصاً في



الدول التي انضوت تحت منظّمة التجارة الحرّة، وعليه ينبغي أن نحتاط وأن نمّرّن أنفسنا، بل ننزّهها عن أكل ما فيه شبهة، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه.

## القسم الثاني

### الغذاء بين المصلحة والمفسدة

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

### جوانب أهميّة الغذاء.

بيّننا الأهميّة الفائقة للطعام الذي يتناوله الإنسان، وانعكاس تأثيره على شخصيّته في جوانب أربعة :

**أولها:** الجانب الروحيّ، فطهارة روحه ترتبط بطهارة غذائه.

**ثانيها:** الجانب الجسدي من شخصيّة الإنسان، حيث إنّ نشاطه وحيويّته وما يتمتع به من قدرات يرتبط وثيقاً بغذائه.

**ثالثها:** السجايا التي يتمتع بها كالحلم، وكظم الغيظ، والصبر في مواجهة الشدائد، وتحمل الخطوب، ومجابهة الكرب بثبات وقوّة، وسماحة النفس، والجدود، والكرم، وسائر السجايا، كلّ ذلك يرتبط بالغذاء.

**رابعها:** استمرار نسله قوياً معافىء؛ إذ يمكن أن يتناول الإنسان بعض الأغذية ولا يصاب فيها بأمراض مدّة حياته، غير أنّها تنعكس سلبياً على الأجيال اللاحقة.

(١) عبس ٨٠: ٢٤.

## الأبحاث العلميّة حول الغذاء.

تتناول الأبحاث العلميّة الجانب المادّي الذي يتعلّق بنشاط الإنسان وحيويّته ، وتهمل الجوانب الأخرى التي أشرنا إليها . نعم ، تذكر تأثير الغذاء على صحّة الإنسان ومرضه ، وجلّ الأبحاث العلميّة قديماً وحديثاً محورها الغذاء في هذين الأمرين (النشاط والحيويّة ، والصحة والمرض) ، ومن قرأ كتب الغذاء - ككتاب الغذاء يصنع المعجزات الذي ألفه د. هاوزر - يجد كثيراً من الفوائد ترتبط بذلك ، ويرى أنّ بعض الأمور بيّنت في الروايات ، وقد ركّز المؤلّف على المجال الصحيّ وارتباطه بالغذاء ، وقدرة الإنسان في معالجة أمراضه بتثقيف نفسه ثقافة غذائيّة سليمة ، وقد وجدت عند قراءة الكتاب الكثير من المعارف التي جاءت في الروايات على نحو الإشارة أو الإيماء ، بل أنّ بعضها ذُكر صريحاً إلا أنّ علينا أن لا نقصر نظرنا على الجانب الصحيّ فحسب ، بل نهتمّ بالجوانب الأخرى التي ذكرناها .

## حرمة الغذاء وحليّته وفق الحكمة .

بيّنت الروايات التقاطع والعلاقة الصميّية بين مختلف جوانب شخصيّة الإنسان وارتباطها بالغذاء السليم الذي يتناوله ، وقد استفاضت في ذلك ، فطائفة منها تحدّثت عن سبب تحليل بعض الأغذية وتحريم بعضها الآخر ، ونشير هنا إلى أنّ الله تعالى إذا حرّم شيئاً أو أحلّه ، لا يحلّه عبثاً واعتباطاً ، بل لوجود مصالح فيه ، وعندما يحرمه لمفاسد تترتّب عليه أيضاً ، غير أنّ الإنسان لا يلتفت إلى جوانب بسيطة رغم تأثيرها الكبير ، لأنّه لا يستطيع أن يصل إلى أعماق وأسرار التحريم .

وقد أشار العلماء بأنّ كثيراً من المصالح والحكم وإن أدركت ، إلا أنّ للإحكام عللاً خفيّة لا تستطيع العقول إدراكها ، ولا يحيط بها علماً إلا الله تعالى ، ومن أطلعه تعالى على بعض غيبه ، وعلمه أسرار ملكوته لمصلحة الخلق .

## الدور التشريعي في بيان تأثيرات الغذاء.

لقد تناول الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام تأثير الجوانب التي أشار إليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾<sup>(١)</sup>، أي أن الله تعالى لا يحرم شيئاً إلا لانعكاسه سلبياً على شخصية الإنسان، أو على روحه وأخلاقه.

## أساس الحرمة والحليّة في الروايات.

أبانت طائفة من الروايات ما أشرنا إليه، غير أن بعضها بيّن ذلك بشيء من الإيضاح، منها ما ورد عن المفضل بن عمر، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي -جُعِلَتْ فِدَاكَ- لِمَ حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَمْرَ وَالْمَيْتَةَ وَالِدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَحَلَّ لَهُمْ سِوَاهُ، رَغْبَةً مِنْهُ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا زُهْدًا فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَ الْخُلُقَ وَعَلِمَ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ، فَأَحَلَّهُ لَهُمْ، وَأَبَاحَهُ تَفْضُلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَعَلِمَ مَا يَضُرُّهُمْ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ أَبَاحَهُ لِلْمُضْطَرِّ، وَأَحَلَّهُ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بَدَنُهُ إِلَّا بِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرَ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الْمَيْتَةُ، فَإِنَّهُ لَا يُدْمِيهَا أَحَدٌ إِلَّا ضَعْفَ بَدَنِهِ، وَنَحَلَ جِسْمَهُ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ، وَانْقَطَعَ نَسْلُهُ، وَلَا يَمُوتُ أَكِلَ الْمَيْتَةِ إِلَّا فَجَاءَ.

وَأَمَّا الدَّمُ، فَإِنَّهُ يُورِثُ أَكِلَهُ الْمَاءَ الْأَضْفَرَ، وَيُبْخِرُ الْفَمَ، وَيُنْتِنُ الرَّيْحَ، وَيُسِيءُ الْخُلُقَ، وَيُورِثُ الْكَلْبَ وَالْقَسْوَةَ فِي الْقَلْبِ، وَقَلَّةَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، حَتَّى لَا يُؤْمَنَ

(١) الأعراف ٧: ١٥٧.

أَنْ يُقْتَلَ وَلَدَهُ وَوَالِدِيهِ ، وَلَا يُؤْمَنَ عَلَى حَمِيمِهِ ، وَلَا يُؤْمَنَ عَلَى مَنْ يَصْحَبُهُ .

وَأَمَّا لَحْمَ الْخِنْزِيرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَسَخَ قَوْمًا فِي صُورِ شَتَّى شِبْهِ الْخِنْزِيرِ وَالْقَرْدِ وَالذَّبِّ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسُوحِ ، ثُمَّ نَهَى عَنْ أَكْلِهِ لِلْمَثَلَةِ لِكَيْلَا يَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهَا ، وَلَا يُسْتَخَفَّ بِعُقُوبَتِهَا .

وَأَمَّا الْخَمْرُ ، فَإِنَّهُ حَرَّمَهَا لِفِعْلِهَا وَلِفَسَادِهَا ، وَقَالَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدٍ وَثَنٍ ، تُورِثُهُ الْارْتِعَاشَ ، وَتَذْهَبُ بِنُورِهِ ، وَتَهْدِمُ مُرُوءَتَهُ ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْسُرَ عَلَى الْمَحَارِمِ ، مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ ، وَرُكُوبِ الزَّانَا ، فَلَا يُؤْمَنُ إِذَا سَكِرَ أَنْ يَثْبَ عَلَى حَرَمِهِ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ ، وَالْخَمْرُ لَا يَزْدَادُ شَارِبَهَا إِلَّا كُلَّ سُوءٍ<sup>(١)</sup> .

قوله عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَحَلَّ لَهُمْ سِوَاهُ ، رَغْبَةً مِنْهُ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا زُهْدًا فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ ،» : إِنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا يَبِيحُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ ، يَبِيحُهَا لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، وَعِنْدَمَا يَتَمَسَّكُ بِبَعْضِهَا يَتَمَسَّكُ بِهِ لِنَفَاسْتِهِ فَلَا يَبِيحُهَا لِلغَيْرِ ، وَلَا يَسْمَحُ بِالاقْتِرَابِ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ ثَمِينٌ فِي نَظَرِهِ ، وَالْإِمَامُ عليه السلام أَوْضَحَ أَنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ وَالْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ عَلَى نَسْقٍ مَا عِنْدَ النَّاسِ ، مِنْ إِبَاحَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَرِغِبُونَ فِيهَا أَوْ الَّتِي لَا قِيَمَةَ لَهَا ؛ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ ، فَلَا يَحْرَمُ شَيْئًا لِنَفَاسْتِهِ وَيَمْنَعُ الْخَلْقَ مِنَ الْاقْتِرَابِ مِنْهُ ، بَلِ الْأَمْرُ يَرْجِعُ إِلَى حِكْمٍ وَمَصَالِحٍ تَعُودُ لِلْخَلْقِ ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا عَنْ عَلِيِّ عليه السلام : «خَلَقْتِكَ لِتَرْبِحَ عَلَيَّ»<sup>(٢)</sup> : أَي أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَرْبِحُوا عَلَيْهِ ، وَلِيَسْتَفِيدُوا مِنْ كَرَمِهِ وَعَطَائِهِ لَا لِيَرْبِحَ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِاحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِمْ ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَشْرَعْ الْأَحْكَامَ إِلَّا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ ، وَالتَّحْرِيمِ أَيْضًا يَرْجِعُ إِلَى مَفَاسِدٍ تَعُودُ عَلَيْهِمْ .

(١) الكافي: ٦: ٢٤٢ و ٢٤٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣: ١٨٥ .

والإمام عليه السلام بين ذلك بقوله: «وَلَا زُهْدًا فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَعَلِمَ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ»: إذن فعلمه تعالى باحتياج الجسم السليم إلى تغذية تتوافر فيها عناصر مطلوبة السبب في الحل، فأحل ذلك لمصلحتهم «وَعَلِمَ مَا يَضُرُّهُمْ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ».

### حَلْيَةُ الْمَحْرَمِ لِلْمُضْطَرِّ.

وإذا اضطرَّ أحدٌ لحرامٍ أباحه الله تعالى له في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلا به، أي إذا لم يتناوله لأصيب بضرر أكبر، فإنَّ الله تعالى يدرأ الضرر ويبيح الحرام مؤقتاً لرفع الضرر الأكبر، ولعلَّ الحكمة القائلة: «إن العاقل ليس من يُشخِّص الخير من الشرِّ، ذلك أن كثيراً من الناس يستطيع ذلك، بل العاقل من يختار أقلَّ الضررين» توضح ذلك، والميتة وإن كانت ضارة إلا أنه لو لم تحلَّ له لكان ضرر الجوع والمرض أكبر، والله تعالى حكيم يُراعي المصلحة الأهمَّ، لئلا يصاب المكلف بالضرر الأعظم، قال عليه السلام: «وَأَحَلَّهُ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بَدَنُهُ إِلَّا بِهِ، فَأَمْرُهُ أَنْ يَسَالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرِ ذَلِكَ»: أي القليل.

### مفاسد تناول الميتة.

قوله عليه السلام: «أَمَّا الْمَيْتَةُ، فَإِنَّهُ لَا يُدْمِنُهَا أَحَدٌ إِلَّا ضَعَفَ بَدَنُهُ، وَنَحَلَ جِسْمَهُ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ، وَأَنْقَطَعَ نَسْلُهُ، وَلَا يَمُوتُ أَكْلُ الْمَيْتَةِ إِلَّا فَجْأَةً»: أي لا يديم الأكل منها إلا ويتضرر بها من نواحي:

### الأول: التأثيرات الصحيَّة على البدن.

قوله عليه السلام: «ضَعَفَ بَدَنُهُ»: من يأكل الميتة يصاب بوهن في قواه، ونحول في جسمه، وليعلم أن الأمور المذكورة ليست عللاً تامّة؛ بل على نحو المقتضي، فيمكن أن يتناول بعض الناس الميتة ولا يضعف لقيامه بأمرٍ صحيَّة تُعادل ما يذهب من جسمه بأكلها، ولو لم يتناولها لأصبح أفضل صحّةً.

**والخلاصة:** أن ما ذكره الإمام عليه السلام على نحو المقتضي وليس بعلة تامة ، فقد يتناول المرء الأشياء المتقدمة ولا يترتب عليها ضرر لوجود ما يصاد ذلك .

### الثاني : انقطاع النسل .

قوله عليه السلام : « وَأَنْقَطَعَ نَسْلُهُ » : أي أن للغذاء تأثير على استمرار النسل ودوامه ، وله تأثير على انقطاعه بضعف الإنسان ، لذا نلاحظ بعض الشعوب تقل بل تتلاشى لأسباب منها الغذاء السيئ .

### الثالث : موت الفجأة .

قوله عليه السلام : « وَلَا يَمُوتُ أَكْلُ الْمَيْتَةِ إِلَّا فَجْأَةً » : إن أكل الميتة قد يموت في منتصف عمره للتغذية غير السليمة .

### مفاسد شرب الدم .

ثم قال عليه السلام : « وَأَمَّا الدَّمُ ، فَإِنَّهُ يُورِثُ أَكْلَهُ الْمَاءَ الْأَضْفَرَ ، وَيُبْخِرُ الْفَمَ » .

### الأول : تنانة الرائحة .

قد يقال إن من يأكل الدم من أطيب الناس روائح بالعطورات ، إلا أننا نتحدث عن الحالة الطبيعية بغض النظر عما يضعه الإنسان من عطور ؛ ذلك أن العطور تزيل روائح العرق بالعارض ، وكلامنا عن أصل رائحة الجسم .

### الثاني : سوء الخلق .

قوله عليه السلام : « وَيُسِيءُ الْخُلُقَ » : من أثار أكل الدم سوء الخلق على نحو المقتضي ، أي يمكن أن يأكل بعض الناس الدم وله أخلاق جيدة لقيامه بأعمال تزيل أثره ، ذلك أن التأثير على نحو المقتضي .

### الثالث : قساوة القلب .

قوله عليه السلام : « وَيُورِثُ الْكَلْبَ وَالْقَسْوَةَ فِي الْقَلْبِ » : أي يورث اضطراب الأعصاب

والقسوة في القلب ، ومن آثارها أن يقتل الإنسان أخاه لقسوته ، وهي داء سيئ ، فرغم التقدم العلمي والتقني إلا أنها ظاهرة متفشية يترتب عليها القتل ، والتعدي على حقوق الآخرين ، والإمام عليه السلام يشير إلى هذه الأمراض غير المرئية التي لا يستطيع أن يكتشفها الإنسان ، غير أن آثارها - كالتوحش من أجل السيطرة على أموال الناس ، والحصول على فوائد على خلاف القانون - بادية .

وفي رواية أخرى للإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل : لِمَ حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى الدَّمِ الْمَسْفُوحَ قَالَ عليه السلام : «لِأَنَّهُ يُورِثُ الْقِسَاوَةَ ، وَيَسْلُبُ الْفُؤَادَ الرَّحْمَةَ ، وَيَعْفِنُ الْبَدْنَ ، وَيَغَيِّرُ اللَّوْنَ» (١) .

ونلاحظ في النص تأكيد الإمام عليه السلام على قساوة القلب كأثر لأكل الدم المؤدي إلى التجرد عن الإنسانية ، والابتعاد عن الرحمة ، فلا شفقة لدى من يأكله ، بل يتحول إلى حيوان مفترس ، لا يتعامل بقانون ، والحياة معه أشبه بغابة لخوف الناس منه ، وما أعظم هذه الإشكالية من التغذية غير السليمة ، بل أن جزءاً من مشاكلنا منها ، فهي لا تراعى القواعد الشرعية فيها وتترتب عليها قساوة القلب .

قوله عليه السلام : « وَقِلَّةُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ » : يسترسل الإمام عليه السلام في شرح تأثير قساوة القلب ، وأنه يذهب الرأفة والرحمة ، فتزول الإنسانية ويقضي على المنجزات ؛ إذ أن من أهم صفات الإنسان الرحمة ، بل أن تقدم الإنسان يرتبط بها ، فالناس يرحم بعضهم بعضاً ، يرحم الأب أبنائه ، والزوج زوجته ، والكبير الصغير ، إذا صدر منه غلط فلا يعاقبه لغلطه ، بل يحسن إليه رحمة به ، والرحمة عطاء دون استحقاق للطرف المقابل ، وإذا زالت الرحمة والرأفة زال الأمن والأمان ، فلا يؤمن أن يقتل الولد والده وولده ، ولا يؤمن على حميمه وأقرب المقربين إليه ، فقد يقتله ، وكذلك لا يؤمن على من يصحبه بصحبة مؤقتة فيمكن أن يعتدي عليه ، ومن قرأ أخبار

(١) وسائل الشيعة : ٢٤ : ١٠٣ ، الباب ١ من أبواب الأطعمة المحرمة ، الحديث ٥ .

الجرائم يندهل لذلك ، والسبب التأثير السيئ للتغذية الذي لا يرتبط بأسس إيمانية قائمة على مبادئ الأنبياء والرسل .

### آثار تناول لحم الخنزير .

قوله ﷺ : « وَأَمَّا لَحْمُ الْخِنْزِيرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَسَخَ قَوْمًا فِي صُورِ شَتَّى شِبْهِ الْخِنْزِيرِ وَالْقِرْدِ وَالذُّبِّ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسُوخِ ، ثُمَّ نَهَى عَنْ أَكْلِهِ لِلْمَثَلَةِ لِكَيْلَا يَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهَا » : أي أن الله تعالى مسخ بعض الناس على شكل بعض الحيوانات ، وحرّم الحيوان الذي تحقّق المسخ على شكله ، أمّا ذات الممسوخ فإنّه لا يبقى أكثر من ثلاثة أيّام .

### الهدف من خلق الحيوان .

خلق الله تعالى بعض الحيوانات وجعلها أقلّ رتبة من بعضها الآخر ، ورغم وجود مضارّ لبعضها إلا أن لها منافع كبيرة للناس ، والإمام ﷺ يشير إلى بعض منافعها ، وأن الله تعالى لم يخلقها عبثاً ، إلا أنّه لا يجوز أن يتناولها الإنسان أكلاً لأنّها لم تخلق لتؤكل .

### من أسرار خلق الحيوانات .

نعم ، لها منافع أخرى غير الأكل ، والله تعالى خلقها لأجل تلك المنافع ، أمّا أكلها ففيه ضرر كبير ، فالقرد والخنزير أشار القرآن الكريم إلى مسخ قوم من بني إسرائيل إلى شكلهما ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (١) ، ونهى الله تعالى عن أكل لحمهما ليتذكّر الإنسان العقوبة الإلهية فيمن مسخوا على شكلهما ، ولتكون عبرة له لئلا يعصي الله تعالى

(١) المائدة ٥ : ٦٠ .



فيتحوّل من موجود مكرّم عنده تعالى إلى موجود أقلّ رتبة كهذه الحيوانات التي مسخت ، والإمام عليه السلام بيّن هذا المعنى في النهي عن أكل الحيوان الذي مسخ على شكله لئلاّ ينتفع به الناس ويستخفّوا بالعقوبة .

### آثار شرب الخمر .

قوله عليه السلام : « مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدٍ وَثَنٍ ، تُورِثُهُ الْارْتِعَاشُ ، وَتَذْهَبُ بُنُورُهُ ، وَتَهْدِمُ مُرُوءَتَهُ ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْسُرَ عَلَى الْمَحَارِمِ ، مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ ، وَرُكُوبِ الزِّنَا ، فَلَا يُؤْمِنُ إِذَا سَكِرَ أَنْ يَثْبَ عَلَى حَرَمِهِ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ ، وَالْخَمْرُ لَا يَزِدَادُ شَارِبُهَا إِلَّا كُلَّ سُوءٍ » : هناك أضرار تترتب على شرب الخمر ، منها : أنها تورث الارتعاش ، ومنها : أنها تذهب بنور شاربها ، ومنها : أنها تهدم مروءته ، ومنها : أنها تحمله أن يجسر على المحارم - يرتكب المحرّمات - من سفك الدماء ، وركوب الزنا ، « فَلَا يُؤْمِنُ إِذَا سَكِرَ أَنْ يَثْبَ عَلَى حَرَمِهِ » كأمه وأخته ، ويعتدي على أقرب الناس إليه بالفاحشة .

ثمّ قال عليه السلام : « وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ » : أي يعتدي لأنّه لا يعقل ، فإذا شرب الخمر غطّى على نور عقله .

وختم عليه السلام بقوله : « وَالْخَمْرُ لَا يَزِدَادُ شَارِبُهَا إِلَّا كُلَّ سُوءٍ » : أي أنّ شارب الخمر يبتعد عن الخير ويقترب من السوء .

### تأثير البسملة في الذبيحة .

قال السائل فالميتة لم حرّمها ؟ قال الإمام عليه السلام : « فَرَقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ »<sup>(١)</sup> : يشير الإمام عليه السلام إلى حكم خفيّة ، منها تأثير ذكر اسم الله على الذبيحة عند ذبحها ، وأنها إذا لم يذكر اسم الله عليها لا تحلّ ، وفي بعض الروايات أنّ ذبيحة

(١) وسائل الشيعة : ٢٤ : ١٠٣ ، الباب ١ من أبواب الأطعمة المحرّمة ، الحديث ٥ .

الكتابي لا تحلّ لأنه لا يذكر اسم الله تعالى عليها؛ ذلك أنّ بعض النصارى يذكرون عيسى عليه السلام ويعتقدون أنه الله تعالى، ولذا تحرّم ذبائحهم، أمّا إذا ذكر الكتابي اسم الله تعالى حلّت ذبيحته عند بعض الفقهاء، وقد جاءت روايات بذلك، غير أنّ المسألة خلافية، وأكثر الفقهاء لا يجيز ذبحه.

إذن هناك أهميّة لذكر الله تعالى على الذبيحة، وتأثيره كبير، وتترتب عليه فوائد غير مرئية، وقد ذكرت الأبحاث الحديثة بعض الفوائد إلّا أنّ هناك عدلاً خفية لا تدرك كشف الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام عن بعض آثارها.

## القسم الثالث

### الغذاء ومستقبل الإنسان

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

بيّن تأثير الطعام على شخصيّة الإنسان في نواح متعدّدة، منها استمرار نسله، والجودة الفائقة له بتوافر خصائص في سلالته، ولعلّ ما جاء في انعقاد نطفة الزهراء عليها السلام يوضّح هذه الخصيصة والحيثيّة من ناحيتين:

### الأولى: طهارة الطعام.

لقد أكّدت الروايات أنّ الطعام الذي انعقدت منه نطفة الزهراء عليها السلام هو واحد من ثلاثة أنواع: إمّا تفاحة خاصّة جاء بها جبريل عليه السلام من الجنة، أو عذق رطب، أو عنقود عنب من الجنة، والشاهد هو أنّ الصديقة الزهراء عليها السلام - لكونها الشخصيّة

(١) عبس ٨٠: ٢٤.

المثلى ، وهمزة الوصل بين النبوة والإمامة - كانت نطفتها من عالم الطهر والقداسة المطلقة الذي أبانه الحق في قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾<sup>(١)</sup> ، أي أنّ من يدخل الجنة ويشرب منها يتحوّل إلى طاهر مطهر تزول عنه الأدران والأحقاد والأكدار ، والروايات تشير إلى هذا المعنى المقدّس الذي هو قمة الطهارة ، لتلفت انتباه الخلق إلى أهميّة انعقاد نطفة الجنين من طعام طاهر .

### الثانية : تأثير الغذاء على الذكاء والجمال .

إنّ تناول بعض الأطعمة التي يتكوّن منها الجنين تؤثر على ذكائه وجماله وحلمه ورزاقته ، كالسفرجل والتفّاح والتمر والرطب ، ولعلّ الروايات التي أشارت إلى الأطعمة التي انعقدت منها نطفة الصديقة الزهراء عليها السلام تبين خصائص تلك الأطعمة ، وتأثيرها في الجنين ، فالتفّاح له تأثير في الجانب الجماليّ ، والعنب في الذكاء والفطنة ، والرطب في الحلم والرزاقنة ، والروايات إيماءات وإشارات إلى ناحيتي الطهر والقداسة والصفات التي يكون عليها كذكائه وجماله وحلمه .

### تأثير الغذاء على مستقبل الإنسان .

للطعام تأثير في جيل المستقبل ، وقد ألمحت الروايات إلى أهميّة تناوله بكيفية خاصّة بأن يُبدئ ببسم الله ، وأن يختم بحمده تعالى ، وأن يدعو الله تعالى أثناء تناوله وبعد انتهائه من الطعام .

### التأثير النوراني للغذاء .

لقد أشارت الروايات إلى بعض التأثيرات غير المرئية على الطعام والشراب إذا أكل أو شرب بكيفية خاصّة ، كما أوضح ذلك من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، فالنبي صلى الله عليه وآله

(١) الإنسان ٧٦ : ٢١ .

«إِذَا شَرِبَ بَدَأَ فَسَمَّى وَحَسَا حُسُوَّةً وَحُسُوتَيْنِ ، ثُمَّ يَقَطَعُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْمِي ، ثُمَّ يَزِيدُ فِي الثَّلَاثَةِ ، ثُمَّ يَقَطَعُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ ، وَكَانَ لَهُ فِي شُرْبِهِ ثَلَاثُ تَسْمِيَّاتٍ وَثَلَاثُ تَحْمِيدَاتٍ ، وَيَمَصُّ الْمَاءَ مَصًّا وَلَا يَعْبُهُ عَبًّا» (١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ الْمَاءَ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَطَعَهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ شَرِبَ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَطَعَهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ شَرِبَ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَطَعَهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ، سَبَّحَ ذَلِكَ الْمَاءَ لَهُ مَا دَامَ فِي بَطْنِهِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ» (٢).

إذن هناك تأثير نوراني غير مدرك ، والطعام يمكن أن يكون طاهراً لكنّه لا يذكر اسم الله تعالى عليه ، ويمكن أن يذكر اسم الله تعالى عليه لكنّه لا يحمده عند الانتهاء منه ؛ إذ أنّ درجات الكمال متعدّدة ، ويمكن أيضاً أن يحمده الله تعالى ولكن الأكل لا يدعو أثناء تناوله الطعام ، والرواية تشير إلى الحيثيات الثلاث: البسملة وحمد الله تعالى والدعاء أثناء الطعام .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال: «إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا أَرَادَ يَطْعَمَ طَعَامًا ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصِيرَ اللَّقْمَةُ إِلَيْهِ فِيهِ» (٣).

وعن سماعة بن مهران ، قال: «كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: يَا سَمَاعَةَ ، أَكَلًا وَحَمْدًا ، لَا أَكَلًا وَصَمْتًا» (٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ حَفَّتْهَا أَرْبَعَةٌ

(١) بحار الأنوار: ١٦: ٢٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٣: ٤٦٩ ، الحديث ٣٨ ، نقلاً عن المحاسن: ٢: ٥٧٨ ، الحديث ٤٥.

(٣) المصدر المتقدم: ٣٥٠ ، الحديث ٨.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٤: ٣٥٠ ، الباب ٥٤ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ٨.

أَلْفِ مَلَكٍ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : بِسْمِ اللَّهِ ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي طَعَامِكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ لِلشَّيْطَانِ : أَخْرِجْ يَا فَاسِقُ ، لَا سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا فَرَّغُوا فَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : قَوْمٌ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَدَّوْا شُكْرَ رَبِّهِمْ ، وَإِذَا لَمْ يُسَمُّوا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلشَّيْطَانِ : ادْنُ يَا فَاسِقُ فَكُلْ مَعَهُمْ ، فَإِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ وَلَمْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : قَوْمٌ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَانْسُوا رَبَّهُمْ»<sup>(١)</sup> .

إنَّ الخصائص المعنويَّة لها تأثير على الروح والجسد ، للارتباط الوثيق بين الجانب المرئي واللامرئي - المعنوي - في الشخصية ، والطعام ينعكس تأثيره على الناحيتين ، وكذلك ذكر اسم الله تعالى عليه ، والبسملة والحمدلة لهما تأثير على الجنبتين الماديَّة والمعنويَّة ، وبعض من يتناول الطعام يعيش ارتياحاً وحيويَّة ونشاطاً بسبب الكمِّ والكيف لأنَّه تناول الطعام على وفق آداب أشارت إليها الروايات .

### شروط حصول تأثير الغذاء :

#### الأول : التائي أثناء الأكل .

إنَّ تناول الطعام بتأنٍّ وعدم أكله مسرعاً ، بل يمكث على المائدة ، والاعتدال في ذلك ، أي أن لا يبقى الساعات الطوال ، غير أنَّه يمكث عند تناوله الطعام ، له أهميَّة خاصَّة أشارت الروايات إليها ، قال الإمام عليّ عليه السلام : « يَا كُمَّيلُ ، إِذَا أَنْتَ أَكَلْتَ فَطَوَّلْ أَكْلَكَ يَسْتَوْفِ مَنْ مَعَكَ ، وَتُرْزَقْ مِنْهُ غَيْرُكَ .

يَا كُمَّيلُ ، إِذَا اسْتَوَيْتَ عَلَى طَعَامِكَ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَكَ ، وَارْزُقْ بِذَلِكَ صَوْتَكَ لِيَحْمَدَهُ سِوَاكَ ، فَيَعْظُمَ بِذَلِكَ أَجْرُكَ .

يَا كُمَّيلُ ، لَا تُوقِرْ مَعِدَتَكَ طَعَاماً ، وَدَعْ فِيهَا لِلْمَاءِ مَوْضِعاً ، وَلِلرَّيْحِ مَجَالاً»<sup>(٢)</sup> .

(١) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٣٥٢ ، الباب ٥٧ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ١ .

(٢) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٢٦٧ ، الباب ١٤ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ٤ .

وكذلك إجادة المضغ ، فلا يأكل الطعام بلعاً بل يمضغه جيداً ، مع الدعاء والحمد ، وقد أشارت الروايات إلى أن المُكث على الطعام لا يكون من العمر ، ذلك أن الله تعالى يطيل العمر بتناول الطعام بهذه الكيفية ، ولذلك تأثير ينتقل إلى نسله ؛ إذ أن عمره الطويل تنتقل خصائصه إلى النسل ، وعلى الإنسان أن يلتفت إلى هذه الحيثيات ليدرك تأثيرها على نسله .

وقد رأينا آثارها في الحديث مع بعض المؤمنين الذين طبّقوا التعليمات ، فوجدوا أن أطفالهم اتّصفوا بخصائص ذكائية لتناولهم بعض الأطعمة التي تسهم في ذكاء المولود كالعنب والتمر والرطب ، قال أحد الآباء : إن زوجته عندما تناولت أطعمة لها خصائص أثّر ذلك على الجنين فأصبح يتمتع بذكاء ملحوظ ، وقد أكّدت الأبحاث العلميّة الحديثة ذلك ، وأوضحت تأثير الأطعمة على الجنين ، لذا ينصح الأطباء الأمّهات الحوامل بتناول بعض الفيتامينات ، والأطعمة الخاصّة .

### الثاني : الذكر أثناء تناول الغذاء .

إن الدعاء والتسبيح لهما الأثر الكبير إذا كان الطعام حلالاً وأكل على طهارة ، وذكر الله تعالى عليه من الأب والأمّ سوف ينعكس على الطفل ، ولعلّ ما ذكر في حياة الشيخ الأنصاريّ رحمته الله عندما أخبرت أمّه بوصوله إلى مقام المرجعية ، فردّت أنّ ذلك أمر طبيعيّ لكونها لم ترضعه إلا على طهارة ، فكان لطهارتها وذكرها الله تعالى أبان فترة الرضاعة التأثير الكبير على شخصيّة الشيخ رحمته الله .

وهناك قصص أخرى فيها شواهد تؤكّد أنّ ما وصل إليه الأفاضل والعباقرة جاء نتيجة لقدسيّة وطهارة الآباء والأمّهات ، وأنّ الذكاء والسجيا الحميدة لم تأت من فراغ ، بل كان للأب والدور الرائد والمؤثر في شخصيّة الابن ، ولا يسند ذلك إلى الحظّ والصدفة . نعم ، يمنح الله تعالى نعمه لعباده إلا أنّ الأخذ بالأسباب له التأثير الكبير .

### الثالث: تأثير الصلاة على محمد وآله.

إن من الأذكار الهامة بالغة التأثير الإكثار من الصلاة على محمد وآله ، بالإضافة إلى التسبيح والتهليل ، جاء في إحدى الروايات أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يكثر من الحمد والدعاء والصلاة على محمد وآله ؛ ذلك أنّ ذكر الصلاة على محمد وآله يجعل الولد معجوناً بماء الولاية لأهل البيت عليهم السلام ، ولها تأثير في إزالة الشوائب والكدورات التي تبعد المرء عن الخطّ المستقيم لأهل البيت عليهم السلام .

### الرابع: الختم بالحمد لله .

بيّنت الروايات أنّ على الإنسان أن يحمد الله تعالى عند الانتهاء من الطعام ، قال أبو عبد الله عليه السلام : « اذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَى الطَّعَامِ فَإِذَا فَرَغْتَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ »<sup>(١)</sup> .

وفي رواية أخرى عن عبيد بن زرارة ، قال : « أَكَلْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام طَعَاماً ، فَمَا أَحْصِي كَمْ مَرَّةً قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي أَشْتَهِيهِ »<sup>(٢)</sup> .

وعلى المؤمن أن يحافظ على البدء بالتسمية والختم بالتحميد ، وإذا نسي ذكر الله تعالى عند البدء على الطعام ، فباستطاعته أن يتدارك ذلك ، ليكون الطعام كالمبدوء بالبسملة فيقول : بسم الله على أوله وآخره ، فيكون كمن ذكر اسم الله تعالى عليه عند البدء .

عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث التسمية على الطعام - قال : « قلت : فَإِنْ نَسِيتُ أَنْ أُسَمِّيَ ؟ قَالَ : تَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ عَلَى أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ »<sup>(٣)</sup> .

(١) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٣٥٤ ، الباب ٥٧ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ٥ .

(٢) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٣٥٩ ، الباب ٥٩ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ٧ .

(٣) وسائل الشيعة : ٢٤ : ٣٥٦ ، الباب ٥٨ من أبواب آداب المائدة ، الحديث ١ .

**والخلاصة:** أنّ الطعام السليم لا بدّ أن يراعى فيه حيثيات متعدّدة:

**الأولى:** طهارته وحليّته، بأن يأتي من أسباب مشروعة، ولذا رأينا قدسيّة خاصّة للطعام الذي انعقدت منه نطفة السيّدة الزهراء عليها السلام؛ إذ جاء به الملائكة من الجنّة ليكون في نهاية القداسة لتصبح الزهراء عليها السلام همزة الوصل بين النبوة والإمامة؛ إذ هي محور حديث الكساء - هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها -.

**الثانية:** تناول الطعام والشراب بكيفيّة خاصّة.

**الثالثة:** ذكر الله تعالى بالتسبيح والتهليل عند بدء الطعام، والحمد والثناء والدعاء أثناء التناول.

## القسم الرابع

### تطبيقات غذائية

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

بيننا أهميّة الطعام وتأثيره الذي ينعكس إيجابياً تارة، وسلبياً تارة أخرى، على شخصيّة الإنسان في نواح متعدّدة، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام تطبيقات عمليّة لتأثير الطعام، لا بدّ أن ينظر إليها بعمق.

### القرآن والغذاء.

تلك التطبيقات هي مضامين لما جاء في القرآن الكريم، أي أنّ الروايات تطبيقات للآيات الكريمة؛ إذ أنّ القرآن الكريم تناول بعض الأطعمة التي لها أهميّة

(١) عبس ٨٠: ٢٤.



خاصة ، قال تعالى : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعِنَبًا وَقَضْبًا \* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا \* وَحَدَائِقَ غُلْبًا \* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢) ، أي أن الأنعام لها فوائد منها الدفء ومنها الأكل ، ولعل الأكل من أهم فوائدها ، ومن الفوائد أيضاً شرب ألبانها ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٣) .

ومن الأطعمة ذات الفوائد أكلاً وتدواياً العسل ، قال تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (٤) .

تبيّن الآيات الأنفة أنواع الأكل والشراب التي ألمح القرآن إلى أهميّة تناول منها ، لوجود منافع للناس فيها .

### تأثيرات تناول اللحم .

للحم تأثير إيجابي تارة وسلبي أخرى ، ورغم أنه من الأغذية الرئيسة غير أن الروايات أعطت تطبيقات لأكله ، منها ما ورد عن النبي ﷺ : «عَلَيْكُمْ بِاللَّحْمِ ، فَإِنَّ اللَّحْمَ يُنْمِي اللَّحْمَ ، وَمَنْ مَضَى بِهِ أَرْبَعُونَ صَبَاحًا لَمْ يَأْكُلِ اللَّحْمَ سَاءَ خُلُقُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ فَأَطْعَمُوهُ اللَّحْمَ» (٥) .

(١) عبس ٨٠ : ٢٧ - ٣٢ .

(٢) النحل ١٦ : ٥ .

(٣) النحل ١٦ : ٦٦ .

(٤) النحل ١٦ : ٦٨ .

(٥) وسائل الشيعة : ٢٥ : ٤١ ، الباب ١٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ، الحديث ٦ . المحاسن : ٢ :

٤٦٥ ، الحديث ٤٣٤ .

وفي كلامه ﷺ توجيهات ثلاثة:؟؟؟ أين الثالث

### الأول: تأثير أكل اللحم على الخلق.

حضّ النبي ﷺ على أكل اللحم، وأنه لا بدّ أن يكون جزءاً من الغذاء؛ لأنّ الطعام إذا خلا منه لمدة أربعين يوماً فإنّه يوجب سوء الخلق، وكذلك بيّن أنّ من ساء خلقه فدواءه تناول اللحم، قال ﷺ: «وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ فَأَطْعِمُوهُ اللَّحْمَ»، غير أنّ بعض الديانات حرّمت أكله، واكتفت بالأعشاب والبقولات.

وقد يقال إنّ أخلاقهم جيّدة وليس في أخلاقهم سوء، فلا يتعاملون بغلظة أو شدة، إلّا أنّنا نرى أنّ سوء الخلق لا يختصّ بالشدة والقسوة، بل يعمّ عدم الاعتدال في الشخصية، والروايات بيّنت أنّ من ترك اللحم لن يكون معتدلاً في شخصيته وسطاً بين الإفراط والتفريط، فمن ظلم ولم يدافع عن حقّه مع كون الموقف يتطلّب الدفاع، فإنّ ذلك خرق للشخصية، أي أنّها ليس لديها توازن في الأخلاق، وعليه فسوء الخلق لا يراد به الإفراط، بل يشمل التفريط، وحسن الخلق يراد به الاعتدال والتوازن بين الجنبتين.

### الثاني: تأثير أكل اللحم على الضعف.

من التطبيقات أيضاً معالجة الوهن وضعف الجسد لتعود للإنسان حيويّته ونشاطه، وقد عالج الأئمة عليهم السلام ذلك باللحم بأن يتناول بكيفية خاصّة، قال الإمام عليّ عليه السلام: «إِذَا ضَعُفَ الْمُسْلِمُ فَلْيَأْكُلِ اللَّحْمَ وَاللَّبَنَ - الحليب -، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقُوَّةَ فِيهِمَا»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى: أن اللحم الذي يعطي القوّة، وتركه أربعين يوماً يوجب سوء الخلق لا ينبغي أن يتناول بكثرة، لأنّ تناوله بكثرة له أضرار تعود على أكله.

(١) وسائل الشيعة: ٢٥: ٢٩، الباب ١٠ من أبواب الأطعمة المباحة، الحديث ٤٣. النخصال: ٢:

## التناول المثاليّ للحم .

حدّدت بعض الروايات الاعتدال في تناول اللحم بأن يتناول عشر مرّات في الشهر، أي كلّ ثلاثة أيّام مرّة، ليستفاد منه استفادة مثلى، قال الإمام الصادق عليه السلام: «فِي كُلِّ ثَلَاثَةٍ، فَيَكُونُ فِي الشَّهْرِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»<sup>(١)</sup>. هذا تطبيق عمليّ لكيفيّة الاستفادة المثلى من اللحم، أي أنّ اللحم مفيد غير أنّ له استفادة مثلى كسائر الأشياء، تترتب عليها فوائد، ولها فوائد مثلى إذا روعيت شرائط خاصّة بها، ويمكن للإنسان أن يتناول اللحم ليل نهار، صباح مساء، غير أنّه لن يستفيد الاستفادة المثلى منه، وهي العيش بتوازن في الجنبتين الماديّة والمعنويّة.

## تناول الخضار.

ومن التطبيقات التي أشار إليها الأئمّة عليهم السلام، بل أفصحوا عنها موضحين لها أهميّة تناول الخضار على الطعام أثناء الغذاء، وما يطلق عليه في عصرنا الراهن بالسّلطات؛ لأنّ للخضار أهميّة خاصّة - السلطات الخضراء - وقد أولى الأئمّة عليهم السلام عناية بذلك، وجعلوا من آداب تناول الغذاء أكل الخضار معه، وحضوا كثيراً على ذلك حتّى أنّ الإمام الهادي عليه السلام امتنع من تناول الطعام دون أن يكون على المائدة خضار، وقال لغلامه: ألا تعلم أنني لا آكل مائدة ليس فيها خضراً أي خضار، يريد عليه السلام أن يبين الأهميّة الخاصة لذلك إذ أنّ أنواعاً من المعادن والفيتامينات موجودة في الخضرة، وإذا لم يتناول الإنسان ذلك أصبحت تغذيته ناقصة، ليس فيها ما يحتاجه الجسم، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَلِيَّةٌ، وَحَلِيَّةُ الْخَوَانِ الْبَقْلُ»<sup>(٢)</sup>: أي لكلّ شيء زينة، وزينة السفرة والمائدة البقل، ويراد به الحشائش التي توضع

(١) وسائل الشيعة: ٢١: ٥١٣، الباب ٢ من أبواب النفقات، الحديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٣: ١٩٩، الحديث ١، نقلاً عن أمالي الشيخ: ٣٠٤، الحديث ٦٠٦.

على المائدة - سلطة الخضار - وقد طبّق الإمام الهادي عليه السلام ذلك .

عن موفق المدني ، عن أبيه ، قال : « بَعَثَ إِلَيَّ الْمَاضِي عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَيِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَوْمًا وَحَبَسَنِي لِلْغَدَاءِ ، فَلَمَّا جَاءُوا بِالْمَائِدَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا بَقْلٌ ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : لِلْغُلَامِ : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي لَا أَكُلُ عَلَى مَائِدَةٍ لَيْسَ فِيهَا خَضِرٌ ؟ فَأَتَنِي بِالْخَضِرِ . قَالَ : فَذَهَبَ الْغُلَامُ وَجَاءَ بِالْبَقْلِ فَأَلْقَاهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ، فَمَدَّ يَدَهُ ثُمَّ أَكَلَ » (١) يلفت الإمام عليه السلام انتباه من يتناول الطعام إلى أهميّة وجود ما يحتاجه الجسم من عناصر فيه ، وإذا لم تتوافر فينبغي أن يُمسك المرء ويمتنع عن تناول الطعام كما فعل الإمام عليه السلام ، ولمّا أتى غلامه بالخضار بدأ بالتناول ، وبين عليه السلام أنه لا يتناول الطعام إلاّ ومعه خضار .

### تناول الفاكهة .

كما أنّ الأئمة عليهم السلام بيّنوا أهميّة تناول الفواكه ، وتوفيرها للأسرة خصوصاً الفواكه العامّة ، أي الرئيسة كالتفّاح والبرتقال ؛ إذ أنّ هذه الفواكه لها أهميّة في إعطاء الجسم النشاط والحيويّة لتوافر عناصر غذائيّة فيها ، بل يترتب عليها إزالة أمراض باييجاد تعادل في الجسم ، وقد سمعت من بعض الإخوة معلومة راقنتني ، قال : إنّهُ مصاب بالنقرس ، وفي ذات يوم من الأيام قدّم له شخص مائدة فيها اللحم ، فامتنع عن أكله ، فسأله صاحبه عن ذلك فأجاب : أنّ عنده نقرساً ، فردّ عليه صاحبه أنّ ذلك يمكن علاجه بتناول التفّاح بكميّة خاصّة فترة زمنيّة فيقضي على النقرس ، فطبّق ذلك فوجد الفائدة .

### التوازن بين أنواع الأغذية .

إنّ تناول بعض الأغذية مع بعضها الآخر يحدث توازناً يُشفي المرء من بعض

(١) بحار الأنوار : ٦٣ : ١٩٩ ، نقلًا عن المحاسن : ٥٠٧ ، الحديث ٦٥١ .

الأمراض التي يصاب بها، كتشققات الشفتين لنقص بعض الفيتامينات، أو الوهن والإعياء لعدم وجود النشاط، وعدم الاستطاعة للقيام بأعمال مستمرة لنقص التغذية. إذن هناك أهمية لتناول الفواكه للمرء ولعِياله وذلك بأن يوفرها للعيال لتوافرها على عناصر غذائية يترتب عليها توازن بين بعض الأغذية وبعضها الآخر ويدراً بها مضار بعض الأغذية؛ ذلك أنّ تناول بعض الأطعمة وحده داء، وإذا اجتمع مع غيره أصبح دواءً، كما في الجبن والجوز، وكذلك التفاح واللحم.

### توفير الغذاء للأهل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «وَلَا تَكُونُ فَاكِهَةً عَامَّةً إِلَّا أَطْعَمَ عِيَالَهُ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>: أي ينبغي لرب الأسرة أن يوفر لأهله وعِياله الفواكه العامة، وذلك من التوسعة على العيال المحبوبة لله تعالى.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «إِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى عِيَالِهِ»<sup>(٢)</sup>. الإسباغ هو التوسعة على العيال، وعكسه التقثير بتقليل الكمية التي يحتاجونها. إنّ الإسباغ أن تجد الأسرة الأطعمة ذات العناصر الغذائية التي لها انعكاس إيجابي موفورة بين يديها يستطيع أن يتناولها الأطفال بنحو طبيعي.

### وعى الأسرة بأهمية الغذاء.

نلمح هنا إلى شيء، هو أنّ البيت قد يتوافر فيه ما لذ وطاب من الأطعمة والفواكه غير أنّ بعض الأطفال لا يتناول ذلك، وهنا لابدّ من إغاثة انتباه الطفل إلى أهمية ذلك وتأثيره على صحته وشخصيته ومستقبله.

(١) الكافي: ٥: ٥١٢، الحديث ٥.

(٢) الكافي: ٨: ٦٩، الحديث ٢٤.

## أهميّة وجبة الفطور والعشاء .

لقد ألفت النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ الانتباه إلى ضرورة تناول بعض الوجبات؛ إذ قد يبقى المرء ممتنعاً عن طعام العشاء فترة زمنية طويلة ظناً منه أن ذلك مفيد لتخفيض وزنه، إلا أن النبي ﷺ والأئمة ﷺ أعطوا تطبيقاً عملياً يهّمنا جميعاً رغم أن كثيراً من الناس لا يلتفت إليه، والتطبيق تفسير لما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>(١)</sup>، أي أن أهل الجنة لهم وجبتان رئيسيتان هما الفطور والعشاء، وفي الروايات يراد بطعام الغداء الفطور، وله أهميّة خاصّة .

### مضارّ ترك تناول العشاء :

لطعام العشاء أهميّة تضاهي طعام الفطور أو تزيد، خصوصاً لمن قارب الأربعين أو اجتازها، فإذا ترك المرء العشاء ترتّب على ذلك أضرار كثيرة:

#### الأول: الشيخوخة المبكرة.

ترك العشاء يوجب الهرم، أي الشيخوخة المبكرة، ويراد به هنا أن يترك المرء كلّ أنماط العشاء فلا يأكل شيئاً، أمّا إذا تعشّى بفواكهه وألبان، وترك أكل الوجبات الثقيلة فلا يقال إنّه ترك العشاء، والمهم أن وجبة العشاء لا ينبغي أن تترك بنحو كليّ، فلا يأكل المرء شيئاً، فإنّ الضرر الأوّل هو الشيخوخة المبكرة والهرم.

#### الثاني: التعرّض للأمراض.

ويتّضح بالتأمّل فيما جاء في الروايات، لقد عبّرت بتعبيرات تحتاج إلى تحليل

(١) مريم ١٩: ٦٢.

لعلنا لا نصل إلى مغزاه ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « مَنْ تَرَكَ الْعِشَاءَ لَيْلَةً مَاتَ عِرْقٌ فِي جَسَدِهِ لَا يَحْيَا أَبَدًا »<sup>(١)</sup> ، وهو إشارة إلى التأثير الوبيل والسيئ لترك العشاء ، بإيجاب الهرم - الشيخوخة المبكرة - الذي له انعكاس سلبي آخر ، وهو ابتلاء الجسد بأمراض ، وموت العرق تعبير كنائي عن ذلك .

### تخفيف الوزن والتوازن الغذائي .

تخوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الشباب أن يتركوا العشاء ، لئلا يبتلون بأمراض كما يفعل من يعمل رجيماً فيترك العشاء ظناً أن ذلك في مصلحته . نعم ، قد يخف وزنه إلا أنه يبتلى بأمراض ، وعليه أن يخفف وزنه باعتدال وتدرج ، لئلا يكون ذلك على حساب صحته .

### فوائد العسل .

وردت في العسل روايات كثيرة ، وعلى الإنسان أن يجعله غذاءً وليس دواءً فحسب بأن يستخدمه إذا أصيب بوعكة صحيّة فقط ، بل عليه أن يلقه وأن يأخذه جرعات كغذاء لجسده ، قال تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أَرَادَ الْحِفْظَ فَلْيَأْكُلِ الْعَسْلَ » .

وقال : « نِعْمَ الشَّرَابُ الْعَسْلُ ، يَرَعَى الْقَلْبَ ، وَيُذْهِبُ بَرْدَ الصَّدْرِ »<sup>(٣)</sup> .

### أثر الغذاء على العمر .

في التفاح شفاء للناس أيضاً ، غير أن العسل أعظم من التفاح ومن غيره من

(١) بحار الأنوار : ٦٣ : ٣٤٥ ، الحديث ٢١ ، نقلاً عن مكارم الأخلاق : ١٩٥ .

(٢) النحل : ١٦ : ٦٨ .

(٣) مستدرک الوسائل : ١٦ : ٣٧٠ ، الحديث ٢٠٢١٣ .

الأطعمة بكثير، ولذلك عبّرت الآية ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، ولا ينبغي أن يؤخذ العسل في أوقات المرض فحسب، بل ينبغي أن يلتفت إلى أهميته كغذاء لانعكاسه الإيجابي وتأثيره على صحّة الإنسان وحيويته ونشاطه، خصوصاً فترة تقدّم العمر باجتيازه الخمسين والستين، فإنّ من الأهميّة بمكان أن يتناول كغذاء يسهم في نشاطه وصحّته، وكذلك يتناول الأغذية التي أعطت الروايات تطبيقات عمليّة لها.

## القسم الخامس

### مصادر الغذاء وأسباب تحصيله

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العليّ العظيم

### مصادر وأسباب الغذاء:

استعرضنا الأهميّة الفائقة والكبيرة لتأثير الطعام على شخصيّة المرء وروحه وأخلاقه ونسله.

ونشير إلى أمر غاية في الأهميّة أوضحت الروايات بشيء من البيان والتفصيل، هو أنّ المرء عليه أن يتحرّى الأسباب المشروعة التي يأتي منها الطعام؛ ذلك أنّ الطعام يحصل من خلال الكدّ والكدح، وعليه فإنّ الحصول على الطعام له أسباب، وإذا لم ينظر المرء إلى تلك الأسباب فإنّ الطعام وإن كان حلالاً ظاهراً غير أنّه حرام في الواقع.

(١) عبس ٨٠: ٢٤.



**الأول: أسباب غير مرضية واقعا.**

إن بعض الناس لا يكون ماله حلالاً، بل حصله اختلاساً أو سرقة أو بمعاملة غير مشروعة، فيشتري طعاماً حلالاً في الظاهر وحراماً في الواقع، وله تأثير سلبي أشارت الآيات والروايات إليه.

**الثاني: أسباب المرضية.**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، أي أن المال الذي بين يدي المرء يأتي من أسباب مرضية وطرق مشروعة يجمعها قوله تعالى: ﴿تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾، والتجارة تجمع العمل الوظيفي والبيع والشراء وسائر المعاملات الأخرى، كي لا يكون المال مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن فهناك أسباب غير مرضية يأتي بها رزق الإنسان فيكون حراماً، والروايات أشارت أن لقمة الحرام لا تنحصر في الكلب والخنزير والميتة والدم، بل تأتي من الأسباب غير المرضية، ويترتب على ذلك آثار بيّنتها الروايات.

**تأثير تناول الغذاء الحرام:****الأول: عدم الإذعان للحق تعالى.**

الابتعاد عن الحق، وعدم السير في الصراط السوي لظلمة القلب؛ إذ أن من جملة

(١) النساء ٤: ٢٩.

(٢) البقرة ٢: ١٨٨.

الأسباب الرئيسة لعدم إذعانه للحقّ، وعدم اتّباعه الصراط السويّ أكلّ المال بالباطل، فالأموال جائية له عبر طرق غير مشروعة وأسباب غير مرضية عند الله تعالى، قال الإمام الحسين عليه السلام: «فَقَدْ مُلِّتْ بُطُونُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وأشار القرآن الكريم إلى ذلك، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي أنّ كسبهم بوسائل غير مشروعة أذى إلى ظلمة قلوبهم، فلا يرون الهدى ولا يبصرون معالم الحقّ، فضلاً عن اتّباعه، فهم بمنأى عنه. إذن فأكل المال الحرام له تأثيرات متعدّدة، كظلمة القلب، وهو تعبير كناية يراد به الغشاوة، وعدم إبصار الحقّ، والبعد عن الصواب.

### الثاني: قساوة القلب.

**ومنها:** القساوة فأكل المال من غير حلّه، من آثاره قساوة القلب وعدم التأثر بالموعظة.

### الثالث: ارتكاب الجريمة.

**ومنها:** اقتراف الحرام وارتكاب الجريمة؛ ذلك أن أكل الحرام يؤدّي إلى الحرام، والمرء قد يأكل لحماً ذبح بالطرق الشرعيّة، غير أن أمواله جاءت بأسباب غير مشروعة، وحينئذٍ تكون اللقمة التي يأكلها حراماً وسحتاً؛ ذلك أنّ المال لا أصل له بل مقطوع من جذره، ولا قابليّة له للبقاء، والعكس صحيح، فأكل الطعام عبر الوسائل المشروعة حلال ومبارك.

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٨.

(٢) المطففين ٨٣: ١٤.

### الرابع: التأثير على النسل .

بيّنت الروايات الأهميّة الفائقة لأكل المال بالطرق المشروعة ، والآثار المترتبة على ذلك ، التي تنعكس على النسل ، فالنسل قد يأتي في المستقبل بعد مئات السنين ليؤثر تأثيراً إيجابياً ، كما أشارت بعض كتب التفسير إلى ذلك .

### تأثيرات لقمة الحلال :

هناك آثار للقمة الحلال والكسب المشروع ، لذا أكّدت الروايات على ذلك .

### الأوّل: البركة .

فأكل المال من حلّه يجعله مباركاً ، والبركة جدّ هامة ، فقد تكون الأموال كثيرة ، غير أن صاحبها لا يستفيد منها ، فيحاسب عليها حساب الأغنياء ويعيش عيشة الفقراء ، أما إذا كان المال حلالاً انعكست آثاره الإيجابية على النسل في المستقبل ، لذا أكد ﷺ فقال : « الْعِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً ، أَفْضَلُهَا طَلْبُ الْحَلَالِ »<sup>(١)</sup> .

قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي أنّ مفهوم العبادة يشمل العبادات والمعاملات ؛ إذ المراد به السير في الصراط المستقيم لإيصال الإنسان إلى الهدف والغاية التي خلق من أجلها ، وبذلك نفهم قوله ﷺ : « الْعِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً ، أَفْضَلُهَا -أفضلها جزءاً ، أي أفضل هذه الأجزاء - طَلْبُ الْحَلَالِ » .

### الثاني: الاطمئنان والرضا .

إن أكل المال بطريق مشروع وحلال لا شبهة فيه ، له تأثير على الشخصية ، يحدث

(١) وسائل الشيعة: ١٧ : ٢١ ، الباب ٤ من أبواب مقدمات التجارة ، الحديث ٦ .

(٢) الأنبياء ٢١ : ٧٣ .

لها الرضا والاطمئنان ، حتّى إذا كان في ساعة الاحتضار ، يستبشر فرحاً ؛ لأنّه يعرف أنّه فاز ، قال عليّ ؑ : « فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ »<sup>(١)</sup> ؛ ذلك أنّ الحياة امتحان ، فإذا خرج المرء منه بنجاح فقد فاز .

### الثالث : دعاء الملائكة .

بيّن النبيّ ﷺ أثر أكل الحلال ، بأنّ ملائكة تقوم على رأس الآكل تدعوه وتستغفر ، ودعاء الملائكة مستجاب .

### الرابع : غفران ذنوبه .

وأشار ﷺ إلى المشقة والتعب للحصول على الرزق الحلال ؛ ذلك أنّه يأتي بالكّد والتعب والجهد ، قال ﷺ : « مَنْ بَاتَ كَالاً مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ مَغْفُوراً لَهُ »<sup>(٢)</sup> : أي من تعب واستراح بعد ذلك في طلب الحلال جعل الله جزاءه الجنة ، والعكس من ذلك ، فمن أكل المال حراماً بالباطل ، انعكس عليه سلباً ، ورجع إلى عدم التوفيق والصلاح للنسل .

### الخامس : النسل الصالح .

قد يرزق الله تعالى بعض الناس طالب علم من نسله ، أو صالحاً من الأبرار المتّقين ، وذلك لم يأت من فراغ ؛ لأنّ سلسلة الآباء قد كدحوا في طلب الرزق ، فعوّض الله تعالى تعبهم وجعله مخلوفاً بصالح في عقبهم ، لينالوا بركة دعائه وعمله الصالح .

### أكل الحرام طريق لكلّ حرام .

حدث النبيّ ﷺ حديثاً قدسياً عن الله تعالى أنّه قال عزّ وجلّ : « مَنْ لَمْ يُبَالِ

(١) بحار الأنوار : ٤١ : ٢ ، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب : ٢ : ١١٩ .

(٢) بحار الأنوار : ١٠٠ : ٢ ، الحديث ١٤ ، نقلاً عن أمالي الصدوق : ٢٨٩ ، الحديث ٩ .

مِنْ أَيِّ بَابٍ اِكْتَسَبَ الدِّينَارَ وَالدَّرْهَمَ لَمْ أُبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ النَّارِ اِدْخَلْتُهُ»<sup>(١)</sup>: أي أن من لم يبال في كيفية حصول رزقه من الحلال استحق دخول النار من كل أبوابها، والتعبير يدل على أنه اقترف كل المعاصي فاستحق دخول النار من أبوابها المختلفة، وهو تعبير كناية يراد به اقتراف الكثير من الحرام لأكله الحرام، فالحرام يؤدي إلى الحرام. وقد قيل إن بعض الخلفاء دعا صالحاً فخيّره بين ثلاثة: إمّا أن يتولّى القضاء، وإمّا أن يؤدّب أولاده، وإمّا أن يجيبه على مائدة طعام، فظنّ العالم الذي لم يأخذ علمه عن أهل البيت عليهم السلام أن إجابته الدعوى أسهل، فأكل مع الخليفة ما لذ وطاب من الحرام، ثم تصدى بعد ذلك للقضاء والتأديب.

### آثار الإنفاق بأموال الحرام:

إن بعض الصالحين الأفاضل بإمكانه أن يلج الحرام بكلمة، غير أنه لا يفعل حفاظاً على شخصيته، فتسهل له الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup>، غير أن بعض الناس يرى مغفلاً فيبيعه بأكثر، أو يشتري منه بأقل، ليأكل مالاً حراماً، معتبراً أن ذلك من الذكاء لأنه خدع المغفل، ثم يدفع المال لبناء مساجد وحسينيات ظناً منه أن ذلك يعود عليه بالخير، غير أنه واهم؛ لأن الله تعالى سيمحقه.

### الأول: محق العمل.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «لَا يَكْتَسِبُ الْعَبْدُ مَالاً حَرَاماً وَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ، فَيُوجَرَ عَلَيْهِ، وَلَا يُنْفَقُ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مستدرک الوسائل: ١٣: ٢٢، الحديث ١٤٦٢٣، نقلاً عن الاختصاص: ٢٤٩.

(٢) الطلاق: ٦٥: ٢ و ٣.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٠: ١٤، الحديث ٦٧.

قوله ﷺ: «لَا يَكْتَسِبُ الْعَبْدُ مَالًا حَرَامًا»: أي يأخذ المال بالحرام لينفقه في الخير - يتصدق به - فيؤجر عليه ، بل أن الأجر يذهب إلى صاحب المال ، ولو عاد الأجر إليه لكان الله ظالماً ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١).

أما قوله ﷺ: «وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ فَيَبَارِكَ لَهُ فِيهِ» تبيان أن الإنفاق له أثر وضعي ، فمن أنفق نمي ماله ، غير أن الله لا يبارك لمن أخذ المال بالحرام .

### الثاني: محق البركة.

البركة أثر وضعي للإنفاق في سبيل الله ، فالفقير قد يتحول إلى غني بالإنفاق في سبيل الله ، وذلك من أسرار الإنفاق لله تعالى ، فمن يمتلك أموالاً قليلة ثم ينفق جزءاً منها في سبيل الله ، فإن الله تعالى يبارك سعيه ويحوّله إلى ثري ببركة الإنفاق في سبيله تعالى ، أما أخذ الأموال بطرق غير مشروعة ثم إنفاقها في سبيل الله فلن يؤدي إلى بركة في المال .

### الثالث: عدم استفادة الورثة من المال.

قوله ﷺ: «وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ»: إن الأموال إذا أخذت اختلاساً بالدهاء وحلاوة اللسان ومهارة التعامل ، فإن العاقبة عدم الاستفادة منها للورثة ، بل يدخلون نزاعاً يؤدي بهم إلى متاهات لا حدود لها .

### أموال المعاملات الفاسدة.

ثم أوضح ﷺ أن المال الذي اكتسبه المرء من غير حله هو زاده إلى جهنم ،

(١) يونس ١٠: ٤٤.

وعلينا أن نلتفت إلى عدم انحصار الحرام بفقدان الشرائط في الذبح فحسب ، بل أن المال إذا جاء بطريقة غير مشروعة فهو حرام .

### أخذ أموال الورثة .

إن بعض الورثة لكونه الوصي أو الوكيل لوالده ، يأخذ حقوق إخوانه ويبقيهم مسحوقين طوال حياتهم ، لكونه استولى على الجزء الأكبر من الإرث ، لعدم علم الورثة بخبايا الأمور ، غير أن الله تعالى عالم بالضمائر ، قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>(١)</sup> وهو بالمرصاد ، والمظلوم سيعوضه الله في الدنيا قبل الآخرة ، فيموت ميتة طيبة ومباركة ، كالموت وهو ساجد ، أو بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام ، أو يموت شهيداً محمود العاقبة ، أمّا الظالم فيموت ميتة سيئة ، وينال العذاب الأليم في الآخرة .

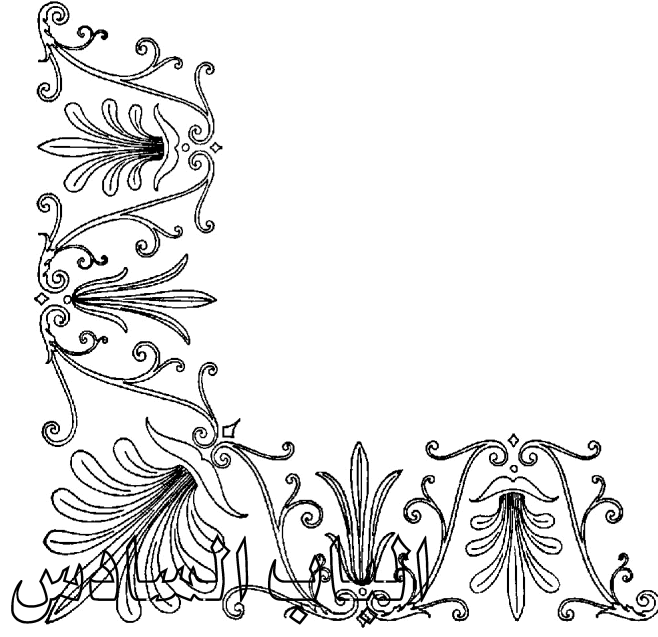
### بركة الطاهر الحلال .

علينا أن ننظر إلى أمرين : الأول : النتيجة ، وهي التي أشرنا إليها في الأبحاث السابقة ، والثاني : أن الأموال لا بد أن تكون طاهرة ، فالحلال لا يختص بالطعام الذي ذبح بطريق مشروع ، وتوافرت فيه شرائط التذكية ، بل يعم أسباب حصول المال ، وإذا اجتمع الأمران عندئذ جعل الله تعالى ملكاً يدعو على رأس آكل الطعام ويستغفر له ، ودعوته واستغفاره يؤديان إلى الخير وينعكسان إيجاباً على شخصية المرء ونسله .

(١) غافر ٤٠ : ١٩ .







## السياسة و العدالة



## الضوابط الشرعية في الخلافة الإسلامية

قال الله تعالى :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

### التأكيد على الولاية .

نزلت هذه الآية المباركة بعد أن بلغ النبي ﷺ ولاية إمامنا أمير المؤمنين علياً في غدیر خم ، ولم يزل النبي ﷺ يؤكد على الولاية منذ أول يوم من رسالته ، فبعد أن نزل قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢) جمع أقاربه ثم خطب فيهم ، وفي نهاية الخطبة بين ولاية الإمام علي عليه السلام

عنه ﷺ ، قال : «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - أَي رَهْطَكَ الْمُخْلِصِينَ » دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَهُمْ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَ رَجُلًا - فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَكُونُ أَخِي ، وَوَارِثِي ، وَوَزِيرِي ، وَوَصِيِّي ، وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ بَعْدِي ؟ فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ رَجُلًا رَجُلًا ، كُلُّهُمْ يَأْبَى ذَلِكَ ، حَتَّى أَتَى عَلِيَّ ، فَقُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، هَذَا أَخِي وَوَارِثِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ بَعْدِي ، فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَيَقُولُونَ

(١) المائدة ٥ : ٣ .

(٢) الشعراء ٢٦ : ٢١٤ .

لِأَبِي طَالِبٍ: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ لِهَذَا الْغُلَامِ»<sup>(١)</sup>.

ولم يكتفِ في الحجِّ بإبلاغ الأحكام، بل أكَّد الولاية لأهل البيت عليهم السلام، وقد أورد المحدثون أنه في يوم الموقف رغم أهميَّة ذلك اليوم وكونه يوم دعاء حتَّى قال النبي صلى الله عليه وآله: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ»<sup>(٢)</sup>، غير أنَّ ذلك لم يمنعه صلى الله عليه وآله من التأكيد على الولاية لأهل البيت عليهم السلام بنحو عام، وكرَّر النبي صلى الله عليه وآله حديث الثقلين: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»<sup>(٣)</sup>.

### أسباب تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على الولاية:

لم تبق مناسبة من المناسبات إلا وأكد صلى الله عليه وآله أهميَّة الولاية لعليّ وآل عليّ عليهم السلام، وذلك للأسباب التالية:

#### الأول: تجلّي العدالة لدى الإمام عليّ عليه السلام.

قد يظنّ بعضُ أن ذلك يعود إلى القرابة والرحم، غير أنَّ الأمر ليس كذلك، فالمسألة ترجع إلى مبادئ الشريعة الإسلاميَّة؛ وذلك أنَّ الحكم في الشريعة الإسلاميَّة قائم على دعائم وركائز أساسيَّة لا بدَّ من توافرها في الحاكم، من أهمِّ تلكم الركائز: العدل والعدالة، فالحاكم لا بدَّ أن يكون عادلاً، غير أنَّ الحكم في الأعمَّ الأغلب لا يقوم على العدالة، بل يقوم على المصالح السياسيَّة، والسياسة عالم مصالح وليست عالم مبادئ ومثُل وقيم، والشرائع السماويَّة مبنية على عالم القيم والعدالة وترسيخ ذلك، والحاكم بما أنه هرم السلطة لا بدَّ أن يجسّد العدل، فالمبدأ

(١) بحار الأنوار: ١٨: ١٧٨ و ١٧٩، نقلاً عن علل الشرائع: ١: ١٧٠.

(٢) عوالي اللئالي: ٣: ٩٣، الحديث ٢٤٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢: ١٠٠، نقلاً عن الإرشاد: ١: ٢٣٣.

الأول والركيزة الأولى التي كان النبي ﷺ يؤكدها الولاية لعليّ وآل عليّ ﷺ ويرجع ذلك إلى مبدأ العدالة ، وسيرة أهل البيت ﷺ بنحو عامّ وسيرة عليّ ﷺ بنحو خاصّ تتجلى فيها العدالة ، قال عليّ : « وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَى أَنْ أُعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ »<sup>(١)</sup> : أي لو أعطيت الحكم على القارات السبع بشرط أن أظلم حيواناً صغيراً لم أفعل ذلك ؛ لأنّ النهاية هي الرجوع إلى العدل الحكيم ، والحساب الدقيق يوم القيامة ، إنّ إبلاغ النبي ﷺ الولاية لأهل البيت ﷺ لا يرجع إلى مصلحة أو قرابة ، حاشا له ﷺ وهو أتقى الأتقياء أن يفعل ذلك ، وقد أبانت آيات الذكر ما يجسده من قيم وخلق كريم .

### الثاني : البعد الإنساني في شخصيّة الإمام عليّ ﷺ .

المبدأ الثاني الذي كان على أساسه يؤكد النبي ﷺ الخلافة لعليّ وآل عليّ ﷺ مسألة الإنسانيّة ، وهي غاية في الأهميّة ، بمعنى أنّ الإنسان لكونه خليفة لله تعالى في الخلق من الضروري أن يصل إلى كماله ، والحكم العادل يسهم في ذلك ، غير أنّ الحكّام على مدى التاريخ لا يهتمهم مسألة تربية الإنسان وإيصاله إلى كماله بقدر ما تهتمهم مصالحهم ، ومبدأ المصلحة هو الأوّل في أذهان السياسيّين والحكّام ، أمّا الإنسان وحقوقه وإيصاله إلى كماله رغم أهميّة ذلك في الشرائع السماويّة ، وقد أفصح عنه القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فالله تعالى لا يأمرنا أن نقول القول الحسن للمسلم فحسب ، بل لكلّ إنسان بغضّ النظر عن ديانتته ، بل وعن كونه يدين بدين سماويّ

(١) نهج البلاغة : ٢ : ٢١٨ .

(٢) الإسراء ١٧ : ٧٠ .

(٣) البقرة ٢ : ٨٣ .

أم لا ، فهو مكرّم من عند الله تعالى ، وينبغي أن يتعامل معه من خلال التكريم الإلهي ، وأن يقال له القول الحسن والجميل ، والسياسيون لا يهتمهم ذلك بل تهتمهم مصالحهم ، والنبي ﷺ جسّد هذا المبدأ ، وكذلك عليّ ؑ والأئمة من ولده ؑ جسّدوه أيضاً .

قال عليّ ؑ في خطابه للأشتر : «فَانَّهُمْ [ النَّاسُ ] صِنْفَانِ : إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»<sup>(١)</sup> ، يلفت الإمام عليّ ؑ نظر مالك أنه سيحكم قطراً من أقطار العالم الإسلاميّ فيه من ينتمي إلى الديانة الإسلاميّة ، وفيه من لا ينتمي إلى الإسلام ، وعلى الحاكم أن لا ينطلق في تعامله من أفق ضيق ، بل ينظر إلى الاختلاف بأفق رحب وواسع لكونه يحكم ذلك القطر من خلال المبادئ التي تؤكدها الشرائع السماويّة ، وتعود إلى احترام الإنسان وحقوقه ، وتكريم الإنسان جسده عليّ ؑ بأفعاله ، ولا بدّ من توافر ذلك في الحاكم .

### الثالث : تطبيق المبدأ الأخلاقيّ .

إنّ الحاكم يتعامل بمنطق القوّة والسلطة ويأمرهما ضماناً لاستمرار حكمه ، أمّا الحاكم في الإسلام فضمانته المبدأ الأخلاقيّ ، وإذا انعدم استخدم الحاكم العنف والغلظة في أتفه الأمور - الأمور الصغيرة - والمسألة الأخلاقيّة لها أهمّيّتها الكبيرة في المنظور الإسلاميّ ، وفي نفس الحاكم ، لذا تعامل النبي ﷺ عندما جذبته الأعرابيّ من رداءه بخلق كريم .

عن أنس بن مالك ، قال : «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانيّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيّ فجذده حتى رأيت صفحاً أو صفحة عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذده ، فقال : يا محمّد ، أعطني من

(١) نهج البلاغة : ٤٢٧ (صبحي الصالح) .

مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بـ«عطاء»<sup>(١)</sup> ، وقد تعجب المسلمون كيف أن الأعرابي الغليظ الفصّ تعامل مع النبي ﷺ بقسوة ولم يرد ﷺ عليه ، ولو فعل شخص عادي بحاكم من حكام عالمنا اليوم ذلك لأودع السجن طوال حياته إن لم يقتل ، بينما التفت ﷺ إليه ضاحكاً مستبشراً وقال : نعم ، إن المال مال الله تعالى ولا بدّ أن يعطى من مال الله تعالى .

إنّ المبدأ الأخلاقي ضرورة لا بدّ أن يتوافر في الحاكم الإسلامي ، ومن يكون على هرم السلطة ويتبوأ المكانة الكبيرة ؛ لأنّ ضمان السلطة بالأخلاق ، وإذا لم يتوافر العامل الأخلاقي فـالقسوة والتعذيب والفضاضة والغلظة ستسود العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وتأکید النبي ﷺ الولاء لعليّ وآله عليه السلام كان لذلك .

فعليّ عليه السلام خلق كلّهُ حتّى قال عنه بعضهم أنّ فيه دعاية ، بدمائة خلقه ومرونته وتسامحه وتعامله بأريحية ، فظنّ بعض الناس أنّ ذلك عيب ولم يعلم أنّه كمال ، فكمال الإنسان أن يتعامل بمنتهى المرونة إذا تبوأ مكانة سامية وكبيرة ، وعليّ عليه السلام لا بدّ أن يتعامل بتلك الأخلاقية .

#### الرابع : توافر العلم الواسع .

المبدأ الرابع - وهو من الأهميّة بمكان العلم - لا بدّ أن يكون الحاكم يتمتّع بسعة في العلم وقدرة كبيرة في فهم الأمور ، ولم يوجد كعليّ عليه السلام في علمه ، وقد وردت أحاديث تبين المكانة الكبيرة والرتبة الجليلة لعلمه عليه السلام دون بقية أصحاب النبي ﷺ ، قال ﷺ : « أَفْضَاكُمْ عَلِيٌّ »<sup>(٢)</sup> . وقال ﷺ : « أَعْلَمُكُمْ عَلِيٌّ »<sup>(٣)</sup> .

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٣ : ١٥٣ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ٣٠٩ .

(٣) الكافي : ٧ : ٤٢٤ .

وكان ﷺ يؤكد على ولايته ويبيّن أنه يستحقّ هذه المكانة والمقام لكونه أعلم الخلق بعده ﷺ كما أكد ذلك الذكر الحكيم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (١) وردت الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّ الذي عنده علم الكتاب هو عليّ عليه السلام ، وهو الذي يعرف أي القرآن بالنحو التفصيلي : الناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، ولم تنزل آية في كتاب الله إلا وعلي أعلم بها من غيره .

قال عليّ عليه السلام : « سَلُونِي يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ قَبْلَ أَنْ لَا تَسْأَلُونِي ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ بِهَا أَيْنَ نَزَلَتْ ، وَفِيمَنْ نَزَلَتْ ، فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ ، أَوْ فِي مَسِيرٍ أَمْ فِي مَقَامٍ » (٢) .

### منطلق تعيين الولي هو الكفاءة .

إنّ النبي ﷺ أكد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ليس من منطلق قرابة ، فهناك أناس من الأقربين له ﷺ - كأعمامه العباس - غير أنّ المسألة ترجع إلى مبدأ الكفاءة وتوافر الركائز التي بيّناها ، فهي من الأهميّة بمكان لا بدّ أن تتوافر في الحاكم ، وإذا لم تتوافر في الحاكم العدالة ، ولم يؤمن بإنسانيّة الإنسان ، وانطلق من أفق ضيق - كما يحصل في عالم اليوم في شرق الأرض وغربها - فلا ينطلق الحكّام من مبادئ الإنسانيّة ، وإنما ينطلقون من أفقهم الضيق ، والدول التي تطرح حقوق الإنسان لا تؤمن بهذه الحقوق إذا لم تصبّ في مصالحها .

أمّا الإسلام فيؤمن بهذه الحقوق ، ولها شواهد في سيرة النبي ﷺ وكلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، والآية المباركة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٢) شواهد التنزيل : ١ : ٤٠ ، الحديث ٣٠ .



نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾ تبيان لهذه المعاني والمبادئ السامية في الحكم الإسلامي ، ومن يتبوأ السلطة هو المجسد لذلك والخليفة المنصوص عليه من قبل الحق تعالى .

---

(١) المائدة ٥ : ٣ .



## نظريّة الإسلام في الحكم من خلال الغدير

قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

### أنظمة الحكم العالميّة.

تحمل ذكرى الغدير دلالات متعدّدة ومفاهيم كبيرة، ترتبط بتجسيد الإسلام، وكان لها عناية كبيرة في الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام. وقبل استعراض الأهميّة الكبيرة للغدير، وما تمثّله لأحكام الإسلام ومفاهيمه، يحسن بنا أن نذكر بأهميّة الحكومة العادلة، فهي مطلب جدّ هامّ، تاقّ إليه الإنسان منذ أن تكوّنت المجتمعات البشريّة، وأمنت بأهميّة النظام وضرورته لإرساء قواعد العدالة، غير أنّ هذه الأنظمة مؤرّس فيها أفدح أنواع الظلم، ومرّت الإنسانيّة بأحقاب مختلفة أرادت أن تتخلّص من الظلم والمحسوبيّة بتطوير أنظمة الحكم والإدارة، غير أنّها كلّما تقدّمت خطوات إلى الأمام تراجعت بخطوات مماثلة إلى الوراء، ومن أشهر الأنظمة التي مرّت على البشريّة النظامان القديمان:

### الأوّل: النظام الملكيّ.

النظام الملكيّ المستبدّ يجعل الصلاحيّات كلّها للملك وحده، وليس للشعب

أي سلطة في تحديد صلاحيّاته .

### الثاني : الملكية الدستورية .

الملكيّة المقنّنة أو الملكيّة الدستوريّة هي إيجاد نظام وقانون يسير على ضوئه الملك ، وقد حاولت البشريّة أن تنظّم صلاحيّات الحاكم والملك - وما يطلق عليه حديثاً برئيس الجمهوريّة - من خلال ربط النظام والقانون برضا الشعب ( الأمة ) .

### النظام الحاكم في الحضارة الإغريقيّة .

هناك أمثلة للحكومات القديمة تشابه إلى حدّ كبير الأنظمة الموجودة في عصرنا الراهن ، لعلّ أعظم تقدّم هو ما حدث في الحضارة الإغريقيّة القديمة ( اليونان ) ، فقد امتلك الإغريق فكراً متقدّماً ، وكان لديهم فلاسفة مُنظِّرون حاولوا أن يرتقوا بنظام الحكم في الحضارة الإغريقيّة ، وأبدع ما أوجده الفكر الإغريقيّ الديمقراطيّة .

### اختيار الحاكم في الحضارة الإغريقيّة .

بُلوَر النظام الديمقراطيّ بطريقتين :

**الأول :** أن ينتخب الشعب نواباً ومشرّعين يمثلون إرادة الشعب ، ثمّ ينتخب المشرّعون هرم الدولة ، وما يصطلح عليه برئيس الجمهوريّة أو المسؤول الأوّل .

**الثاني :** بالاقتراع المباشر ، وقد تحقّق في القديم بنحو محدود في أثينا ، أمّا النحو الأوّل وهو الاقتراع لانتخاب النواب والبرلمانيّين وبدورهم ينتخبون هرم السلطة ، فقد مورس بنحو أشمل وأعمّ ، وكان هذا أفضل ما وصل إليه الفكر البشريّ القديم وأفضل ما حدث ، وقد ظنّ الناس آنذاك أنّهم وصلوا إلى ما كانوا يصبون إليه من تقدّم في سيادة القانون .

### سقراط والنظام الديمقراطيّ .

غير أنّ أحد كبار الحكماء في اليونان ، والذي خَلَّده التأريخ وأشاد به ، ووضعت

له نُصب تذكاريّة تُذكر به وبآرائه القيّمة ، وتضحّيته لحفظ مبادئ القانون ، وهو سقراط ، استشهد في معارضته للنظام الديمقراطيّ اليونانيّ ، أي أنّه كان من أشدّ المعارضين للديمقراطيّة التي أبدعها الفكر اليونانيّ ، وكان يبيّن مثالب الديمقراطيّة ، ويحسن بنا أن نوضّح أنّ الديمقراطيّة نظام متقدّم وممتاز إذا قيس بغيره من أنظمة الحكم المتخلّفة التي لا تعبر بالآل للشعب بقدر ما تفكّر في مصالحها وسعة نفوذها ، غير أنّ سقراط كان يصبو لنظام أفضل من النظام الديمقراطيّ .

### ملاحظات على النظام الديمقراطيّ .

أورد سقراط إشكالات متعدّدة على النظام الديمقراطيّ اليونانيّ :

**الأوّل :** أنّ المقترعين لا يستطيعون تشخيص الفاسد من الصالح ؛ إذ أنّ الكثير من الناس له ظاهر وباطن ، ويختلف ظاهره عن باطنه ، فإذا انتُخب ومثّل سلطة ولو محدودة أثرت عليه سلبياً وعلى الشعب .

**الثاني :** أنّه حتّى لو أُتيح تشخيص الأكفأ والأحسن من لدن المنتخبين ، إلّا أنّه قد يتلاعب بنتائج الانتخابات وتشتري الأصوات بالمال ، فمن يمتلك المال والاقتصاد قادر على شراء الأصوات لتصبّ في صالحه ، وقد قيل إنّ من يمتلك المال يملك القرار ، ويستطيع أن يطوّع الأمور لتصبّ في صالحه من شراء الذمم والأصوات ، خصوصاً أنّ الكثير من الناس لا يستطيع تشخيص المصلحة بعيدة المدى ، وهمّه أن يحصل على المصلحة الآنيّة .

### نظريّة الحكم عند سقراط .

وهناك إشكالات أخرى لسقراط ، إلّا أنّ خلاصة نظريّته في الحكم أنّ الحكم يجب أن يكون للناس الذين عُرفوا من خلال التجارب بالنزاهة ، والتحكّم في غرائزهم ، والسيطرة على أهوائهم ، وتجسيد مبادئ القانون ، هؤلاء الناس هم الأحقّ

بالحكم والإدارة للمجتمع بشرط أن يكون هرم السلطة الأعلّم بالقانون، والأكفأ في تطبيق النظام وإدارته، أي أنه يمتلك مهارة وجدارة يستطيع بها أن يجسّد القانون .

### دور سقراط في تثقيف الناس بنظريته.

نادى سقراط بأهميّة أن يفقه هرم السلطة القانون، ويكون الأقدر في تطبيقه مع توافر الأخلاق في شخصيته، وقد حاول جاداً أن يثقف الناس بنظريته، وكان يجلس مع الشباب ويشرح لهم نظريته، واستقطب كثيراً منهم، وكان بعضهم من أبناء البرلمانيين، ممّا جعل آبائهم يقفون ضده قائلين إنه يفسد عقول الناس، وقد حوكم محاكمة مشهورة حُكم عليه بتجرّع السمّ، غير أنه أصبح عملاقاً لمواقفه البطوليّة وتضحيته لحفظ القانون؛ ذلك أنه بعد أن حُكم عليه بالإعدام، وأودع السجن، كان بإمكانه الهرب، إلا أنه رأى أهميّة سيادة القانون، فالقانون الذي حوكم به فاسد إلا أنّ القانون الفاسد أفضل من اللاقانون، لذا امتنع أن يخرج من السجن وتجرّع السمّ من أجل سيادة القانون، وبذلك خلّد هذا العملاق لإيمانه بمبادئ الحكم والقانون .

### الأنظمة الحاكمة في العصر الحديث.

يعجّ عصرنا الراهن بنظم كثيرة، غير أنّ جُلّ النظم تدور حول النظام الديمقراطيّ أو الاشتراكيّ أو الشيوعيّ، وقد ثبت أنّ سلطان المال والإعلام لهما أعظم الأثر في إيصال من يُراد إيصاله إلى هرم السلطة وبالتالي ممارسة الفساد .

### الحكم في نظر الإسلام.

من هنا جاء الإسلام ليحقّق العدل والرفاه للمجتمع من خلال الإيمان بضرورة العدل والعدالة في هرم السلطة .

نظريّة الإسلام أو الفهم الصحيح للنظريّة الإسلاميّة على وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وهم الأدرى بالوحي النازل على جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله ، والأعلم بأحكام الإسلام ؛ إذ لا يستطيع أحد أن ينازع في كون عليّ والحسين والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هم الأعلم فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله : « أَفْضَلُكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ وَأَفْضَاكُمْ عَلَيَّ »<sup>(١)</sup> ، فهو الأعراف بالقانون ، ولا يجادل أحد في ذلك .

إنّ نظريّة الإسلام في الحكم وفقاً لما جاء عن أهل البيت عليهم السلام تلتقي مع نظريّة سقراط ، غير أنّها تتقدّم عليها ، فنظريّة سقراط أنّ الحكماء ينتخبون هرم السلطة أو يحكمون المجتمع بأنفسهم ، ونظريّة الإسلام أنّ الله تعالى هو الذي ينتخب الكفاء ؛ إذ أنّ الإمامة لطف من الله تعالى ، والله تعالى يصطفي الأوصياء لأنبيائه كما يصطفي أنبيائه ، وقد نصّ النبي صلى الله عليه وآله على أوصيائه الذين كانوا الأعلم والأكفأ بالإضافة إلى العصمة ، وهي لطف من الله تعالى خاصّ بهم يجنبهم الوقوع في الخطأ ، هذه هي نظريّة أهل البيت عليهم السلام .

### سقراط وأهل البيت في نظريّة الحكم .

اتّفقت نظريّة أهل البيت عليهم السلام مع نظريّة سقراط في أنّ هرم السلطة يجب أن يكون الأكفأ والأعلم وتقدّمت عليها بالعصمة وهي التأييد الإلهي الخاصّ ؛ إذ أنّ الأعلم والأكفأ قد يخطأ بينما المعصوم لا يخطأ أبداً ونظره هو الصواب .

### طرق أهل البيت في توضيح الحاكميّة :

شرح الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هذه النظريّة بعمق ودقّة كما جاء في الأحاديث عنهم عليهم السلام ، ويبيّن ذلك النبي صلى الله عليه وآله في حقّ عليّ عليه السلام منذ بدء بعثته بأساليب متعدّدة :

(١) بحار الأنور: ٤٦ : ١٣٦ ، نقلاً عن الفضائل لابن شاذان : ١٣٨ .

## الأول: حديث الدار.

جاء حديث الدار عندما بُعث النبي ﷺ وأمره الله تعالى بإنذار عشيرته الأقربين ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فجمع عشيرته كما ذكر المفسرون والمؤرخون وقال: «فَأَيُّكُمْ يُؤْمِنُ بِي وَيُؤَاذِرُنِي عَلَى أَمْرِي، فَيَكُونُ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي مِنْ بَعْدِي؟ فَأَحْجَمَ الْقَوْمَ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَحِينَ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّةٍ وَعَلِيٌّ يَقُولُ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخَذَ بَرَقِبَةَ عَلِيٍّ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشعراء ٢٦: ٢١٤.

(٢) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، قَالَ: فَضَمْتُ بِذَلِكَ ذُرْعًا، وَعَرَفْتُ أَنِّي مَتَى أَنْادِيَهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ، فَضَمْتُ عَلَى ذَلِكَ، وَجَاءَنِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ عَذَّبَكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فَاصْنَعْ لَنَا - يَا عَلِيُّ - صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رَجُلَ شَاةٍ، وَامْلَأْ لَنَا عَسًا مِنْ لَبَنٍ، ثُمَّ اجْمَعْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَكَلِمَهُمْ، وَأَبْلِغُهُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ، ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ أَجْمَعًا، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يُنْقِصُونَ رَجُلًا، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ أَبُو طَالِبٍ وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو لَهَبٍ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ ﷺ، دَعَانِي بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتُ لَهُمْ، فَحِجْنْتُ بِهِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِذْمَةً مِنَ اللَّحْمِ، فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ، ثُمَّ قَالَ: خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى صَدَرُوا، مَا لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ حَاجَةً، وَمَا أَرَى إِلَّا مَوَاضِعَ أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّمَا اللَّهُ الَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَيَأْكُلُ مَا قَدَّمْتُ لِجَمِيعِهِمْ، ثُمَّ جِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ فَسَرَبُوا حَتَّى رَوَوْا جَمِيعًا، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَيَسْرَبُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكَلِّمَهُمْ بَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْكَلَامِ فَقَالَ: لَشَدَّ مَا سَحَرَكُمُ صَاحِبِكُمْ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ، وَلَمْ يَكَلِّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. «



## الثاني : حديث المنزلة .

جاء حديث المنزلة عندما استخلف علياً عليه السلام في المدينة فقال عليه السلام : « أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي »<sup>(١)</sup> ، قال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي أنها سلطان بحكم إلهي وليس من الناس .

## الثالث : إبلاغ الإمام علي سورة براءة .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك باستمرار لبيان الخطأ المجسد للإسلام ومفاهيمه وحكمه وإدارته وحيثياته ، ولعل أمره صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بإبلاغ سورة براءة التي تضع حداً فاصلاً بين الإسلام وغيره ، وقد نزل عليه الوحي بأنه « أَمِرْتُ أَنْ لَا يُبَلِّغَهُ إِلَّا أَنَا

» فَقَالَ لِي مِنَ الْعَدِ: يَا عَلِيُّ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى مَا سَمِعْتَ مِنَ الْقَوْلِ ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ أَكَلِمَهُمْ ، فَعَدَّ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ بِمِثْلِ مَا صَنَعْتَ ، ثُمَّ اجْمَعَهُمْ لِي . قَالَ: فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ ، فَدَعَانِي بِالطَّعَامِ فَفَرَّقْتُهُ لَهُمْ ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ ، وَأَكَلُوا حَتَّى مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ حَاجَةٍ ، ثُمَّ قَالَ: اسْقِهِمْ ، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا مِنْهُ جَمِيعاً .  
ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَعْلَمُ شَابًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا جِئْتُمْ بِهِ ، إِنِّي قَدْ جِئْتُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَيُّكُمْ يُؤْمِنُ بِي وَيُوَازِرُنِي عَلَى أَمْرِي ، فَيَكُونُ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي مِنْ بَعْدِي ؟  
قَالَ: فَأَمْسَكَ الْقَوْمُ ، وَأَحْجَمُوا عَنْهَا جَمِيعاً . قَالَ: فَقُمْتُ - وَإِنِّي لَأَخَذْتُهُمْ سِنًّا ، وَأَرْمَصُهُمْ عَيْنًا ، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنًا ، وَأَحْمَشُهُمْ سَاقًا - فَقُلْتُ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ . قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا . أمالي الشيخ الطوسي : ٥٨٢ .

(١) كشف الغمّة : ١ : ٦٣ . الإرشاد : ١ : ٨ ، وغيرها من كتب الخاصة والعامّة .

(٢) القصص : ٢٨ : ٣٥ .

أَوْ رَجُلٌ مِنِّي»<sup>(١)</sup>: أي أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يبلغ سورة براءة، ثم نزل عليه الوحي: يا رسول الله، لا يمثل الحد الفاصل بين الإسلام وغيره من الأديان جميعاً إلا أنت أو شخص منك، وعليّ ﷺ هو الذي يمثل الحدود الفاصلة، فهو «الْفَارُوقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»<sup>(٢)</sup>.

#### الرابع: حديث الثقلين.

حج النبي ﷺ وخطب في عرفة، وذكر الناس بالثقلين، قال ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»<sup>(٣)</sup>، وقد ربط أهل البيت ﷺ بالقرآن الكريم وديمومة ذلك إلى يوم القيامة، أي إلى أن ينتهي مسار البشرية.

#### الخامس: حديث الغدير.

لم يكتفِ النبي ﷺ بهذا، بل أكد على كل ما سبق بنحو أتم وأشمل، وهو ما جاء في غدير خم، وقد أضاف ﷺ حيثيات كثيرة للغدير توجب تساؤلات، منها: أنه لماذا بلغ النبي ﷺ ذلك بعد الحج؟ ولماذا نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(٤)</sup>، مع أنه بلغ ولاية عليّ ﷺ من أول يوم إلى أن حج، فما الداعي أن يقف ويأتي بهذا الخطاب المخصص بالولاية فقط؟ لعل تبليغه ﷺ للولاية دون ما سواها للأهميّة الفائقة لأمرها، والأمور الهامة لا تبلغ ضمن أخرى، بل تبلغ بنحو مستقل لا تشرك مع غيرها.

(١) بحار الأنور: ٣٥: ٢٩٨، نقلاً عن كشف الغمّة: ١: ٣٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩: ٣٤٣.

(٣) بحار الأنور: ٢: ١٠٠، نقلاً عن الإرشاد: ١: ٢٣٣.

(٤) المائدة: ٥: ٦٧.

## النبي يواجه إشكالات اختيار الإمام عليّ .

إنّ النبي ﷺ بين ولاية وحكومة الإمام عليّ عليه السلام منذ اليوم الأوّل لكنّه ﷺ لم يبين ذلك بنحو مستقلّ ، بل ضمن أمور أخرى ، كردّ إشكال المرجفين والمنافقين عندما قالوا ما تركه إلّا استتقلاً له ، فردّ النبي ﷺ : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » (١) .

وبيّن ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إبلاغ سورة براءة ضمن الحديث عن الحدّ الفاصل بين الإسلام وغيره ، وبين ولاية أمير المؤمنين في عرفة ضمن إبلاغه لأحكام الحجّ ، ولم يعقد مؤتمراً مخصوصاً إلّا في غدِير خَم ، فالغدِير يوضّح الاستراتيجية العامّة لوضع النقاط على الحروف .

## النبي يجسّد الولاية للإمام عليّ .

ولم يقتصر ﷺ بإبلاغ ذلك فحسب ، بل جسّد الموقف بوقوفه أمام مرأى ومسمع ما يقرب من مائة ألف شخص قائلاً للجميع : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : قُمْ يَا عَلِيُّ ، فَقُمْتُ ، فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » (٢) .

وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة : « ثمّ قال : « اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ » (٣) .

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

(١) كشف الغمّة : ١ : ٦٣ . الإرشاد : ١ : ١٥٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٣١ : ٤١١ ، نقلاً عن كتاب سليم بن قيس : ٢ : ٦٤٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ١ : ١١٩ .

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴿١﴾

وأراد النبي ﷺ أن يبين ولايته على المسلمين جميعاً، بقوله: «وَأَنَا أَوْلَىٰ بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ»، ومعنى الولاية أن النبي ﷺ يؤكد على حقه في الولاية على الناس ووجوب الطاعة لأوامره، وإن أدى ذلك إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى، وقد أمر موسى عليه السلام أن يقتلوا أنفسهم حتى يتوب الله تعالى عليهم، وليس لهم حق الاعتراض عليه ﷺ، بل يجب على الجميع السمع والطاعة، وهذا معنى الولاية المطلقة للرسول ﷺ المجعولة من قبل الله تعالى، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ» تبيان للحكم العادل فحسب.

### حقيقة الولاية في حديث الغدير.

ولا يمكن أن يكون قد قصد ﷺ أن علياً عليه السلام هو ابن عمه، أو أمر ﷺ بمحبته، أو أن علياً كان ناصراً له، كل هذه المعاني تتنافى مع حكمة النبي ﷺ، ولا يبقى إلا بيان الولاية العامة والمطلقة في إطارها القانوني والإداري، فالإمام هو الذي يتصرف في الناس ليضعهم على صراط الحق السوي، ويوصل الخلق إلى الحق تعالى، وبذلك نفهم المغزى واللب من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٢).

### الولاية امتداد للرسالة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: أي لم تبلغ رسالته التامة التي توصل الخلق إلى الحق، وهي محجة بيضاء ليلها كنهارها لا لبس فيها، لوجود من يجسد

(١) المائدة ٥: ٣.

(٢) المائدة ٥: ٦٧.

مفاهيمها ، ويبيّن الحقّ من الباطل ، وهو الذي يجب اتّباعه ، وقد أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما أراد معاوية ومن معه أن يخدعوا الناس برفع المصاحف ، فقال عليه السلام : « أنا القرآن الناطق »<sup>(١)</sup> يشير إلى حديث الثقلين ، وإلى قوله صلى الله عليه وآله : « لَنْ يَفْتَرِقَا » ، فهو صلى الله عليه وآله يعرف القرآن وليس من يرفع القرآن من أجل مصالحه ، والإمام عليه السلام أوضح حقيقة ما قاله المصطفى صلى الله عليه وآله في عرفة وفي غدیر خم لكي يزيل الأباطيل والترّهات التي لا معنى لها ، لتصبح ولايته عليه السلام كالشمس في رابعة النهار .

---

(١) ينابيع المودّة : ١ : ٢١٤ .



## مبادئ النظام السياسي في فكر الإمام عليّ عليه السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

### مؤهلات الحاكم في فكر أهل البيت .

الحاكمية في الفكر الإسلامي لله تعالى ، فله الولاية والهيمنة على عالم الوجود ، والحكم الإسلامي ديني ، الدين هو مصدر التشريع . وقد اختلف المسلمون منذ القدم في مسألة الحاكمية من الحاكم على الناس ؟ وما هي المؤهلات التي يجب أن تتوفر فيه ؟ وما هو مصدر الشرعية للحكومة ؟ هذه الأمور أوجبت خلافاً كبيراً منذ القدم حتى عند غير المسلمين ، ولعل بعض حيثيات الخلاف انعكست على فكرنا الإسلامي ، وهناك نظريات متعددة يدّعي كل فريق أنّ النظرية التي آمن بها هي نظرية الإسلام وأن غيرها بعيدة عن الفكر الإسلامي ، غير أنّ أتباع أهل البيت عليه السلام يعتقدون جازمين أنّ أصحّ النظريات ما استندت لفكرهم عليه السلام ، وفي عقيدتنا أنّ السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله للأئمة من أهل بيته عليه السلام ، سواء كانت سلطة سياسية أو قانونية ، تحكم سلوك الفرد والأمة ، والتشريع العملي المستمد من القانون يرجع لأهل البيت عليه السلام باعتبارهم الأنموذج الأكمل .

---

(١) الأنعام ٦ : ٥٧ .

## شبهات حول مطالبة الإمام عليّ بالسلطة:

من هنا نجد أهل البيت عليهم السلام يتحدثون بصراحة تامّة تدلّ على أنّهم أولى الناس بالحاكمية، وهم الأجدر بقيادة المجتمع، حتّى أنّ بعضاً ممّن كتب في سيرة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام اتّهم الإمام بأنّه طالب سلطة، ولديه ظمأ وتوق لاستلام الحكم، يظهر ذلك من تصريحاته عليه السلام باعتباره يرى أنّ السلطة حقّه وهو الأجدر بها، في هذا الإطار سنستعرض بعض ما أثير حول الإمام عليه السلام:

### الأولى: التأكيد المتكرّر على أحقيّته بالسلطة.

نقرأ في كلمات متعدّدة لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام بيان أحقيّته بالسلطة، ففي كلمة مشهورة قال عليه السلام: «وَأَنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا»<sup>(١)</sup>: يشير عليه السلام إلى الخليفة الأوّل، وأنّه يعلم بأحقيّته بالسلطة.

وقال في كلمة أخرى: «أرى تُراثي نهباً»: وهي واضحة في أنّ السلطة ترجع إليه. وقال عليه السلام: «مَا زِلْتُ مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ، مَدْفُوعًا عَمَّا أَسْتَحِقُّهُ وَأَسْتَوْجِبُهُ»<sup>(٢)</sup>: وقد سمع الإمام عليه السلام صارخاً ينادي أنا مظلوم، فقال الإمام عليه السلام: «هَلُمَّ فَلْنُصْرِخْ مَعًا، فَإِنِّي مَا زِلْتُ مَظْلُومًا»<sup>(٣)</sup>.

هذه التصريحات دعت بعضاً إلى القول بأنّ الإمام عليه السلام كان نهباً في حبه للسلطة. وإذا نظرنا إلى تصريحاته عليه السلام الأنفة دون ربط لها ببقية كلامه عليه السلام يمكن أن يتصوّر أنّه عليه السلام كسائر الناس جُبل على حبّ الشهرة والاثرة، غير أنّ الإمام عليه السلام يختلف كلياً، وتصريحاته التي تلونا بعضاً منها إذا وضعت في نصابها الصحيح مع تصريحاته

(١) نهج البلاغة: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩: ٦٢٩، الحديث ٤١.

(٣) المصدر المتقدم: الحديث ٤٠.



الأخرى نصل إلى أنه عليه السلام كان يطلب السلطة لا للسلطة وإنما لتحقيق أمور أخرى ، والسلطة عنده وسيلة لتحقيق ما يتوق الوصول إليه ، والأحاديث والروايات التي رويت عن كثير من الصحابة أبانت أنه عليه السلام كان يريد أن يحقق مجموعة من الأهداف .

روى عبد الله بن عباس حبر الأمة أنه دخل على الإمام عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال عليه السلام : « ما قيمة هذه النعل يا بن عباس ؟ قال ابن عباس : لا قيمة لها ، فالتفت إليه الإمام عليه السلام وقال : والله لهي أحب إلي من إمرتكم ، إلا أن أقيم حقاً ، أو أدفع باطلاً<sup>(١)</sup> ونعلم هنا بهدف الإمام عليه السلام وأن ذلك الطلب الملحاح في الوصول إلى السلطة كان لأجل تحقيق هدف سام هو إقامة الحق ودفع الباطل ، وقد صرح الإمام عليه السلام بذلك عندما قال : « إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا التَّمَّاسِ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، فهو عليه السلام كان يطلب السلطة لرد معالم الدين وإبانتها بين الناس ليتحقق ، فيأمن المظلومون من عبادك ، « وَتُقَامَ المُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ<sup>(٢)</sup> ذلك هو هدف طلبه عليه السلام .

### الثانية : طلب السلطة لمنافسة الأمويين .

تصور بعض أن الإمام عليه السلام كان يطلب السلطة لأجل علمه أن الأمويين قد أعدوا العدة للاستيلاء على السلطة ، ولا يريد أن يسبقوه إليها ، لوجود منافسة بين الهاشميين والأمويين ، وكان طلبه عليه السلام للسلطة من أجل إيصال الهاشميين إلى المناصب الرفيعة والثراء المالي على حساب بقية الأمة .

وهذا تصور خاطئ وغير صحيح ؛ لأن الإمام عليه السلام واضح في أهدافه ، جلي في

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣٣ . شرح النهج : ٢ : ١٨٥ .

(٢) نهج البلاغة : ٢ : ١٣ .

توجّهاته ، فالعدل غايته ، بل تجسّد في شخصيته ، فلا إثرة عنده لأحدٍ على أحد ، ولا يهتمّ القرابة فيؤثرها على القانون ، بل القداسة عنده للقانون ، لذا عندما تولّى السلطة وجاءه أقرب المقرّبين إليه - أخوه عقيل - وكان في حالة شديدة من الفقر ، وطلب شيئاً من المال ، قال له الإمام عليه السلام : « ألا فدونك » يقول عقيل : فأهويت حريضاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة ، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً ، فلمّا قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره ، الإمام عليه السلام يرى قداسة القانون ، ولم يؤثر أقرب الناس إليه - أخوه عقيل - على حساب القانون ، فقد كان المجتمع يزرع تحت الفقر ، ولم يُرد عليه أن يُميّز أحداً على أحد ، الجميع عنده كأسنان المشط سواسية ، وبعد ذلك قال عليه السلام لعقيل : « تكلتك أمك ، هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا ، فكيف بك وبى غداً إن سلكتنا في سلاسل جهنم » ، ثم قرأ عليه السلام قوله تعالى : ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (١) . (٢)

هذا هو العدل ، وليس الأمر كما ظنّ بعض أن الإمام يريد أن يُمكنّ للهاشميين باعتباره يرى أن الحزب الأمويّ يريد أن يستولي على السلطة بالدهاء والمكر ، فذلك

(١) غافر ٤٠ : ٧١ .

(٢) قال عقيل : أفويت وأصابني مخمصة شديدة ، فسألته فلم تند صفاته ، فجمعت صبياني وجنته بهم والبؤس والضرّ ظاهران عليهم ، فقال : اتسني عشية لأدفع إليك شيئاً ، فجنّته يقودني أحد ولدي ، فأمره بالتنحيّ ثم قال : ألا فدونك ، فأهويت حريضاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة ، فوضعت يدي على حديد تلتهب ناراً ، فلمّا قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت جازره ، فقال لي : تكلتك أمك ، هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا ، فكيف بك وبى غداً أن سلكتنا في سلاسل جهنم ؟ ثم قرأ ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ ، ثم قال : ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك إلا ما ترى ، فانصرف إلى أهلك ، فجعل معاوية يتعجب ويقول : هيهات ، عقت النساء أن تلد بمثله . بحار الأنوار : ٤٢ : ١١٨ .

تصوّر غير صحيح ، بل كان عليه السلام يطمح لأخذ السلطة لسيادة القانون ، وإقامة العدل ، وإجراء الحدود .

ففي موقف آخر عندما أتى عبد الله بن جعفر الطيّار ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لو أمرت لي بمعونته أو نفقته ، فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي . أجابه الإمام عليه السلام بجواب قاطع ، أوضح فيه المقاصد العامة التي طمح إليها في السلطة وأنها لأجل تحقيق العدالة ، قائلاً : لا والله ، ما أجِدُ لك شيئاً إلا أن تأمر عمك يسرق فيعطيك<sup>(١)</sup> . جواب في غاية الصرامة أبان فيه عليه السلام حديّة القانون ، حتّى على المقرّبين لديه ، فطموحه عليه السلام لاستلام السلطة لأنّه يرى أنّه أحقّ بها من غيره ، للوصيّة عليه من المصطفى عليه السلام .

### الثالثة : الإمام عليه السلام لا يأخذ بالشورى .

لقد انتقد بعض الناس علياً عليه السلام عندما استلم السلطة بأنّه ليس سياسياً يأخذ بمشورة أولي الحجى ، كعبد الله بن عباس والمغيرة بن شعبة وغيرهما ممّن أشاروا على الإمام عليه السلام بأن يُمكن بعض الولاة غير الصالحين فترة محدودة إلى أن تستتبّ الأمور ثمّ يعزلهم ، وهذا غير صحيح من جهتين :

#### الأولى : أنّ فعل الإمام تشريع .

لا بدّ أن يتّضح أمر جدّ هامّ ، وهو أنّ الإمام عليه السلام يختلف عن غيره من السياسيين ، فإذا ولى عليه السلام أحداً من الناس مع ظلمه وبطشه فسوف يستمدّ شرعيّته من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وبالتالي يصبح فعله مستنداً إلى القانون الإلهي ، وهذا لا يقبله الإمام عليه السلام ، هذه النقطة لا بدّ أن ينظر إليها بتأمل ، والإمام عليه السلام بمواقفه الشرعيّة وعدم قبوله أن يستلم أحد السلطة من قبله كي لا يستند في شرعيّته وظلمه إلى الإمام عليه السلام ،

(١) بحار الأنوار : ٢٩ : ٤٩٥ .

لذا سعى عليّ إلى وضع الأمور في نصابها السليم حتّى لا يؤخذ عليه مأخذ، وهو المعصوم الذي لا ينطق زيغاً، ولا يقول شططاً، ويمثّل فعله الحقّ تعالى .

### الثانية: الإمام يرفض الدهاء السياسيّ .

الإمام عليّ ليس كما تصوّر بعض بأنّه لا يملك دهاءً سياسياً، أو لا يفهم في السياسة، فقد قال عليّ: «وَاللّٰهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدَهَىٰ مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ»<sup>(١)</sup> .  
إذن المسألة لا ترتبط بالدهاء السياسيّ، وقتل شخص على الظنّة والتهمه، ورشوة الآخرين بالمال في سبيل تحقيق مصالح خاصّة له أو لفئة على حساب القانون الإلهيّ، لا يقبله الإمام أمير المؤمنين عليّ .

### أسس الحكم عند الإمام عليّ عليّ :

انطلق الإمام عليّ في حكمه من الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وحتّى تتضح لنا مواقف الإمام في استنادها إلى الرقيّ والتقدّم بالمجتمع يحسن أن نفهم أنّ ما وصل إليه الفكر السياسيّ الناجح هو الاعتماد على نقاط ستّ :  
**الأولى:** أنّ من يدير دفة الحكم والسياسة لا بدّ أن يتّسم بالعلم بالحكمة والمعرفة في تصرّفاته .

**الثانية:** أن يجسّد القانون والشرعيّة أكمل تجسيد، وهنا نرى الإمام عليّ لا يُداني في تجسيده القانون والشرعيّة، وقد ذكرنا مثالين بارزين .

**الثالثة:** المشروعيّة والرضا من الأمة، حتّى لا تختلف بعض أجزاء الأمة مع بعضها الآخر فتحدث قلاقل في المجتمع فلا يخدم بعضه بعضه الآخر، لذا تحدّث الإمام عليّ عن هذا لما أخذت الخلافة منه فقال: «فَصَبْرَتْ وَفِي الْعَيْنِ

(١) نهج البلاغة: ٢ : ١٨٠ .

(٢) الأنعام: ٦ : ٥٧ .

قَدْزَى . وَفِي الْحَلْقِ شَجَاً ، أَرَى تَرَاثِي نَهْبًا<sup>(١)</sup> . صبره ﷺ لمصلحة الأمة ؛ لأن الأمة إذا كانت مهتدة بأخطار متعدّدة ، ولم يراعِ السياسيّ مصلحة الأمة ، ستكون الأمة في مهبّ الريح ، ولن تستطيع أن تكون أمة رائدة ، وقد أراد الإمام ﷺ لأمتنا الإسلاميّة أن تكون خير أمة ، وكان ينظر إلى مشروعيّة الرضا والقبول من الأمة بنظرة اعتبار ، فهو ﷺ لم يُقدم على ولاية الأمة إلاّ عندما رأى أنّ الأمة بايعته بالرضا والقبول بإجماع عزّ مثيله وإنْ نكث بعضهم بيعته ﷺ فيما بعد .

**الرابعة:** القدرة والقوّة ، القائد الناجح لا بدّ أن يكون قديراً قوياً في تنفيذ قدرته لئلاّ تكون أوامره واهنة ، والإمام ﷺ مثل منتهى البأس والشجاعة في القوّة والقدرة في أوامره ومواقفه .

**الخامسة:** المشاركة ، فلا بدّ أن تكون الأمة كالجسد الواحد يشترك بعض أجزائه في خدمة بعضه الآخر البلاد والعباد ، وما أروع ما كان يراه ﷺ من المشاركة بين أفراد الأمة ، فكان يُسند المهام إلى الكفاءات العالية التكنوقراط من الشخصيات الكبيرة كمحمّد بن أبي بكر ، ومالك الأشتر ، وعبد الله بن عبّاس ، ممّن تتوافر فيهم القابليّات في المشاركة .

**السادسة:** التوازن ، ويراد به هنا أنّ مدن العالم الإسلاميّ لا بدّ أن تأخذ نصيبها من النموّ والتقدّم ، فلا ينمو بعضها على حساب بعضها الآخر ، ممّا يؤثّر سلباً على ذلك البعض .

وكان ﷺ لا يقبل أن يتفوّق جسد الأمة وينمو بعضه على الآخر بسبب أنّه ﷺ ينتمي إليه ، فلم يجعل مكّة أو المدينة تتقدّم على بقية المدن والأقاليم في العالم الإسلاميّ ، بل كان ينظر إلى التوازن فيما يحكمه في العالم الإسلاميّ نظرة المسؤوليّة باعتبارها الحاكم الذي مثّل السماء .

(١) نهج البلاغة : ١ : ٣١ .

من هنا قال بعض الدارسين الغربيين لشخص الإمام عليّ - بيشاريان -: «إنّ مبادئ الديمقراطية الحديثة موجودة في فكره». ومواقف الإمام عليّ المتعدّدة عندما ينظر إليها وتؤخذ بعين الاعتبار يُعلم أنّ الإمام عليّ عملاق الإسلام الخالد، ولا يصحّ أن تُجزئ فكر الإمام ثمّ نتهمه، وفي ذكرى مولده الشريف يتجسّد الإمام عليّ لنا أسوة لكلّ سياسيّ يريد الله تعالى والآخرة، ولا يريد أن يُمكنّ نفسه على حساب البسطاء من الناس.

## دعائم الحرّية في النظرية الإسلامية

قال الله تعالى :

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم

نبارك للأمة الإسلامية جمعاء الميلاذ الميمون للنبي الأعظم ﷺ الذي جسّد معالم العدل والحرّية للبشريّة جمعاء، وحرّي بنا في ذكرى ميلاده أن نتذكّر درساً من الدروس التي أرسى ﷺ دعائمها، يرتبط بالحرية في حياته ﷺ التي انعكست على الأمة الإسلامية أولاً، ومن ثمّ على البشريّة جمعاء، وكما يتّضح هذا الدرس الكبير، لا بدّ أن نلّم ببعض ما حصل على الإنسانيّة إلى يومنا هذا.

### دور الظلم في طمس حقوق الإنسان .

نظرة عابرة فيما حصل في التاريخ الماضي إلى يومنا هذا يتّضح منها بأنّ الظلم الذي تحمّله الإنسان، ووقع عليه من أخيه الإنسان، هو أعظم بأضعاف متعدّدة ممّا سبّته الكوارث الطبيعيّة كالبراكين والزلازل؛ لأنّ هذا الظلم تسبّب في جعل الملايين يموتون بالفقر والفاقة، أمّا من عاش فلم يستطع أن يتذوّق طعم الحياة، وأن يهنأ بالعيش، أي أنّ الكثير من الشعوب التي عاشت في الماضي

---

(١) البقرة ٢ : ٣٠ .

وتعيش في الحاضر لم تهناً برغد العيش ، ويعود ذلك إلى الظلم الذي مارسه الإنسان تجاه أخيه الإنسان .

### دور العبادة لله في تحقيق الحرّية .

من هنا نعرف أنّ الثقافة التي أرساها المصطفى ﷺ انعكست على عامّة الناس حيث أصبحت حديث الشارع في زمن النبي ﷺ وإلى زماننا الراهن ، فمن أطلع على الثقافة الإسلاميّة وجد أنّها تمثّل الجانب النظريّ في حياة المسلم ، أمّا في الجانب التطبيقيّ فإنّ المسلمين -كغيرهم من الأمم - لم يُفعلوا تلك الثقافة في واقعهم ، وأخذوا بالإسلام كنظريّة وليس كتطبيق عمليّ على واقعهم المعاش .

إذن حديثنا يرتبط بالجانب النظريّ من الفترة الزاهرة للنبيّ ﷺ التي أشاد فيها دعائم تلك الحرّية ، وأوضح الملامح العامّة لها لدى الإنسان العربيّ الذي لم يعرف غير الظلم ، وكان ﷺ يدعو الشعوب والأمم الأخرى إلى عبادة الله وترك عبادة الإنسان ، أي أنّ الدين الإسلاميّ أوجز ﷺ رسالته في إخراج البشريّة من عبادة الأصنام والأوثان ، وإخراجهم من عبادة الإنسان إلى عبادة الله تعالى ، وهي مقدّمة لحرّية الإنسان الداخليّة ، وبالتالي ستعكس على حرّيته في الخارج ، وتوصله إلى رشده كفرد ورشد المجتمع كأمّة .

### كرامة الإنسان :

لا نجد لدى الفلاسفة والمفكرين منذ غابر التاريخ من العمق ما نجده في الثقافة الإسلاميّة ، ويتجلّى ذلك في أي القرآن الكريم والروايات الواردة عن النبيّ ﷺ التي تشجب الظلم ، وتؤكد على إرساء دعائم العدل والكرامة للإنسان ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(١)</sup> ، والآية تشير إلى نقاط ذات أهميّة بالغة :

(١) الإسراء ١٧ : ٧٠ .



**الأولى:** أن الفرد - الذي ينضوي تحت دائرة الإنسانية - مكرم من قبل الله بغض النظر عن اللون أو العرق أو الثقافة أو التفكير أو المعتقد .

**الثانية:** أن الإنسان كريم على الله تعالى ، والذُّل الذي يصاب به ينبثق من لدن إنسان آخر ثقافته الاستبداد لا يأخذ بمنهج الله ، بل يسير على وفق مصالحه الشخصية ، أمّا منطق النبي ﷺ الذي أكّده في أحاديثه فهو احترام كرامة الإنسان ، ولم تدرك البشرية آنذاك هذا النوع من التفكير ، لذا نجد فارقاً جوهرياً بين ما أوجده النبي ﷺ وما أوجده غيره .

**الثالثة:** أن كرامة الإنسان هي أساس دعامة الحرّية ، وقد أبانها القرآن من خلال الآية السابقة ، بينما نجد القليل من المفكرين والفلاسفة في العالم ممّن توجه إلى ذلك مؤخراً بعد قرون وسنين متطاولة ، أثقل فيها كاهل البشرية بالظلم الفادح ، لهذا نجد في المقدمة الأولى لإعلان حقوق الإنسان : « إن احترام كرامة الإنسان بغض النظر عن عرقه ولونه ومعتقده يُشكّل أساساً لحرّيته » .

**الرابعة:** أن التكريم ربطه القرآن بالإيمان بالله تعالى ، أي أن يكون الإنسان عبداً رقاً للواحد الأحد ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً »<sup>(١)</sup> : أي أن الله أوجد الإنسان وهو يتمتع بكافة حقوقه التي منحه الله إيّاها ، وليس لأيّ إنسان حقّ في أن يسلبها منه أو يمنحها إيّاها ؛ لأنه لا يملكها ، ولذلك عندما يطالب الإنسان بالحرّية والعدل فهو يطالب بذلك الحقّ الإلهيّ الذي أوجده الله تعالى مقترناً معه بنحو لا ينفصل عنه .

### معوقات الحرّية الإنسانية :

استطاع العمق الفكريّ والعقديّ للإسلام أن يقوِّض مبدأ رقيّة الإنسان للآخر ،

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٥١ .

بينما رأى الفلاسفة والمفكرّون بأنّ حياة الإنسان لا يمكن أن يتحقّق فيها عدل ، وذلك للتناقضات الداخليّة غير القابلة للحل ، وهي :

**الأوّل :** التناقض بين أفراد النوع الإنسانيّ في أفكارهم وثقافتهم .

**الثاني :** اختلاف المصالح بين الفرد والفرد الآخر ، وبين الفرد والأمة ، وبين الأمة والأمة الأخرى ، غير أنّنا لا نجد تميّزاً للأمة على أخرى في الإسلام ، فلم يجعل الفرد على آخر فضلاً ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، فألغى الميزات التي يفتخر بها الإنسان لتقدّمه في الفنّ والفكر أو غيرهما من الامتيازات ، وجعل تقوى الله تعالى والسير في صراط عبوديته المائز الأوحد .

**الثالث :** اختلاف الناس في تشخيص المنهج الموصل إلى الخير ، وقد ألغى الإسلام ذلك ، ولم يجعل شخصاً بيده الخير لإنسان ، بل جعل تحديد ذلك كلّ بيد الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

**الرابع :** امتلاك الإنسان للقدرات الكبيرة التي يستطيع بها أن يقبل الحقائق ، وأن يجعل الحقّ باطلاً والباطل حقّاً ، كما نشاهد ذلك في العصر الحاضر نتيجة لدور وسائل الإعلام في قلب الحقائق ، أمّا الإسلام فقد قام بالمعالجة الجذريّة للظلم ، والتأكيد على مبادئ العدل ، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه ، ليس في الجانب الاقتصاديّ فحسب ، بل في كلّ الجوانب والنواحي ، فلا يحقّ لأمة أن تستخدم القدرات التي تتمتع بها في قبال أمة أخرى حيث تجعل الباطل حقّاً كي تصل إلى مصالحها وتقدّمها على المصالح العامّة للمجتمع البشريّ ككلّ .

**الخامس :** عدم وجود حدّ لكمال الإنسان ، أي أنّه غير محدود في كماله ، ولذلك

(١) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٩ .

تجدون البشرية على مستوى الأمم والأفراد تتطور مترقبة دون الوصول إلى حدّ تقف عليه .

هذه الأسباب الخمسة التي أوضحناها هي أسباب رئيسة في جعل مبادئ العدل غير سائدة ، وجعل الظلم يتجدد في نفوس الأفراد والأمم .

### منهج الوصول إلى الحرّية :

أكد القرآن الكريم على أنّ الوصول إلى الحرّية من خلال أمرين لا بدّ أن يُنظر إليهما على حدّ سواء :

**الأول:** أنّ الحرّية مبدأ يجب على الإنسان أن يصل إليه وهو يرتبط بالله تعالى ، لكنّه مرتبط من جهة أخرى بوجود تضادّ كما أشرنا ، والتضادّ لا ينكره الإسلام ولكنّه ينبغي أن يتوازن في مسار الإنسان ، وفي خطواته التي يريد أن يصل بها إلى أهدافه وغاياته المثلى التي تقوم على ركيزتين :

**الأولى:** الكفر بالطاغوت . قال تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾<sup>(١)</sup> ، الطاغوت في اللغة هو الطغيان ، لذا يجب أن يحارب الطغاة من منطلق الإيمان بالله ، والتمسك بالعروة الوثقى التي هي المنهج الإلهي الذي أرسى دعائمه المصطفى ﷺ . إنّ الإنسان قد تحصل له مبادئ الإيمان والخير ، لكنّه يترهّب فلا يحارب الظلم والطغيان ، ولا يأخذ حقوقه كي يصل إلى الحرّية .

**الثانية:** الإيمان بالله تعالى هو المبدأ العقديّ الأوّل الذي طرحه المصطفى ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ، فوقف قائماً

(١) البقرة ٢: ٢٥٦ .

(٢) الشعراء ٢٦: ٢١٤ .

وقال: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»<sup>(١)</sup>: أي أنّ الفلاح يكمن في كلمة التوحيد التي تجعل الإنسان يعيش الحرّيّة والعدل والمساواة بينه وبين أخيه الإنسان، وبينه وبين سائر المفردات، فالتوحيد والعبادة لله وحده لا يستحقّها غيره، لذلك نجد أمر التوحيد بيّناً واضحاً في فكر أهل البيت عليهم السلام.

قال الباقر عليه السلام: «مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ»<sup>(٢)</sup>، ينطبق هذا الفكر على كلّ معالم الحياة، وكلّ المفردات التي يريد الإنسان أن يتعامل وإياها.

**الثاني:** تأكيد الإسلام على الفارق الجوهريّ والكبير بين الحرّيّة التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، والحرّيّة التي تصل إليها الموجودات الأخرى التي لا تفكر ولا تدرك، فإذا وضعنا عائقاً أمام النموّ الطبيعيّ للحيوان أو النبات سوف يختلف عن العائق أمام النموّ والرشد الطبيعيّ للإنسان؛ لأنّ النبات لن ينمو إذا وضعنا عليه ثقلاً، لكن العائق في فكر الإنسان ليس مادّيّاً، وإنّما هو معنويّاً يمنع الإنسان من الوصول إلى الثقافة والقيم والمبادئ والعدل والمساواة، ويمنعه أيضاً من استرداد حقوقه، كلّ هذه المبادئ أكّد عليها الإسلام، ولن توجد بهذا النحو من الشموليّة والوضوح في منهج غير المنهج الذي أرسى دعائمه المصطفى صلى الله عليه وآله؛ لذا فإنّ ذكرى المصطفى والتأكيد على ما حقّقه للبشريّة جمعاء بلسم شافٍ للنفوس الظمّاء إلى الحرّيّة والمشتاقّة إلى العدل التي تريد أن تعمل للوصول إلى القيم والمثل المحقّقة لسعادة الإنسانيّة جمعاء.

(١) بحار الأنور: ١٨: ٢٠٢.

(٢) الكافي: ٦: ٤٣٤، الحديث ٢٤.

## أُطر الحُرِّيَّة في واقعها الديني

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ  
بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

### أهميَّة الحرِّيَّة المقنَّنة للإنسان .

حرِّيَّة الإنسان تمثّل مطلباً فطرياً له ، فهو تواق إلى ممارسة أمور دينه بحرِّيَّة تامَّة ، ولا يختصّ ذلك بالمجال الديني والعقديّ فحسب ، بل في كلّ مجالات الحياة ، وقد أولى ديننا الإسلاميّ أهميَّة فائقة للحرِّيَّة ، ضمن ضوابط تنسجم مع فطرة الإنسان ، ولا بدّ من التنبيه إلى عدم وجود حرِّيَّة مطلقة في عالمنا ، فلا يمكن لأيّ دينٍ ومُعتقد أو نظامٍ وضعيٍّ أن يفسح المجال للحرِّيَّة الفرديَّة والجماعيَّة بشكلٍ مطلق ؛ لأنّ ذلك يصطدم بعقبات تعود بالضرر الكبير على المجتمع والفرد .

### الحرِّيَّة المقنَّنة طريق إلى السعادة .

ولإيضاح مفهوم تقنين الحرِّيَّة لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الباري تعالى خلق الإنسان لإيصاله للسعادة ، وليس الهدف من الخلق أن يمارس جميع ما يتوق إليه دون غاية

---

(١) البقرة ٢: ٢٥٦ .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، والغاية من خلقه هي إيصاله إلى السعادة، التي لا تتحقق إلا إذا مارس حرّيته بشكل تامّ، وهذا من المبادئ التي قُزرت في الشريعة الإسلامية بطائفة من الأحاديث، أبانت أنّ الإنسان لو أُجبر مقسوراً على الوصول إلى ما يريده الله تعالى لانتفى الهدف من التشريع، فالله تعالى وضع جميع القوانين في العبادات والمعاملات، وأتاح للإنسان مساحة واسعة من الحرّية ليمارس جميع عباداته ومعاملاته بنحو لا يتعارض مع كماله من ناحية، ولا يسبب مشاكل للآخرين من أفراد وجماعات من ناحية أخرى، فيُتاح للجميع السير في مسار يحقق الكمال للأفراد والفئات، هذا هو المرتكز للقانون الذي أجازته الحقّ تعالى وكان منسجماً مع فطرة الإنسان، ومع تقدّمه في مجالات الحياة المختلفة، بينما لو كان الأمر بخلاف ذلك لتعارض مع ما ينبغي أن يكون عليه كفرد أو فئة أو أمة.

### الإسلام يدعو للحرّية الدينيّة.

ركّز ديننا الإسلاميّ على كلمتين واكتفى بهما للدخول إلى ربقة الدين هما الشهادتان، وكان النبيّ ﷺ يؤكّد على كلمة التوحيد فقط في بدء الدعوة «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»<sup>(٢)</sup>، وكلمة التوحيد مقترنة بالرسالة، فلا يمكن عزلها عن الشهادة للمصطفى ﷺ بالرسالة، فالتوحيد دون نظام لن يؤدي إلى نتيجة، والإيمان به لا ينفك عن الإيمان بالرسالة بنحو عامّ.

وهذا ما أكّد عليه في الإسلام، فقد اعتبر اليهوديّة والنصرانيّة من الديانات التوحيدية في المجال العامّ، وأجاز للمسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات السماوية أن يتعايشوا على نسق قانون موحد. وأبان ذلك النبيّ ﷺ في معاهدة

(١) المؤمنون ٢٣ : ١١٥.

(٢) بحار الأنور: ١٨ : ٢٠٢، عن مناقب آل أبي طالب : ١ : ٥٦.

صلح الحديبية التي أبرمها، فاعترض بعض المسلمين على قبوله ﷺ لبنود الصلح، التي يحقّ فيها للمشركين المطالبة بمن انضوى تحت الدين الإسلامي، وأعطى ﷺ الحرية في المجال العقديّ لبعض أبناء المسلمين الذين تنصّروا أو تهودوا، وعندما اعترض عليه أبأؤهم لم يستجب لندائهم في إجبارهم على الرجوع، وجعل لأولئك نفر من الأبناء حرّيتهم الدينيّة، وأكد أنّ مساواة الإسلام لبقية الأديان السماويّة من ناحية الحرّية، واستشهد ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (١).

### حرّية التعايش في نظر الإسلام.

إنّ القرآن عندما يبيّن حرّية اعتناق الدين - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ - من ناحية، لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢) من ناحية أخرى، باعتبار أنّ هذه الآية تؤكد أنّ الإسلام هو المعتقد الصحيح، والديانة غير المحرّفة والكاملة، وللبقية ممّن ينتمون إلى الأديان السماويّة الأخرى الحرّية في العيش المشترك والسلم الاجتماعي مع المسلمين، وهو ما استشهد به النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، فهو ﷺ لم يركّز على التفاصيل الدقيقة في التوحيد، وكلّ من دخل دائرة الإسلام موحداً مؤمناً برسالة المصطفى ﷺ فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، حتّى لو اختلف في تفاصيل الإيمان بالتوحيد والرسالة.

### حرمة دم المسلم تقنين للحرّية.

إذا تصفّحنا التاريخ الإسلامي نجد تركيزاً من لدن النبي ﷺ على حرمة الدم المسلم، ففي إحدى الغزوات التي أرسل ﷺ أسامة بن زيد لبعض المشركين،

(١) البقرة ٢: ٢٥٦.

(٢) آل عمران ٣: ١٩.

والتقى فيها بشخصٍ نطق بالشهادتين فقتله ، وعندما أخير النبي ﷺ بقتل أسامة ذلك الرجل ، قال له : « قَتَلْتَ رَجُلًا شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » ، فقال أسامة : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ » ، أي خوفاً على نفسه من القتل ، قال ﷺ : « فَلَا شَقَقْتَ الْغَطَاءَ عَنْ قَلْبِهِ »<sup>(١)</sup> أي هل أطلعت على داخل قلبه فعرفت عدم إيمانه ، عند ذلك ندم أسامة ندماً تمنى أنه لم يُسلم إلا بعد تلکم الحادثة . فالنبي ﷺ وضع ضوابط عامة لا يمكن من خلالها لمسلم أن يُكفر آخر على قراءته وفهمه الخاص في الجانب العقدي .

وشكّلت هذه الضوابط بنداً قانونياً وإطاراً دستورياً ، ينضوي تحته كل المسلمين ، وهو مبدأ ( لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ) .

### خطأ التكفير وواقع الحرّية .

غير أنّ الكثير من المسلمين وقعوا في اشتباهات قديماً وحديثاً ، فمنذ القدم كانت فرقة الخوارج التي تصوّرت أنّ كل من لم يعتقد بالأصول العقديّة التي آمنت بها فهو ضالّ ويجب أن يحارب ، فكفّروا المسلمين ، ونتج عن ذلك حربهم لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلماتهم في شعرهم ونثرهم كانت تُظهره كافرًا ، وكانوا يقتلون المسلمين الذين لا يعتقدون بمعتقدهم ، وعندما يرون بعض النصارى أو اليهود يتنادون فيما بينهم : ( الله الله في ذمّة نبيكم ) ، أي أنّ النبي ﷺ لم يُجز للمسلمين أن يعتدوا على المعاهدين من النصارى واليهود ، فإذا كان هذا حال الذمّيّ فحقوق المسلم أولى أن تصانء؛ لأنّه دخل في ربة الإسلام بالشهادتين ، بيد أنّ هؤلاء وقعوا في أغاليط كثيرة أدّت إلى التأخر الكبير لأمتنا الإسلاميّة ، ولا زال ذلك الفكر الضيق إلى يوم الناس هذا ، لا أقول في فرقة بعينها ، بل في

(١) بحار الأنوار: ٢١ : ١١ ، نقلاً عن تفسير القمي : ١ : ١٤٨ و ١٤٩ .



أكثر من فرقة من فرق المسلمين؛ إذ ينبري أحدهم ليركز على صحة معتقده، وأن ما آمن به هو ما أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ، وبقية المعتقدات ليست صحيحة، وبترقى ليعتبر أن كل من آمن بخلاف معتقده فهو كافر ومستحل الدم.

### نتائج الفهم الخاطئ للحرية.

هذه القراءة الخاطئة تقزيم لفكرنا الإسلامي، ومخالفة لما ورد في آيات القرآن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، كما أنها قراءة خاضعة للتقليد، ولا تقبل النقد والمقارنة، اللذان يتيحان للإنسان أن يتسع بفكره، فيشمل كل من آمن بالإسلام، ويترك ذلك النظر الضيق للآخرين، فالفهم المختزل للشرع الإسلامي يُقزّم فكرنا الإسلامي، ويجعلنا أمة متشرذمة يحارب بعضها بعضاً، ولا يعود هذا على جميع المنتمين للإسلام إلا بالضرر الوبيل والداء الكبير؛ لأن المرض إذا استشرى في جسد أمتنا الإسلامية سوف يُولد ردود أفعال سيئة تجعل العالم الإسلامي لا يعيش الحرية كما أرادها الحق تعالى للمسلمين، ويؤدي إلى القضاء على الجميع.

### نظرة أهل البيت عليه السلام لحرية المعتقد.

ولإيضاح هذه الفكرة أورد بعض ما جاء في فكر مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المجال بالذات، فقد دخل المفضل بن عمر ذات يوم مسجد النبي ﷺ، فجلس متأملاً مفكراً في عظمته ﷺ، التي استطاع من خلالها أن يوحد القبائل المتناثرة ويقضي على الكثير من العادات السيئة كعادة وأد البنات، التي كانت تشكل لدى القبائل العربية جزءاً من ذواتهم وأطراً لشخصياتهم، لكنه ﷺ بتأييد من الله

(١) البقرة ٢: ١٧٠.

تعالى استطاع أن يقضي على العادات الضارة في المجتمع ، وفي أثناء تفكيره دخل أحد الملحدين إلى المسجد وهو ابن أبي العوجاء مع أحد أصحابه ، وتهجم على النبي ﷺ لأنه خدع المسلمين وجعلهم يتبعونه دون دراية وتفكير ، فكان يفكر على خلاف ما يفكر به المفضل ، ثم أخذ ابن أبي العوجاء يذم النبي ﷺ ، ويطعن في الكثير من المعتقدات الإسلامية ، فما كان من المفضل إلا أن انبرى له بهجوم شديد ، فالتفت إليه ابن أبي العوجاء ، قائلاً : أنت من أتباع من ؟ قال له : مسلم ، فقال : المسلمون على طوائف ، أنت من أيها ؟ - أي تتبع مذهب من ؟ - قال : أنا من أتباع جعفر بن محمد ، فالتفت إليه ، قائلاً : لقد كنا نقول هذا الكلام أمام جعفر بن محمد وكان ينتظرنا حتى ننهي كلامنا ، ثم ينبري إلينا راداً علينا ومفنداً لشبهاتنا ، فهلاً كنت كصاحبك ؟ عند ذلك تأثر المفضل من كلامه ، فذهب إلى الإمام الصادق عليه السلام فأطلعته على ما حدث ، وكانت النتيجة أن أملى الإمام عليه السلام توحيد المفضل ، الذي أبان فيه الكثير من دقائق التوحيد<sup>(١)</sup> .

ومحلّ الشاهد أنّ الإمام الصادق عليه السلام وبالرغم من معرفته بهذا التفكير الضالّ إلا أنّه أتاح لهم مساحة من الحرّية ليوصلهم إلى استنشاق حلاوة الإيمان ، ولم يسع إلى تقييد الفكر الآخر أو تحجيمه ، وكان هذا منهجاً واضحاً سلكه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، ولم يمارسوا أسلوب الاتّهام بالباطل والضلال والتكفير لمن يخالفهم ، وكان ديدنهم فسح المجال للآخرين ليبدوا آراءهم بحرّية تامّة ، وهو منهج القرآن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup> .

وعلينا أن نركّز على حقانيّة الإسلام مع إتاحة المجال للرأي الآخر في اطار الدليل والمنطق السليم ، للوصول إلى الحقيقة والصواب .

(١) بحار الأنوار: ٣: ٥٨ .

(٢) البقرة ٢: ٢٥٦ .

## العدل بين النظريات الحديثة وشمولية الإسلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

هدف الرسالات السماوية المتعددة إيصال البشرية جمعاء إلى القيام بالعدل والقسط، وهو ما ركز عليه القرآن؛ ذلك أن العدل مطلب في غاية الأهمية، لذا دعا الناس إلى الالتزام به، إلا أن نظرة الناس إلى العدل تختلف وتتشعب إلى نظريات متعددة.

### معنى العدل.

العدل أو العدالة عندما يطلقان فإن المفهوم منهما واضح لدى الناس جميعاً، وهو ضدّ الجور والظلم، والعاقل من لا يظلم غيره ولا نفسه، فالعدالة من ناحية المفهوم أمر بديهي يدركه كل الناس، فمن كان لديه مال وأصبح مسؤولاً عن توزيعه فإن كان عادلاً قسّمه بالسوية، وإن كان ظالماً ومجحفاً فسيعمل الهوى في قسمته، ويعطي قسماً من الناس أكثر من القسم الآخر، ذلك يتنافى مع العدالة التي أوضحها القرآن الكريم، ومفهوم العدالة الذي ألمحت إليه في الناحية الاقتصادية لتوزيع الثروة، لا يعني أن العدل مقتصر على هذا المعنى، وإنما هو مفهوم عام يشمل

---

(١) الحديد ٥٧ : ٢٥.

الصعيد العلمي والثقافي والفكري وهلمّ جراً، ففي كلّ مفردة من المفردات يمكن للإنسان أن يمارس جوراً وظلماً، ويمكنه أن يمثّل العدل في العمل الذي يقوم به أو يصدر عنه.

### النظريات المختلفة في العدل:

نوجز اختلاف الناس في العدل في أربع نظريات:

#### الأولى: العدل من الآراء المحمودة.

الفلاسفة والمفكرون لديهم نظريّتهم الخاصّة في مفردة العدل، قال بعضهم: إنّ العدل من الآراء المحمودة، والرأي المحمود هو الذي يستحسنه الناس، كالآداب العامّة، كاحترام الصغير للكبير وتقديره، وكذلك عطف الكبير على الصغير، هذا النحو من الآداب العامّة من الآراء المحمودة.

#### الثانية: العدل معنى مختلق لا واقع له.

ذهب قسم آخر من المفكرين إلى أنّ العدل مفهوم مختلق لا واقعيّة له، وليس من الآراء المحمودة، بل هو من المطالب التي ابتكرها الضعفاء لأجل جلب العطف من لدن الأقوياء عليهم، والعدل خدعة ابتكرت من قبل الضعفاء لجلب الأقوياء كي يعطوهم حفنة ممّا يمتلكونه، أمّا العدل كمفهوم فهو لا يتّسم بأيّ واقعيّة من الواقعيّات.

وقد تبني هذه النظرية بعض المفكرين والفلاسفة في أوروبا على رأسهم الفيلسوف الألمانيّ - فردريك نيتشه - الذي قال: « طالما أضحكنتني بعض الكلمات التي تتردّد على ألسنة بعض الناس، ومن جملتها العدالة التي لا واقعيّة لها أصلاً، وإنّما هي مفهوم مختلق، ابتكره الضعفاء لكي يعطفوا قلوب الأغنياء والزعماء الأقوياء عليهم ليعطوهم بعض ما يملكون. »

### الثالثة: العدل هو تطبيق القانون فقط .

اعتبر بعض الفلاسفة في العصر الحديث - برتراند رسل - أنّ العدل لا واقع له ، وأنّ الحاجة إليه تكمن في تطبيق القانون فقط ، أمّا إذا ساد القانون وسرى ولو بالقوّة ، فلا حاجة للعدل ؛ إذ الحاجة إليه ناشئة من طبيعة الناس ، في الغالب نجد الناس يتساوون في القدرات ، ولا يتفوّق أحد على غيره فيها ، وإذا لم نُحَكِّم العدل كقانون متّفق عليه سادت شريعة الغاب ، واعتدى بعض الناس على بعضهم الآخر ، وأصبحت الحياة غير منضبطة ، وكثر الهرج والمرج ، من هنا احتيج للعدل لأجل الانضباط في الحياة ، أمّا العدل في نفسه فليس له واقعيّة ، ولو كان هناك تساوي القدرات لم يتعدّد أحد على أحد ، وخلاصة النظرية أنّه لا حاجة للعدل عندما تتساوى القدرات ، والناس كالدول في قدراتها لا تعتدي دولة على أخرى إذا تساويتا أي عندما يكون القويّ قويّاً مطلقاً لا يستطيع أحد أن يمسّ حرمة ، ولا يحتاج إلى تحكيم قانون العدل ؛ لأنّ جميع ما يصدر منه وفق الأمور الطبيعيّة التي تسري على الضعيف شاء أم أبى .

### الرابعة: العدل أمر فطريّ .

جسّد أهل البيت عليهم السلام العدل في الإسلام فكراً وسلوكاً ، بدءاً بالنبي صلى الله عليه وآله ومروراً بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وانتهاءً بالإمام المهدي عليه السلام ، ويختلف هذا العدل عن النظريات التي استعرضناها ؛ إذ أنّ العدل هنا فطرة فطر الله تعالى الناس عليها ، كفطرتهم على حبّ العلم والمعرفة ، فكّل الناس يبحثون ويتطلّعون للتعرف على الواقع المجهول ، والباري تعالى فطرهم على مجموعة من الغرائز ، كالجوع يحتاجون فيه للأكل أو الجنس الذي يتطلّب إشباعاً ، هذه الغرائز فطريّة ، ويظهر من أيّ الذكر الحكيم والروايات أنّ الله تعالى فطر الخلائق على العدل كما فطرهم على التوحيد ، وأنّ كلّ إنسان إذا خُلّي وفطرته أحبّ العدل .

## العدل بين النظرية والتطبيق.

يحبّ الإنسان بفطرته العدل لكنّه لا يطبّقه في عمله وسلوكه ، ومشكلة المفارقة تعود إلى انحراف الفطرة ؛ إذ أنّ الإنسان في عالم الطبيعة يحاول دائماً أن يسير نحو الكمال فيظنّه التفوّق على غيره ولا يتحقّق ذلك إلا بالظلم ، فإذا ظلم غيره واغتصب حقوقه فهو الأقوى ، وقد كان هذا مبدأ المجتمع القرشيّ ، من خلال شعارهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾<sup>(١)</sup> ، وهو شعار فرعونيّ يرى أنّ العلوّ والاستكبار على الآخرين يُمثّل الجمال والكمال . والصحيح أنّ العلوّ يمثّل جمالاً إذا لم يكن ناشئاً من ظلم الغير ، بل كان بتفعيل قدرات الإنسان الذاتية التي أشار إليها الحقّ تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالعلوّ والتفوّق يظهر جمالاً بالتقوى ، وليس بالظلم ، الذي يمثّل تسافلاً وسقوطاً من الناحية الإنسانية .

## الحاجة إلى العدل.

العدل في الفكر الإسلاميّ - خصوصاً - المستنبط من مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها ، وهناك عشرات ، بل مئات من الأحاديث التي تحدّثت عن العدالة على الصعيد الفقهيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والثقافيّ ، فإمام الجماعة الذي يصلّي خلفه لا بدّ أن يكون عادلاً ومنضبطاً سلوكيّاً وفق القانون الإلهيّ .

وكذلك مرجع التقليد والقاضي لا بدّ من توافر العدالة لديهما ، وهذا جزء من فهمنا للإسلام كدين للفطرة ، وهناك العديد من المفردات التي نحتاج إلى العدالة فيها كجزء من تطبيق القانون عباديّاً أو سلوكيّاً .

(١) طه ٢٠ : ٦٤ .

(٢) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

## العدل في عصر الإمام المهدي عليه السلام.

إذن العدل فطرة أودعت في كل أفراد البشرية ، والإنسان إذا خُلي وطبعه مال بفطرته إلى العدالة التي تحكم كل المجتمع البشري ، ولهذا نرى قسماً كبيراً من الأحاديث الواردة في الإمام المهدي عليه السلام تتحدث عن العدل : « يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا »<sup>(١)</sup> : أي أنه عليه السلام يطبق العدالة ، ليس في المجال الاقتصادي الذي قد يقوم به أي شخص ، بل في جميع المجالات - الإعلامية والثقافية والفكرية والعلمية والاجتماعية - وتطبيق العدالة في عصره عليه السلام في كل مفردات الحياة ، وكلمة (يملؤها) في الأحاديث لا تخص صعيداً أو مجالاً واحداً ، بل تشمل جميع الأصعدة وفي جميع المجالات ، فلا يبقى للظلم معنى في عصره عليه السلام ، بل يبدل المفاهيم الخاطئة ، ويرسخ العدالة كفطرة للإنسانية ومطلب سماوي يحقق الهدف والغاية من جميع الرسالات التي جاء بها أنبياء الله تعالى عبر تاريخ الإنسان الطويل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ - القانون والدستور الواضح ، الذي يزنون وقيسون به - لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالميزان يمثل القانون الذي يهدف إلى إيصال المجتمع البشري إلى الخير ، ويجسد الطبيعة الكامنة في ذاته .

وهذا ما أبانه أمير المؤمنين عليه السلام في كلمته الرائعة التي تشير إلى الغاية من بعث الأنبياء والرسول « وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ »<sup>(٣)</sup> : أي أن ركاباً قد حدث بالظلم والإجحاف الذي اجتاح المجتمع البشري من خلال الأهواء والنظريات والتطبيقات الخاطئة للعدل ، فيأتي الرسل والأنبياء « وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ » :

(١) بحار الأنوار : ١٢ : ١٩٥ .

(٢) الحديد ٥٧ : ٢٥ .

(٣) نهج البلاغة : ١ : ٢٣ .

أي يزيلوا الشوائب والركام ، فيرجع العقل إلى نوره ورؤيته الحقائق .

### نقد النظريات في العدل .

نظرية ( نيتشه ) وكذلك نظرية ( برتراند رسل ) ليستا بصحيحتين ، وهما لا يرسخان الظلم والإجحاف بين الشعوب فحسب ، بل يؤديان إلى امتصاص دماء الشعوب المستضعفة على حساب شعوب أخرى مستكبرة ومستعلية .

### العدل الحقيقي في الإسلام .

طرح الإسلام العدالة تجسيدا للعدل الحقيقي المستقى من فكر أهل البيت عليهم السلام ، والإسلام لا يتشدد بالعدالة كما يفعل الظالمون دون تطبيق من الناحية العملية ، بل يجسد الإمام المهدي عليه السلام العدل في دولته المباركة ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

(١) التوبة ٩ : ٣٣ .



## الظلم وآثاره الدنيوية والأخروية

### القسم الأول الظلم وهلاك الأمم

قال الله تعالى :

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

صدق الله العلي العظيم

ينبغي للعاقل أن يتفكر في الأحداث الكبرى في عالمنا العربي والعالم بنحو عام ، ويرى الأسباب التي أدت إليها ، ويتعرف على آثارها وتداعياتها المختلفة ، فالتداعيات لم تأت من فراغ .

### أثر الظلم في الأحداث العالمية .

إن من أهم الأسباب لما يحدث الظلم الفادح الذي مورس في عالمنا العربي قهر الشعوب ، والتعامل معها كقطعان من الماشية ، تُقاد دون كرامة ودون أن يُرى لها

---

(١) الأنعام ٦ : ٢١ ، ١٣٥ . يوسف ١٢ : ٢٣ . القصص ٢٨ : ٣٧ .

(٢) البقرة ٢ : ٢٥٨ . آل عمران ٣ : ٨٦ . التوبة ٩ : ١٩ ، ١٠٩ . الصف ٦١ : ٧ . الجمعة ٥٢ : ٥ .

حقوق، إنَّ الظلم المستشري سبب رئيس لما حدث في عالمنا العربي من تدايعات، بل في العالم بأسره، والظلم أثره دمار الحضارات وهلاك الأمم، فالحضارات تتدمر والنعم تزول.

### بين النصر والعدل.

على المسلمين -وخصوصاً من ينتمي لمذهب أهل البيت عليهم السلام - أن يفكّر ملياً بتأثير الآثار الوبيلة المترتبة على الظلم، وأن لا يغترّ بالمظاهر البرّاقة، وجبروت الحكّام والحكومات بظلمها وانتصارها، فنصرها ظلّ زائل لن يدوم تأثيره أبداً؛ ذلك أنّ الوجود لا يرتبط بالعوامل الماديّة فحسب، بل له أسس وعوامل غيبية لا تقلّ في تأثيرها عن العوامل الماديّة إنّ لم تكن أعظم، وما يتراءى لبعض من تحقيق نصر، سرعان ما يُخطف، والنصر إنّ لم يكن على أسس من العدل فإنّ تدايعاته مهلكة، وتصوّر بعض الحكّام أنّه بمكان مكين لا يستطيع أن يصل أحد إليه خاطئ؛ لأنّ قدرة الله تعالى اللامتناهية له بالمرصاد، ولن يستطيع أن يحمي نفسه، وسيذهب جبروته وقدراته وما لديه من إمكانيّات ليكون عبرة لمن فكّر وادكر.

### النصر المزيّف في العالم.

علينا أن لا نغترّ بالنصر الزائف، ولا ننظر إلى حكومة أو بلد أو قوّة كبرى حققت انتصاراً، فالنصر إذا لم يكن على أسس العدالة والحقانيّة لن يدوم، وينبغي للمسلم السائر على الصراط المستقيم أن ينظر إليه بهذه الرؤية، ذلك ما صدحت به الآيات والروايات، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، الظلم لن يحقق انتصاراً دائماً، ونصر الظالم ﴿كَسْرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup>، يتلاشى زائلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، والظالم بعيد عن الهدى

(١) النور ٢٤: ٣٩.

يعمّه في غيّه ، وما يتراءى إليه من ظفر ونصر لن يدوم ؛ لأنّ الهداية الإلهية بمعزل عن الظالم ، ولن يصل لما أراه ، وتلك سنّة تاريخية .

### الاستعداد لما بعد الموت .

لقد تحدّث الرسول ﷺ عن أهميّة انتقال الإنسان من الدنيا بزيادة وحسنات دون عقبات ، قال ﷺ : « بين الجنّة والعدل سبع عقبات ، أهونها الموت قال أنس : قلت : يارسول الله ﷺ ، فما أصعبها ؟ - أي إذا كان الموت أهون العقبات ، فما هي العقبة الأصعب على العبد ؟ - قال ﷺ : الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ إذا تعلقّ المظلومون بالظالمين » (١) .

### نهاية الظلم .

يتعلّق المظلوم بالظالم بين يدي الله تعالى قائلاً وفني حقّي ، ولا يتمكّن الظالم عندئذٍ من اجتياز هذه العقبة ، فهو وإنّ حقّق ما يبتغيه في عالم الدنيا إلاّ أنّه لن يدوم ، فالحضارة لا تدوم والملك لا يستمرّ ، والدنيا ملئت بحضارات سادت فبادت كالإغريقية والرومانية والفارسية والهندية والفرعونية لظلمها ، وفي منطق التاريخ ولدى علماء الاجتماع أنّ الحضارة تمرّ بأدوار - ضعف وقوّة ، وضعف وموت - غير أنّ منطق الله تعالى هو دمار الظالمين ، أمّا من سار على العدل متّبعاً للهدى فقوّته لا تزول ما إن تمسّك بالعدل ، والقرآن الكريم والأنبياء أكّدا ذلك ، فالنبي ﷺ لمّا سأله أنس عن أصعب العقبات ، قال ﷺ : « الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ إذا تعلقّ المظلومون بالظالمين » .

وأشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأثر السيئ للظلم في عالمي الدنيا والآخرة ،

(١) كنز العمال : ٣ : ٨٢٤ ، ٨٨٦٢ .

قال عليّ: «الظُّلمُ في الدُّنيا بوارٌّ، وفي الآخرة دمارٌ»<sup>(١)</sup>: أي أنّ الدنيا وإن تحقّق للإنسان فيها ما يتغيه فلن يدوم له ذلك، والله تعالى ينتقم من الظالمين، ويسلّط بعضهم على بعضهم الآخر، ويسلّط عليهم أمراضاً مستعصية يتمنى الظالم عند ذلك أنّه لم يظلم أحداً. إنّ الظلم - سواءً كان فردياً أو جماعياً كظلم الطغاة - يعود تأثيره على الظالم وعلى المتعلّقين به في الدنيا بوار، وفي الآخرة دمار.

### منطق عدل الله تعالى في الآخرة.

قال الإمام عليّ: «بُئسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعِدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ»<sup>(٢)</sup>.

إنّ الظالم قد يصل إلى الله تعالى خالي الوفاض فتكون أعماله وحسناته للمظلوم، بل قد توضع سيئات المظلوم في ميزان الظالم، ذلك منطق عدل الله تعالى في عالم الآخرة، وبعض آثاره تتحقّق في الدنيا، قال الإمام عليّ: «أَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ»<sup>(٣)</sup>: ينبّه الإمام عليّ إلى معادلة هي أنّ من تعرّض إلى ابتلاءات من ظالم واستطاع أن يظلمه، لا يسوغ له ذلك؛ إذ أنّ المآل والعاقبة للمتّقين، والدنيا ليست بخالدة، وحققيّة الحياة في عالم الآخرة، ومن قدم على الله تعالى ظالماً أزال المعاني النبيلة عن قاموس حياته ليحشر مع هامان وفرعون.

### الله تعالى المنتقم من الظالم.

تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليّ كثيراً عن الظلم والظالمين، وعن الآثار والعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك.

(١) غرر الحكم: ٤٥٧، الرقم ١٠٤٣٧.

(٢) نهج البلاغة: ٤: ٥٠.

(٣) نهج البلاغة: ٢: ٣٩.

قال عليه السلام: « وَاللَّهِ لَأَنَّ أَيْتَ عَلَيَّ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، أَوْ أُجْرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ »<sup>(١)</sup>.

إنَّ المبيت على حسك السعدان - الشوك الحاد الذي تتغذى عليه الإبل - ساهراً ، مربوطاً ومقيداً بأغلال ، أهون من لقاء الله تعالى بظلم بعض عباده ، ذلك منطوق الحق - منطوق أنبياء الله ورسوله - أما منطوق الظالمين فغير ذلك ، خصوصاً إذا امتلك الظالم قوة فإنه سيحسم أمره بها دون مراعاة لدين أو قانون إلا أن القوة سراب زائل وسينتقم الله تعالى من الظالم ويعاقبه أشد عقاب ، في المثل الأحسائي (إنَّ الله تعالى لا يضرب بعصا) أي ﴿إِنَّ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> ، فيضرب الظالم ضربة لا يقوم بعدها أبداً ، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup> ، والكون جميعه بيده تعالى ، لذا عبَّر الإمام عليه السلام بقوله : « وَاللَّهِ لَأَنَّ أَيْتَ عَلَيَّ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، أَوْ أُجْرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغاصِباً لَشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ».

### النفس البشرية عاجزة عن الظلم.

ثم بيَّن عليه السلام مغزى الظلم ، فقال عليه السلام: « وَكَيْفَ أَظْلَمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلِيِّ قُفُولُهَا ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا »<sup>(٤)</sup>.

من طبيعة الإنسان أن يمرَّ بابتلاءات متعددة إلى أن يموت وهو معنى « يُسْرِعُ إِلَى الْبَلِيِّ قُفُولُهَا » ، وبعد خروج روحه من جسده يعيش في عالم الآخرة مدة غير محدودة ، واليوم الواحد يعدل عند الله تعالى ألف سنة مما تعدون ، من هنا

(١) و (٤) نهج البلاغة : ٢ : ٢١٦ .

(٢) هود ١١ : ١٠٢ .

(٣) البقرة ٢ : ١٦٥ .

على المرء أن يتفكّر في العواقب الوخيمة بعمق ولا تغرّته المظاهر الخدّاعة ،  
ومن حسم الأمور بقوة ظناً منه أنّ ذلك هو العاقبة فهو واهم ، فالعاقبة للمتقين ،  
ولا يختصّ ذلك بعالم الآخرة فحسب ، بل في الدنيا أيضاً ، فهو قانون عام لا يزول ،  
ولن يستمرّ الظالم لكونه على خلاف قوانين الحقّ تعالى ، ولا بدّ أن يزول لتكون  
العاقبة السيئة والوخيمة جزاءه .

أمّا قوله عليه السلام : « وَكَيْفَ أَظْلِمَ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى السَّبَلِ قَوْلُهَا ، وَيَطُولُ فِي  
الثَّرَى حُلُولُهَا » فهو تعبير بليغ يدلّ به الإمام عليه السلام على بقاء الظالم أحقاباً بعذاب  
اليم .

### الظالم لا يشمّ رائحة الجنة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إِيَّاكَ وَالْجُورَ ، فَإِنَّ الْجَائِرَ لَا يُرِيحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ »<sup>(١)</sup> .  
إنّ كثيراً من الناس لا يدخل الجنة لكنّه يشمّ رائحتها ، فرائحتها تشمّ من مسيرة  
خمسمائة سنة من سني عالم الآخرة ، وقد أشارت الروايات إلى ذلك إلا أنّ الجائر  
الظالم لن يستمتع بأيّ شيء منها ، بل يسلبه الله تعالى جميع حسناته ويضع سيئات  
المظلومين عليه .

### الظلم أعظم المعاصي .

قال عليه السلام : « إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّهُ أَكْبَرُ الْمَعَاصِي »<sup>(٢)</sup> : قد يظنّ بعض أنّ بعض  
المعاصي أكبر من الظلم ، إلا أنّ الإمام عليه السلام بيّن أنّ أعظمها ظلم الآخرين ، إذ هو سلب  
الإنسان حقّه .

(١) غرر الحكم : ٤٥٧ ، الرقم ١٠٤٣٩ .

(٢) المصدر المتقدم : الرقم ١٠٤٣٨ .

### العدالة تديم النعم .

لقد أشارت بعض الروايات إلى دوام الملك مع الكفر والعدالة ، وإلى زواله مع الظلم والإسلام ، فالنعم تدوم مستمرة للعدل ، وقد يخرج نسل صالح من صلبه لعدله ، ويخفف عليه العذاب وإن كان كافراً .

### الظلم يسلب الحسنات .

إن الجائر الظالم تبعد عنه المحاسن ، وتفارقه النعم ، لتكون في الآخرة ظلمات ، وليس له من الله تعالى رحمة ، قال تعالى : ﴿ فَتِلْكَ مَبِئُتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

### القانون الإلهي لا استثناء فيه .

من يتفكر وينظر بتأمل يعلم بدقة القوانين الإلهية ، فلا يمكن أن يفلت أحد منها ، والحكومات والدول في عصرنا تمتلك إعلاماً فوق الخيال تستطيع به قلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، غير أن الواقع لا يتغير عند الله تعالى ، والآثار الوخيمة المترتبة على الظلم معادلة لا يفلت منها أحد .

### تدمير الحضارات .

إن أعظم عامل لتدمير الحضارات ، وأفول الدول ، وهلاك الأفراد ، الجور ، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام أشار إليه كقانون إلهي عام يحيق بالظالم الجائر ، وأسوأ الجور ظلم الأقربين ، فبعض الناس يجور على إخوته في الإرث ، وبعضهم يظلم جيرانه ، أو من له عليه سلطة ، كظلم الرئيس لمرووسيه . إن من يتمتع بقدرات كبيرة ،

(١) النمل ٢٧ : ٥٢ .

ويتسلط على أمم، ويظلم الناس جهاراً، فإن ظلمه سيحقيق به مدمراً، لتكون عاقبته الخسران في الدنيا قبل الآخرة، ولن يريح رائحة الجنة في الآخرة.

## القسم الثاني

### الظلم يمحق العمل الصالح

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>

صدق الله العلي العظيم

### آثار الظلم:

الظلم من أهم العوامل لزوال الحضارات وتدمير الأمم والملوك، وقد تحدت عنه الذكر الكريم والروايات، وبيّننا بعض الآثار المترتبة عليه في عالمي الدنيا والآخرة، وهناك آثار أخرى.

### الأول: محق العمل الصالح في الآخرة.

قد تصدر من بعض الظالمين خيرات وحسنات؛ إذ لا يوجد ظالم إلا وله بعض أعمال الخير؛ لأن عالم الدنيا لا يوجد فيه شرّ مطلق وخير مطلق، فالخير مصحوب بشرّ والشرّ مصحوب بخير، والظالم له حسنات وأعمال طيبة، وقد يغترّ بعض الناس بهذه الأعمال الطيبة التي تصدر من الظالمين، غير أنها لا تساوي شيئاً في ميزان العدل الإلهي.

(١) يونس ١٠: ١٣.



نعم ، في الدنيا تعود عليه بعض الآثار لأعمال الخير التي صدرت منه ، أمّا في عالم الآخرة فينقطع عمله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) ، فالمتّقون هم الذين يحصلون على الخيرات بأعمالهم الطيبة في الآخرة .

### مراحل محق العمل في الآخرة :

قال رسول الله ﷺ : « إنه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته ، فيجزيء الرجل فيقول : يا ربّ ظلمني هذا ، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله ، فما يزال كذلك حتّى ما يبقى له حسنة ، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيّئاته فجعلت مع سيّئات الرجل ، فلا يزال يُستوفى منه حتّى يدخل النار» (٢) . يُبين الحديث محق عمل الظالم في الآخرة ، ويتحقّق ذلك في مرحلتين :

### الأولى : ذهاب حسنات الظالم .

قوله ﷺ : « وقد سرّته حسناته » : أي أنّ الظالم عنده جبال من حسنات ؛ بنى المساجد وكفل الأيتام وساعد الفقراء والمعوزين ، ثمّ يجزيء المظلوم قائلاً : يا ربّي ظلمني هذا ، فيؤخذ من حسنات الظالم ويوضع في ميزان المظلوم ، وما يزال ذلك حتّى تنتهي حسنات الظالم ، ويبقى صفر اليدين .

### الثانية : وضع سيّئات المظلوم في ميزان الظالم .

قال ﷺ : « فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيّئاته فجعلت مع سيّئات الرجل ، فلا يزال يُستوفى منه حتّى يدخل النار » : أي إذا جاء أخريقول : يا ربّ ظلمني هذا ، يُنظر في سيّئات المظلوم فتوضع على سيّئات الظالم ولا يزال يُستوفى منه ، أي توضع جميع السيّئات في ميزانه حتّى يدخل النار لخلوّه من الحسنات وامتلاء ميزانه بالسيّئات .

(١) المائدة ٥ : ٢٧ .

(٢) البداية والنهاية : ٢ : ١٧٧١ .

إذن من الآثار الوضعية للظلم وضع سيئات المظلوم في ميزان الظالم، والمظلوم لا يريح الحسنات فقط، بل تزول سيئاته لتوضع في ميزان الظالم، فيخفف ميزانه ليدخل النار، لذا ما يقوم به بعض الأثرياء الظالمين من بناء مساجد وعمل خيرات سيذهب إلى المظلومين.

### الثاني: سرعة تعجيل العقوبة.

إن من آثار الظلم الوضعية سرعة تعجيل النعمة، وتختلف السرعة عند الله تعالى منها عندنا، فموسى سأل الله تعالى أن يطمس على أموال فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(١)</sup>؛ لأن غاية الأموال إضلال العباد، واللام في الآية للعاقبة، وأجاب الله تعالى دعوته، وطلب منه أن يستقيم مع أخيه هارون ولا يتبعان سبيل الذين لا يعلمون لأن العاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### سرعة العقوبة والقوى المادية.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى سرعة تعجيل عقوبة الظالم، قال عليه السلام: «وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ»<sup>(٣)</sup>. إن بعض الناس لديه أموال وسلطان، وتصب الدنيا في صالحه، غير أن ذلك بقدره من الله تعالى، وهو تعالى

(١) يونس ١٠: ٨٨.

(٢) يونس ١٠: ٨٩.

(٣) نهج البلاغة - عهده عليه السلام لمالك الأشتر.

يُحوّل المقادير، وقد رأينا في عالمنا العربي أنّ المقادير تغيّرت بين ليلة وضحاها في غضون أيام قلائل، وما كان يخطر على بال بعض الظالمين التغيّر السريع رغم كون ميزان القوى في صالحه، لدعم دول العالم له والمُلك وإمارة الجيش لديه إلا أنّ تلك القوى انهارت في أيام معدودة ليُبين الله تعالى قدرته اللامتناهية، ورغم ذلك يُصِرُّ بعض الظالمين في ممارسة الظلم لأنه يرى أنّ قدراته تكبر وتعظم، فيقيم على ظلمه، ويستمرّ على ذلك.

### الثالث: قِصَرُ العُمر.

إنّ الله تعالى يقصم عمر الظالم، للعمر معنيان -كما قال بعض العلماء -: عمر طبيعي وآخر امتداديّ عبر الذريّة، والطبيعيّ ينقص وينقص، والامتداديّ ينقص أيضاً، وكلا العمرين يتلاشيان. نعم، قد تقتضي حكمة الله تعالى التي لا تُعلم طول عُمر بعض الظالمين لكنّه يأخذه أخذ عزيز مقتدر فينقص عمره الامتداديّ فلا يكون له ذريّة، وقد ينقصم كلا عمره فلا ذريّة ولا عمر، والله تعالى للظالمين بالمرصاد، قال الإمام عليّ: «مَنْ ظَلَمَ قَصَمَ عُمُرَهُ»<sup>(١)</sup> وقال عليّ: «مَنْ جَارَ أَهْلَكَ جَوْرُهُ»<sup>(٢)</sup>. إنّ الجور سبب رئيس للهلاك والبوار ويؤدّي إلى كساد على أكثر من صعيد.

### الرابع: الظلم توأم الحرب والفتنة.

إنّ الظالم يظلم من أجل الاستقرار لملكه، أو بقاء ثروته وهيمنته، غير أنّ النتيجة المترتبة على الظلم زعزعة الملك، وخراب الوطن، وكساد الاقتصاد المؤدّي إلى قلة المال، ومن قرأ ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية سيجد أنّ الظلم الذي مورس في حقّ الأمم والشعوب هو السبب الذي أدّى إلى

(١) غرر الحكم: ٤٥٧، الرقم ١٠٤٣٥.

(٢) المصدر المتقدم: الرقم ١٠٤٣٢.

اشتعال النار التي أحرقت ملايين الناس ، وترتّب عليها دمار وخراب البلدان .  
 إنّ الحرب في زماننا لا تحسم بالسيف كما كان عليه الحال في الأزمنة الغابرة ،  
 لقد تغيّرت موازين القوى ، وأصبح بعض الظالمين يمارس ظلماً بغطرسته ، وسرعان  
 ما يبدأ سلطانه بالتآكل والانحسار والضعف ، وقد رأيت بعض الإمبراطوريات التي  
 ما كان يخطر على بال أحد زوالها ظلمت شعوباً ، واستمرّ الحال عشرات السنين ،  
 لكنّها تهاوت بسرعة فائقة كالاتحاد السوفيتي .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « أَحْذَرِ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ ، فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ  
 بِالْجَلَاءِ ، وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ »<sup>(١)</sup> . العسف هو السير على غير هدى ،  
 وركوب الأمر من غير تدبير ، والحيف هو الظلم ، والمشاهد أنّ الظلم يؤدي في  
 نهاية المطاف إلى حروب وتدخلات ، أمّا العدل والسير على الصراط السويّ فيؤدي  
 إلى الدعة والاستقرار ، وتوق الناس إليه لانسجامه مع فطرتهم .

### العدل يحقق الأمن .

إنّ العدل وتحكيم القانون سنّة أودعها الله تعالى في جيلة الخلق ، وربط الدنيا  
 والآخرة بهما ، غير أنّ بعض الظالمين يظلم لأجل الأمن ، مع أنّ المعادلة هي أنّ  
 الظلم لا يحقق أمناً ، بل يترتّب عليه انعدام الأمن والحرب والفتنة ، قال تعالى :  
 ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ، ولا يختصّ  
 ذلك بالآخرة ، بل في الدنيا أيضاً ، فمن أراد الأمن عليه بالعدل فعاقبته استقلال  
 الدول ، والأمن للشعوب .

### الخامس : الظلم مانع من آثار العبادات .

يتصوّر بعض المسلمين خطأ أنّ ما ورد من أحاديث في فضل الصلاة والصوم

(١) بحار الأنوار : ٧٢ : ٣٥٠ ، الحديث ٥٩ ، نقلاً عن روضة الواعظين : ٢ : ٤٦٧ .

والعبادات كقوله ﷺ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا . قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا»<sup>(١)</sup> كافي لإزالة آثار الظلم ، فيظلم الناس ويمارس العبادات من أجل أن تقيه عذاب الآخرة ، غير أن ذلك التصور خاطئ ، والإسلام جوهره العدل وسنانه القسط ، والروايات المبيّنة للغفران لا تشمل الظالمين كما أوضحت ذلك روايات أخرى ، والذنوب التي تغفر بالطاعات لا تشمل ظلم العباد ، ومهما فعل العبد من طاعة لن يغفر الله تعالى ظلمه لعباده كما نصّت على ذلك بعض الأحاديث .

### أنواع الظلم .

قال رسول الله ﷺ: « الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً ، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك ، قال الله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً ، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه ، من صوم يوم تركه ، أو صلاة تركها ، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء الله ، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً ، فظلم العباد بعضهم بعضاً ، القصاص لا محالة»<sup>(٣)</sup> .

وقال الإمام عليّ عليه السلام: « أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَعْفُورٌ لَا يُطْلَبُ .

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ، فَالشُّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾<sup>(٤)</sup> ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي

(١) عوالي اللئالي : ١ : ١٠٩ و ١١٠ .

(٢) المائدة : ٥ : ٧٢ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٦ : ٢٤٠ . مجمع الزوائد : ١٠ : ٣٤٨ .

(٤) النساء : ٤ : ٤٨ ، ١١٦ .

لَا يُتْرَكُ فَظَلَمَ الْعِبَادَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(١)</sup>.

فالظلم على ثلاثة أنواع:

**الأول: ظلم العبد لنفسه**، الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، فمن ترك صوماً أو صلاة فهو ظالم لنفسه، إلا أن الله تعالى يغفر لتارك الصلاة والصوم إذا تاب.

**الثاني: الظلم الذي لا يغفر**، وهو الشرك بالله تعالى.

**الثالث: الظلم الذي لا يترك**، وهو ظلم العباد.

**تميز ظلم العباد عن غيره.**

قال الرسول ﷺ: «وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً، فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»، إن الله تعالى يأخذ الحق للمظلوم، ولن يتمكن الظالم من جواز صراط العدل الإلهي في الآخرة ليحصل على النعيم المقيم، لذا بين القرآن الكريم أن الركون إلى الظالم يؤدي إلى النار، وأوضحت الروايات فداحة ظلم العباد.

### القسم الثالث

#### الظالم بين الإمهال والعقاب

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

صدق الله العلي العظيم

(١) بحار الأنوار: ٧٢: ٣٢١، نقلاً عن نهج البلاغة: ٢٥٥ (صبحي الصالح).

(٢) الطلاق ٦٥: ١.

(٣) الأنعام ٦: ٢١، ١٣٥. يوسف ١٢: ٢٣. القصص ٢٨: ٣٧.

## أفدح أنواع الظلم.

لا يزال الكلام موصولاً في الظلم ، وله درجات أفدحها ظلم الإنسان لأخيه الإنسان بسلب حقه ، أو بالاعتداء عليه ، وانتهاك حرمة ، والاعتداء ، وله درجات أيضاً أفدحها ظلم الضعيف الذي ليس له قدرة ، فإن ظلمه أفضح أنواع الظلم .

## ظلم الضعيف.

قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « **ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ** »<sup>(١)</sup> الفاحش هو المتعدّي للحدّ ، والظلم الفاحش الكبير الواسع ، وذلك هو ظلم الضعيف الذي ليس له ناصر ، ويخاف أن يعتدي على غيره فيطالب بحقه سلمياً .

## المطالبة الحضارية بالحقوق.

استعرضت الروايات نمطاً من الناس له الحقّ ويريد أن يحصل عليه بالسلم ، خصوصاً إذا كان حقه لدى إخوانه ، وأقرب الناس إليه ، ولا يريد للقضية أن تأخذ بعداً وانتشاراً واسعاً بين الناس ، فيطالب بحقه من ذوي رحمه سلمياً ، وكذلك يفعل بعض المسلمين لا يريد للظلم أن يتصاعد وينتشر مع كونه يريد الحصول على حقه والمحافظة على حقوق الآخرين .

## الطريقة المثلى لنيل الحقوق.

لعلّ منطوق المطالبة بالحقوق سلمياً غاية البعد عن الفهم لدى البعض في عصرنا الحاضر ذلك للتعدّي الخطير على الحقوق وانتهاك القيم ، فالضعيف المستسلم لا يراعى له حقّ رغم أنّ ظلمه جرم عظيم ، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : « **ظُلْمٌ** »

(١) غرر الحكم : ٣٤٣ ، الرقم ٧٨٦٥ .

الْمُسْتَسْلِمِ أَعْظَمُ الْجُرْمِ»<sup>(١)</sup>. إنَّ من أراد المطالبة بحقه سلمياً دون عنف لرقبه ثم ظلم بمنعه عن حقه، فإنَّ ذلك أعظم الجرم.

### فداحة ظلم المستسلم.

المطالبة السلمية أروع أنواع المطالبة الحضارية لعدم التعدي فيها على الغير، غير أنَّ بعض الظالمين لا يفقه معناها، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إليها، وبين عليه السلام أنَّ المظلوم إذا طالب بحقه سلمياً ولم يعط فإنَّ الظلم يأخذ أبعاداً سيئة، قال عليه السلام: «بُسُّ الظُّلْمِ ظُلْمُ الْمُسْتَسْلِمِ»<sup>(٢)</sup> (بئس للذمِّ و(نعم) للمدح، والسيئ يذمُّ بـ(بئس))، قال تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾<sup>(٣)</sup>، وظلم من لا يجد ناصرًا إلاَّ الله تعالى، ويدعو إلى السلم في المطالبة بحقه، غاية السوء، ويترتب عليه أخذ الظالم أخذ عزيز مقدر باستئصال شأفته.

### افتضاح الظالم تاريخياً.

إنَّ الذين مارسوا الظلم الفادح أخذوا أخذاً سيئاً على حين غرة، فأغرق بعضهم وأصبح مورداً للذمِّ بعد حياته، رغم أنَّه لا يستطيع أحد أن يتحدَّث بسوء عنه في حياته، لامتلاكه القدرة والهيمنة الإعلامية، إلاَّ أنَّه حينما سلَّطت الأضواء على الحقبة الزمنية التي عاشها ومارس ظلمه فيها، تكشف سوءاته وبدا لدارسي تلك الحقبة الزمنية أنَّها كانت غاية السوء رغم أنَّه ظهر الظالم فيها بمظهر المدافع عن الحقِّ المرید للعدل كما يفعل الظالمون في زماننا.

(١) غرر الحكم: ٣٤٣، الرقم ٧٨٦٤.

(٢) غرر الحكم: ٣٤٦، الرقم ٧٩٨١.

(٣) الكهف: ١٨: ٥٠.



## شدة غضب الله تعالى .

قال النبي ﷺ : « اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصرًا غير الله »<sup>(١)</sup> .  
 إن الشعوب في عصرنا تُظلم ويتعدى عليها الطغاة بانتهاك أعراض الناس  
 وسلب أموالهم ، ولا يجد المظلوم ناصرًا غير الله تعالى ، والنبي ﷺ ذكر حديثاً  
 قدسياً عن الله تعالى فقال ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ  
 لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي »<sup>(٢)</sup> . إن غضب الله تعالى وأخذه أليم ينبغي للظالم أن يحذر  
 ذلك ، الأئمة عليهم السلام - وهم التجسيد الحي لعدله تعالى - يفصحون من باب إياك أعني  
 واسمعي يا جارة ، عن عظم الاعتداء على الضعيف ، ومن لا يجد له ناصرًا غير الله  
 تعالى ، وأن ظلمه آثاره وبيلة وسيئة إلى الغاية .

قال الإمام الباقر عليه السلام : « لَمَّا حَضَرَ عَلِيٌّ بَنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَفَاةَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ  
 ثُمَّ قَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرْتَهُ الْوَفَاةَ ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ  
 أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ - يتحدث الإمام زين العابدين لابنه الباقر عليه السلام قائلاً : إن الحسين عليه السلام  
 عندما جاء إلى كربلاء وعلم بمصيره أنه الشهادة أوصى زين العابدين عليه السلام بهذه  
 الوصية - قَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهُ »<sup>(٣)</sup> ؛ ذلك أن  
 هذا الظلم غاية السوء وآثاره سيئة دنيا وآخره .

## الظلم الفرعوني .

يتغطرس الظالم بفعله كفرعون في بني إسرائيل إذ يجد القدرة الكبيرة ، وقد  
 يخيل إليه أنه الإله كفرعون عندما تحدث إلى المصريين ، والظالمون في عصرنا

(١) كنز العمال : ٣ : ٥٠٠ ، الرقم ٧٦٠٥ . الجامع الصغير : ١ : ١٥٨ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٦ : ٥١ ، الباب ٧٧ من أبواب جهاد النفس ، الحديث ١٧ .

(٣) الكافي : ٢ : ٣٣٢ ، الحديث ٥ .

رغم أنهم لا يدعون الألوهية إلا أنهم يمارسون الظلم بالاعتداء على أعراض الناس وحقوقهم وانتهاك حرمتهم ، والفارق بينهم وبين فرعون بادعاء الألوهية فقط ، ويغفل الظالم عن أن الله تعالى حتم النصر العاجل أو الآجل للمظلوم إذا طالب بحقه سلمياً وأراد أن يصل إليه بلافتات حضارية ، ولم يتعد على غيره أو يمارس عنفاً كما فعلت أمتنا العربية في عصرنا .

لقد وسمت الأمم المتحضرة أمتنا بالتخلف والبربرية ، غير أنها وصلت إلى رقي حضاري ، وأصبحت تطالب بحقوقها سلمياً مما دلت على وعي راقٍ يستحق الإشادة .

### إمهال الظالم .

إن الله تعالى حتم النصر العاجل أو الآجل بعد حين . نعم ، قد يمر على المظلوم عقود أربعة ثم ينتصر ، وهي قصيرة في عمر الزمن ، والعاقبة للمظلوم ذلك أن المقاييس تتغير والموازن تتبدل ، قال ﷺ : « إن العبد إذا ظلم فلم ينتصر ، ولم يكن له من ينصره ، ورفع طرفه إلى السماء فدعا الله ، قال الله تعالى : لبنيك أنا أنصرك عاجلاً أو آجلاً »<sup>(١)</sup> ، أي أن الله تعالى يعد بنصره ووعده لا يخلف ، لكنّه يمهل الظالم ويرجئه إلى حين ، وقد تحدّثت الروايات عن إمهاله إلى حدّ تتعجب له الملائكة ، قال ﷺ : « إن الله يمهل الظالم حتى يقول قد أهملني ، ثم يأخذه أخذه رابية »<sup>(٢)</sup> . الأخذ الرابية هي التامة ، ومعنى ذلك أنه لا يدع شيئاً من محاسنه ؛ بل يزيل كل شيء حسن فعله في الدنيا ، ولا يبقى من محاسنه شيئاً عند الناس بل يُظهر سوءه ، وتلك هي الأخذ الرابية ، يتجرّد فيها الظالم

(١) كنز العمال : ٣ : ٥٠٧ ، الرقم ٧٦٤٨ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٢ : ٣٢٢ ، الحديث ٥١ ، نقلاً عن أعلام الدين : ١٨٤ .

من محاسنه ، وتبدو للناس مساوئه ، وقد استدَلَّ ﷺ بالقرآن الكريم على ذلك ، فقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَمِدَ نَفْسَهُ عِنْدَ هَلَاكِ الظَّالِمِينَ فَقَالَ : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) » (٢) ، أي أن الله تعالى أثنى على نفسه بقطع شأفة الظالم المتعدّي على الناس السالب لحقوقهم .

### انتقام الله تعالى من الظالم .

لقد تعجّب جبريل عليه السلام - وهو من أعظم ملائكة الله تعالى - عندما تعدّى فرعون على بني إسرائيل وقال أنا ربكم الأعلى ، وليس هناك إله غيري ، فخاطب جبريل الحقّ تعالى قائلاً : يا إله العالمين ، إنّه فعل أمرين غاية في السوء ، أنكر الألوهيّة بإظهاره أنّه إله الخلق ، وظلم الناس ، وليس ما يستدعي أن يبقى ، وكأنّه عليه السلام اعترض على ذلك كاعتراض الملائكة على خلق الإنسان ، فخاطبه الحقّ تعالى بهذا الخطاب ، لا يستوعب الإنسان العواقب والمعادلات الكونيّة لكونها ليست مرتبطة بموازين عالم المادّة فحسب ، وإنّما بغيب لا يعلم به إلا الله تعالى والراسخون في العلم .

### هلاك فرعون وجنوده .

وردّ الله تعالى على جبرائيل عليه السلام فقال له : « إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا عَبْدٌ مِثْلَكَ » (٣) ، أي المخلوق الضعيف الذي لا يعلم بمعادلات الكون وعواقب الأمور ويخاف الفوت ، أمّا إله العالمين فلا يفوته أحد ؛ إذ لا قدرة إلا به تعالى ، والإمام عليه السلام شرح ذلك فقال عليه السلام : « ظُلَامَةُ الْمَظْلُومِينَ يُمَهِّلُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلَا يُهْمِلُهَا » (٤) ، فهو تعالى

(١) الأنعام ٦ : ٤٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٢ : ٣٢١ ، الحديث ٥٠ ، نقلاً عن كنز الفوائد : ١ : ١٣٥ .

(٣) بحار الأنوار : ١٣ : ١٢٨ ، نقلاً عن الخصال : ٢ : ٥٤٠ ، الحديث ١٢ .

(٤) غرر الحكم : ٣٤٣ ، الرقم ٧٨٦٧ .

يمهل ولا يهمل .

وقال عليه السلام: «وَلَيْنَ أَمْهَلِ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ»<sup>(١)</sup>: الطريق تعبير مجازي لا يراد به الدرب الذي يمر منه ، بل يشمل تصرفات الظالم فيجعل الله تعالى تصرفه مؤدياً إلى النكال الذي يعود عليه بعواقب غير متوقعة ، فهو يتصرف موقناً أن ذلك في صالحه ، ويجعل الله تعالى ذلك حتفه ونكاله ففرعون اقترب من موسى عليه السلام وظن أصحاب موسى عليه السلام أنهم مدركون ، وفرح فرعون متصوراً أنه نال ما يبتغيه ، وتمكن من موسى وأصحابه ، غير أن الله تعالى أغرقه وجنوده وأنجاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية ، إن عقاب الله تعالى بمثابة الشجي يعترض الحلق فلا يستطيع أن يبتلع المرء ريقه ويهلك أسرع ما يكون ، ذلك أنه ليس لأحد في الكون قدرة إلا وهي مستمدة منه تعالى ، وإذا سلبها لم يستطع أحد فعل شيء ، «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ، وعلى الإنسان أن لا يستعجل ويخاف الفوت ، وسيرى العواقب الوخيمة التي تحيط بالظالمين في الدنيا قبل الآخرة .

## القسم الرابع

### انتقام الله تعالى من الظالم

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

صدق الله العلي العظيم

(١) نهج البلاغة : ١ : ١٨٧ .

(٢) هود : ١١ : ١١٣ .

## درجات الظلم :

لازال البحث موصولاً حول آثار الظلم ، إنّ من أعظم الأمور تأثيراً في إيصال الإنسان إلى الرحمة ، ودفعه عن سوء ، ذكر الله تعالى ، غير أنّ ذكر الظالم لله تعالى يتحوّل وباءً ووبالاً عليه .

قال رسول الله ﷺ : «أوحى الله عزّ وجلّ إليّ : يا أخا المرسلين ، يا أخا المنذرين ، أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلاّ بقلوب سليمة ، وألسن صادقة ، وأيد نقيّة ، وفروج طاهرة ، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامه ، فإنّي ألعنه ما دام قائماً بين يدي يصلّي حتّى يردّ تلك الظلامه إلى أهلها»<sup>(١)</sup> ، أي لا يدخل أحدٌ مسجداً من المساجد إلاّ بقلب سليم ، ولسان صادق ، ويد نقيّة ، وفرج طاهر ، والرواية تشير إلى بعض مفردات الظلم ، وأنّ الظالم إذا دخل المسجد من أجل عبادة الله وذكره تحوّلاً وباءً ووبالاً عليه ، فهو ليس لا يستفيد من الذكر فحسب ، بل يكون ذكره نقمة عليه .

وللظلم ثلاث درجات ، نستعرضها متتاليّةً :

## الأولى : الرضا القلبيّ .

أولى درجات الظلم رضا القلب عنه ، فلا ينكر المرء على الظالم بقلبه ، وحينئذٍ يشترك معه ، وعلى الإنسان إذا لم يستطع أن ينكر بلسانه ، أو يجابه الظالم ، الإنكار القلبيّ للظلم ، ومقت الظلم والظالم بقلبه ، وقوله : « بقلوب سليمة » إشارة إلى أنّ القلب السليم هو من ينكر الظلم ويمقت الظالم ، وتلك أقلّ الدرجات عند عدم استطاعة المواجهة .

(١) كنز العمال : ١٥ : ٩٣٣ ، الرقم ٤٣٦٠٠ .

## الثانية: الظلم اللساني.

قوله: «وَألسن صادقة» إشارة إلى أن بعض الناس يتحوّل إلى بوق إعلامي للظالمين، ويأتي إلى المسجد فيذكر الله تعالى، وذكره عندئذٍ يتحوّل مقتاً ووبالاً عليه، إن على المرء أن يكون صادقاً بلسانه كي يستفيد من الذكر، أمّا الأبواق الإعلامية التي تمجّد الظلم وتمدح الظالمين في عصرنا، بل أن بعضها يحوّل الظلم عدلاً، نفاقاً منه وبعداً عن قيم الله تعالى ومبادئ رسالات السماء، فهو بدلاً من الشجب يمدح ظلم الظالمين.

## الثالثة: الظلم بالعمل والسلوك.

قوله: «وأيدٍ نقيّة» أسوأ ما يكون الإنسان أن يساعد الظالم بيده ويتحوّل إلى مدافع عن ظلمه، فإنّه يحشر مع الظالم وفي درجته، لأنّه باع آخرته بدنياه غيره.

قوله: «وفروج طاهرة» إشارة إلى الاعتداء على أعراض الناس، وهو فاحشة وساء سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (١).

## الأثر الوضعي للظلم.

روى ابن عباس: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: قُلْ لِلظَّالِمِينَ: لَا يَذْكُرُونِي، فَإِنَّهُ حَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَ مَنْ ذَكَرَنِي، وَإِنَّ ذِكْرِي إِيَّاهُمْ أَنْ أَلْعَنَهُمْ» (٢): هناك أثر وضعي لكل عمل، والأثر لذكره تعالى أن من ذكر الله تعالى في ملاء ذكره الله في ملاء أكبر من ملائكته، وأن الظالم إذا ذكر الله لعنه الله، طارداً له عن رحمته تعالى، فهو تعالى يُبعد الظالمين غاية البعد عن رحمته.

(١) الإسراء ١٧: ٣٢.

(٢) جامع الأخبار: ١٥٥.

إنَّ المرء تارة يمثّل رأس الظلم ، وأخرى يكون مساعداً وعاوناً للظالم في مجال من المجالات كالإعلام ، وثالثة يرضى بفعل الظالم دون إنكار بقلبه عليه ، إنَّ الإنكار القلبيّ هو الحدّ الأدنى لإنكار الظلم ، وإذا لم ينكر المرء بقلبه فهو ظالم . نعم ، ظلمه أقلّ لأنّه ليس كظلم أئمة الكفر ، غير أنّه يشارك الظالم في ظلمه .

### علامات الظالم :

قال النبي ﷺ : « لِلظَّالِمِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ : يَقْهَرُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ بِالْغَلْبَةِ ، وَمَنْ هُوَ دُونَهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَيُظَاهِرُ الظَّلْمَةَ »<sup>(١)</sup> : بيّن النبي ﷺ ثلاث علامات للظالم :

#### الأولى : القهر بالغبلة .

إنَّ أئمة الظلم يستعلون على من تحتهم بالقهر والغبلة في الأعم الأغلب .

#### الثانية : القهر بالمعصية .

هناك من يظلم باختراق القانون ، يقهر من فوقه بالمعصية ، أي يتعدّى الحدود ، والمتعدّي الحدود عاصٍ ، وأشدّ المعصية خرق القانون الإلهي ، إنَّ من غالب الله تعالى والأنبياء والرسل باختراق القانون فقد ظلم نفسه .

#### الثالثة : نصرة الظالم .

بأن يكون يداً وعيناً في نصرته .

#### آثار إعانة الظالم :

إنَّ نصرة الظالم ومساعدته لها آثار وخيمة على الإنسان ، نستعرض ثلاثاً منها :

(١) مستدرك الوسائل : ١٢ : ١١٠ ، الحديث ١٣٦٥٥ . الجعفریات : ٢٣٢ .

### الأولى: الانتقام من الظالم بالظالم.

من المعادلات التي بينها القرآن الكريم وذكرتها الروايات كقانون يأتي على نحو الأعم الأغلب أن الله تعالى ينتقم من الظالم بظالم، فيصغر الظالم بين يدي الأشدّ ظلماً، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فسّر الإمام الباقر عليه السلام الآية بما تقدّم من أن بعض الظالمين يسلطون على بعضهم الآخر لينتقموا منهم، قال عليه السلام: «مَا أَنْتَصَرَ اللَّهُ مِنْ ظَالِمٍ إِلَّا بِظَالِمٍ»، ثم قرأ الآية الآنفة<sup>(٢)</sup>.

لذا شددت الروايات على أهميّة الإلتفات إلى عدم المشاركة في الظلم بأيّ نحو من الأنحاء، وأنّ على المرء أن ينأى من الظالم، كي لا يتحوّل إلى دركه في العقاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، والآية تبيان على أنه لا يمكن لأحد أن يشفع لمن ساعد الظالم في يوم القيامة، وأنّ من الآثار أن يفقد من أعان الظالم شفاعته أولياء الله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ إذ أنّ من المعلوم أنّ شفاعة الأنبياء والرسل والصالحين بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(٥)</sup>.

### الثانية: اليأس من رحمة الله تعالى.

قال عليه السلام: «من أعان ظالماً على ظلمه، جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب: آيس من رحمة الله»<sup>(٤)</sup>.

إنّ الله تعالى لا يغفر لمن أشرك به، ولن يغفر لمن أعان ظالماً، وقد بيّنت

(١) الأنعام: ٦: ١٢٩.

(٢) الكافي: ٢: ٣٣٤، الحديث ١٩.

(٣) الأنبياء: ٢١: ٢٨.

(٤) كنز العمال: ٦: ٨٤، الرقم ١٤٩٥٠.



الروايات سبب ذلك ، وهو أنّ الذي يساعد الظلمة يرسى قواعد استمرار الظلم ؛ إذ الظالم لو لم يجد مساعداً لقلّ ظلمه ، وعندما يجد المساعد يتفشى ظلمه مستمراً ، من هنا جاء التعبير في غاية الشدّة ، فمن أعان ظالماً لا ينصر يوم القيامة ، بل يكتب على جبهته آيس من رحمة الله تعالى .

### الثالثة : الموت على غير الإسلام .

إنّ بعض الناس ظاهره الإسلام ، لكنّه عند لحظة فصل الروح عن الجسد ، يسلب إيمانه وإسلامه ، حتّى وإنّ تشهّد بالشهادتين لم يفده ذلك شيئاً ، فالإيمان لا بدّ أن يكون قبل الاحتضار ، أمّا إذا كان عنده فلن يفیده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فقد آمن فرعون عند الموت غير أنّ إيمانه لم يفده شيئاً إذ كان ظالماً ، والروايات صرّحت بذلك ، وقد يغترّ بعض الناس بنطق الشهادتين من الظالم آخر حياته ، غير أنّ ذلك لا يفیده ؛ لأنّ من أثار الظلم سلب الإيمان والبعد عن الإسلام ، والروح تخرج من الجسد على غير الإسلام ، قال ﷺ : « مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ »<sup>(٢)</sup> .

والروايات بيّنت أنّ سلب الإيمان عند الموت إذا لم يتب الظالم وبقي على ظلمه إلى موته ، أمّا من تاب وأرجع الحقّ إلى أهله تاب الله تعالى عليه .

قال عليّ بن أبي حمزة : « كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ كُتَّابِ بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ لِي : اسْتَأْذِنْ لِي عَلِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ وَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنِّي كُنْتُ فِي دِيْوَانِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأَصَبْتُ مِنْ دُنْيَاهُمْ مَالاً كَثِيراً ، وَأَغْمَضْتُ فِي مَطَالِبِهِ .

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْلَا أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ ، وَيَجِيبُ لَهُمْ الْفِيءَ ،

(١) يونس ١٠ : ٩٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٢ : ٣٧٧ ، الحديث ٣٥ ، نقلاً عن جامع الأخبار : ١٥٥ .

وَيَقَاتِلُ عَنْهُمْ، وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ، لَمَا سَابُونَا حَقًّا، وَلَوْ تَرَكَهُمْ النَّاسُ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ، مَا وَجَدُوا شَيْئًا إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَقَالَ الْفَتَى: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَهَلْ لِي مِنْ مَخْرَجٍ مِنْهُ؟

قَالَ: إِنْ قُلْتَ لَكَ تَفَعَّلُ؟

قَالَ: أَفَعَلُ.

قَالَ: أَخْرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَا كَسَبْتَ فِي دَوَائِبِهِمْ، فَمَنْ عَرَفْتَ مِنْهُمْ رَدَدْتَ عَلَيْهِ مَالَهُ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ تَصَدَّقْتَ بِهِ، وَأَنَا أَضْمَنُ لَكَ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ.

قَالَ: فَأَطْرَقَ الْفَتَى طَوِيلًا فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ: فَرَجَعَ الْفَتَى مَعَنَا إِلَى الْكُوفَةِ، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ، حَتَّى ثِيَابَهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَدَنِهِ.

قَالَ: فَقَسَمْنَا لَهُ قِسْمَةً وَاشْتَرَيْنَا لَهُ ثِيَابًا، وَبَعَيْنَا لَهُ بِنْفَقَةً.

قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَيْهِ أَشْهُرٌ قَلِيلٌ حَتَّى مَرِضَ، فَكُنَّا نَعُودُهُ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ فِي السِّيَاقِ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، وَفِي لِي - وَاللَّهِ - صَاحِبُكَ. قَالَ: ثُمَّ مَاتَ، فَوَلِينَا أَمْرَهُ، فَخَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، وَفِينَا - وَاللَّهِ - لِصَاحِبِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: صَدَقْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ، هَكَذَا قَالَ لِي وَاللَّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ <sup>(١)</sup>.

نعم؛ لقد تاب الفتى توبة نصوحة وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، لأنه خرج من أمواله كلها، وأرجعها إلى أصحابها الذين يعرفهم، وتصدق بالمال الذي لا يعرف أصحابه، ثم بقي أشهر قلائل حتى مرض ومات طاهراً.

(١) بحار الأنوار: ٧٤: ١٣٨، الحديث ١٨٨، نقلاً مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٤٠.

## الراضي بالظلم شريك .

حَدَّرَ الْأُئِمَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْوَانَ الظُّلْمَةِ ، قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْعَامِلُ بِالظُّلْمِ ، وَالْمُعِينُ لَهُ ، وَالرَّاضِي بِهِ ، شُرَكَاءُ ثَلَاثَتِهِمْ »<sup>(١)</sup> : إِنَّ مَنْ يَرْضَى بِالظُّلْمِ ، وَيَبْتَهِجُ بِهِ فَرِحاً ، خُصُوصاً إِذَا كَانَ الظُّلْمُ لِمَنْ يَخْتَلِفُ مَعَهُ ، يَشَارِكُ الظَّالِمَ فِي ظُلْمِهِ ، وَقَدْ حَدَّرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبَيَّنَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الظَّالِمَ وَالْمُعِينُ لَهُ وَالرَّاضِي شُرَكَاءُ ، وَجَاءَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْأَحَادِيثِ وَفَهَمَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: « وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ، لَقَدْ شَارَكْنَاكُمْ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ .

قَالَ عَطِيَّةٌ : فَقُلْتُ لِجَابِرٍ : وَكَيْفَ ، وَلَمْ نَهْبِطْ وَادِيًا ، وَلَمْ نَعْلُ جَبَلًا ، وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ ، وَالْقَوْمُ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُءُوسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ ، وَأَوْتِمَتْ أَوْلَادُهُمْ ، وَأَزْمَلَتْ الْأَزْوَاجُ ؟ فَقَالَ لِي : يَا عَطِيَّةُ ، سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَ مَعَهُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، إِنَّ نَبِيِّي وَنَبِيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ »<sup>(٢)</sup> .

إن الراضي بالظلم لن يكون مع الصالحين في الآخرة ، قال الإمام الصادق عليه السلام لنوف البكالي - من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام - : « يَا نَوْفُ ، إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تَكُنْ لِلظَّالِمِينَ مُعِينًا »<sup>(٣)</sup> ، فَمَنْ اشْتَقَ أَنْ يَكُونَ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى عَدَمِ إِعَانَةِ الظَّالِمِينَ كَيْ لَا يَحْشُرَ مَعَهُمْ فَيَكُونَ آيِسًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) الكافي : ٢ : ٣٣٣ ، الحديث ١٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٦٥ : ١٣١ ، الحديث ٦٢ ، نقلاً عن بشارة المصطفى : ٧٤ و ٧٥ .

(٣) بحار الأنوار : ٧٤ : ٣٨٣ و ٣٨٤ ، الحديث ٩ ، نقلاً عن أمالي الصدوق : ٢٠٩ و ٢١٠ ،

الحديث ٩ .

## القسم الخامس

### نصرة المظلوم

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا  
وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ (١)

صدق الله العليّ العظيم

### طرق نصرة المظلوم:

أكد القرآن الكريم والروايات على نصرة المظلوم ؛ ذلك أنّ الحياة صراع بين الفضيلة والرذيلة ، وبين الحقّ والباطل ، والعدل والظلم ، والإنسان موقف وفعل يتشخص بذلك الموقف مع من يقف ؟ وماذا يفعل ؟ وذلك من خلال أتباع قيم ومفاهيم لنصرة المظلوم نستعرضها متتاليةً :

### الأول: الوقوف مع الحقّ .

تبيّن الروايات أنّ على الإنسان أن يكون مع الحقّ دائماً وأبداً ، خصوصاً إذا كان لأناس لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم ، حينئذٍ لا بدّ أن يكون وإياهم يذود عنهم ويفصح بأنّ الحقّ لهم ، والروايات تؤكد أنّ ذلك لا بدّ أن يكون ديدن الإنسان وطبيعته ، لارتباطه بعالمي الدنيا والآخرة .

### الثاني: السعي نحو تطبيق العدل .

أبانت الروايات أنّ العدل ليس مفهوماً ذهنياً مجرداً لا مساس له بالخارج ،

(١) النساء ٤ : ٨٥ .

بل هو تطبيق خارجي لا يتأتى إلا بالدفاع عن القانون والكون مع المظلوم ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « إِنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي وَضَعَهُ فِي الْخَلْقِ وَنَصَبَهُ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ ، فَلَا تُخَالِفُهُ فِي مِيزَانِهِ ، وَلَا تُعَارِضُهُ فِي سُلْطَانِهِ »<sup>(١)</sup> .

### الثالث: التحالف مع المظلوم.

إن ذروة العدل بالكون مع المظلومين ، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « أَحْسَنُ الْعَدْلِ نُصْرَةُ الْمَظْلُومِ »<sup>(٢)</sup> .

وقد أبرم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة حلفاً مع جماعة سمّي بحلف الفضول ، محتواه الدفاع عن المظلومين ؛ لأن المجتمع القرشي كان فيه من يعتدي على حقوق الغير ، إذا لم يكن له مدافع وناصر ، فأسس الحلف - تعاهد جماعة على أمر ما - ليدافع عن الحق ويكون مع العدل ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رأس مؤسسي الحلف قبل بعثته ، بل كان صلى الله عليه وآله وسلم يفخر لكونه من مؤسسيه ، لقد تعاهد صلى الله عليه وآله وسلم مع مجموعة على أن من دخل مكة واعتدي عليه ، فإنهم يقفون معه مدافعين ليأخذوا بحقه من الظالم .

### الرابع: الطموح لتحقيق أعلى درجات العدل.

أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى معنى دقيق هو تشخيص العدل في الخارج ، وأن أحسنه يتحقق بنصرة المظلوم والوقوف معه .

### درجات المرء في الآخرة والعدالة.

إن الذود عن العدالة يرتبط بدرجة الإنسان في عالم القيامة ؛ إذ هناك درجات بعضها تُقَرَّبُ الإنسان إلى الله تعالى زلفى ، وتجعل درجته كدرجة الأنبياء والرسل ،

(١) غرر الحكم : ٩٩ ، الرقم ١٦٩٦ .

(٢) غرر الحكم : ٤٤٦ ، الرقم ١٠٢١٠ .

ككفالة اليتيم؛ لأنَّ اليتيم ليس له من يراعه، وكفالاته تختزل مسافات، وتخرق حجاباً وتوصل إلى درجة المصطفى ﷺ، قال ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ - كَهَاتَيْنِ - فِي الْجَنَّةِ» (١).

وأكد على الكون مع المظلوم، وبين أهميته تأثيره على درجة المرء في الآخرة، قال ﷺ: «وَمَنْ أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ مُصَاحِبًا» (٢) وذلك هو الرضوان الإلهي.

### برامج عملية لنصرة المظلوم:

أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ نصرة المظلوم لا بدَّ أن تكون وفق برامج عمل، فلا يكفي أن يعيش الإنسان الأمانى، بل لا بدَّ أن يكون حدَّد في مسار حياته أن يقف خصماً للظالمين مدافعاً عن المظلومين، قال الإمام أمير المؤمنين في وصيته للحسين عليه السلام: «وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا» (٣)، توضح الرواية برنامجاً عملياً متكاملًا لنصرة المظلوم، قائم على أسس أربعة:

### الأول: السير وفق القانون.

قوله عليه السلام: «قُولَا بِالْحَقِّ»: إبانة لأنَّ يكون مسار الإنسان على وفق القانون، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ (٤).

(١) بحار الأنوار: ٣٥: ١٧، الحديث ٥٨.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢: ٣٥٩، الحديث ٧٤، نقلاً عن كنز الفوائد: ١: ١٣٥.

(٣) نهج البلاغة: ٤٢١ (صبحي الصالح).

(٤) يونس: ١٠: ٣٥.

### الثاني : التزوّد بالعمل الصالح .

قوله عليه السلام : « **وَأَعْمَلًا لِلْأَجْرِ** » : توكيد على حاجة الإنسان إلى زاد الآخرة ، ويتوقّف زاده على عمله الصالح في الدنيا كي لا يأتي يوم القيامة صفر اليدين ، فلا بد أن يعمل لنيل الثواب وحصول الأجر .

### الثالث : المعارضة للظلم والظالم .

قوله عليه السلام : « **وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا** » : أي لا بدّ أن يكون المرء معارضاً للظلم والظالمين ، ويتطلّب ذلك تحمّل الأذى والإساءة في سبيل الله تعالى ، والإمام عليه السلام يحضّ الحسينين عليهم السلام أن يكونا في الدنيا كذلك ، وينتقلا إلى الآخرة على ذلك .

### الرابع : التركيز على الأهداف النبيلة .

وقوله عليه السلام : « **وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا ، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا** » : تبيان أنّ الخصومة من أجل نصرة المظلوم ، وليس من أجل كسب الشهرة ؛ إذ أنّ بعض الناس يكون خصماً للظالم من أجل كسب الشهرة أو المكسب المادّي ، والإمام عليه السلام يؤكّد على الموقف الشرعيّ والوظيفة العمليّة وهي كون المرء خصماً للظالم من أجل نصرة المظلوم .

### آثار نصرة المظلوم :

لقد أوضحت الروايات آثاراً كثيرة لنصرة المظلوم ، نستعرض بعضاً منها :

### الأوّل : اجتياز الصراط .

إنّ اجتياز الصراط فوز عظيم ، قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ <sup>(١)</sup> لعظم المرور عليه وللحساب الدقيق ، ووزن الأعمال التي تؤهل

(١) آل عمران ٣ : ١٨٥ .

من يجتاز لرضوان الله تعالى، وترجح ميزانه يوم القيامة، فيمرّ على الصراط آمناً مطمئناً، والروايات بينت أنّ الكون مع المظلوم ونصرته تثبت القدم على الصراط، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فيما خاطب الله تعالى داود: يا داود، إنه ليس من عبد يعين مظلوماً، أو يمشي معه في مظلمته، إلا أثبت قدميه يوم نزل الأقدام»<sup>(١)</sup>: بعض الأحيان قد لا يستطيع المرء أن يعين المظلوم لبطش الظالم، وعليه هنا أن يكون معه في الموقف يمشي وإياه، ويظهر تأييده.

### الثاني: ترتب الثواب الجزيل.

رتبت بعض الروايات الثواب الكثير والأجر الجزيل على ذلك؛ لأنّ بعض الناس يهتمّ بالمفردات العبادية إلا أنّه لا يقف مع الحقّ إذا احتاجه بل يخذله، والمسألة جدّ هامة؛ إذ تبين الروايات شريحة من الناس تهتمّ بالعبادات لكنّها تقف مواقف مبهمّة غامضة لا تظهر نصرة للمظلوم، قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعِينُ مُؤْمِنًا مَظْلُومًا - أَي يَقِفُ إِلَى صَفِّهِ - إِلَّا كَانَ لَهُ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ، وَاعْتِكَافٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»<sup>(٢)</sup>.

هناك ثواب جزيل وأجر كبير يحصل عليه المؤمن بالصوم والاعتكاف، لا يعلم مقداره إلا الله تعالى، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الصوم والاعتكاف في المسجد - الاعتكاف هو اللبث في المسجد من أجل العبادة - ورغم ما للصوم والاعتكاف من ثواب إلا أنّ نصرة المظلوم والوقوف إلى جنبه أعظم عند الله تعالى من صوم شهر معتكفاً في المسجد الحرام، وعلى الإنسان أن يلتفت إلى أهميّة نصرة المظلوم وما لها من عظيم الأجر.

(١) الدرّ المشثور: ٣: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٧١: ٣١٢، الحديث ٦٧، نقلاً عن الاختصاص: ٢٧.



### الثالث : النصر من الله تعالى .

قال عليه السلام : « وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَنْصُرُ أَخَاهُ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نُصْرَتِهِ ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . هذا أثر وضعي آخر للوقوف إلى جانب المظلوم ، يعود تأثيره بالخير إلى صاحب الموقف ؛ إذ أن الحياة مجموعة من المواقف تؤثر بمعدل تراكمي يحصل عليه الإنسان في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي أن ثقل وخفة الموازين ، وما يحصل عليه العبد ، وما يبتغيه عند الله تعالى ، يتحقق كل ذلك بنصرة المظلوم .

### الرابع : معية الله تعالى له في الآخرة .

إن من يقف مع المظلوم ولا يتركه وحده ، بل يتحمل العنت والمشقة والأذى في سبيل الله تعالى ، فإن الأثر الوضعي لذلك نصره الله تعالى له في الدنيا والآخرة ، ومعنى النصر في الآخرة رجحان الميزان ، فقد تكون أعماله لا تؤهله لدخول الجنة ويجعل الله تعالى موقفه لنصرة المظلوم مؤثراً في ترجيح ميزانه ، إن الحياة مواقف تخلد صاحبها ، كما خلد من وقف مع الحسين عليه السلام و زاد عنه ، والسبب أن موقفه دحض الباطل ونصر المظلوم .

### آثار خذلان المظلوم .

ثم قال عليه السلام : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَخْذُلُ أَخَاهُ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نُصْرَتِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » <sup>(٢)</sup> . بين الإمام عليه السلام الأثر العكسي لمن كان باستطاعته الدفاع عن المظلوم ، لكنّه لم ينسب ببنت شفة ، ولم يبن اعتداء الظالم على المظلوم

(١) القارعة ١٠١ : ٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٧١ : ٣١٢ ، الحديث ٦٧ ، نقلاً عن الاختصاص : ٢٧ .

بقول أو فعل ، ذلك أنّ على المسلم أن يكون مع أولئك الذين اعتدي عليهم وظلموا ، وبخس حقهم في أي مجال في العمل والوظيفة أو في أي مرفق من مرافق الحياة ؛ إذ أنّ الكون مع الحق يرجح كفة المظلوم على الظالم ، أمّا إذا لم يُفعل ذلك سيُعتدى عليه من قبل الظالم ؛ لأنّ الظلم يشقّ طريقاً إلى ظلم يماثله ، والعدل يرسى قواعد إلى عدل يماثله ، وهي قاعدة أراد الأئمة عليهم السلام للمسلم أن يعيشها وجداناً كحالة طبيعية ، بل ينبغي أن يتوق مشتاقاً للكون مع المظلومين .

### الدعاء للمظلوم .

إنّ من أعظم العبادات الدعاء ، وتأثيره جدّ هامّ وكبير ، وحقيقته ليس ابتهال وضراعة إلى الله تعالى فحسب ، بل طريق يعبد الوصول إلى غايات ، وعندما يدعو الإنسان عليه أن يعمل لتحقيق ما يدعو به ، ومن دعا ولم يعمل فقد استهزأ بالله تعالى ، والأئمة عليهم السلام علّموا الناس بأدعيتهم وابتهالاتهم أن يكونوا مع المظلومين ناصرين و ضد الظالمين معارضين ، جاء في دعاء إمامنا زين العابدين عليه السلام : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ »<sup>(١)</sup> .

### استدراك التقصير تجاه المظلوم .

إنّ الإنسان قد يقصّر أو لا يلتفت في بعض الأحيان ، وعليه أن يتلافى التقصير ، ويتحقّق ذلك بنصرة المظلوم ، وعندئذ يتبدّل موقفه .

### نصرة المظلوم في العمل مع الظالم :

لقد بيّن الأئمة عليهم السلام أمراً هاماً ليكون برامج عمل من خلال مواقف عديدة :

(١) الصحيفة السجّادية - دعاؤه عليه السلام في الاعتذار من تبعات العباد .

### الأول: الوقوف مع الظالم صورياً.

أن لا يقف المرء مع الظالم واقعاً ، وإذا ألجأته الظروف وقف معه في الصورة فقط من أجل نصرته المظلوم ، أي أن همّة نصرته المظلوم وأخذ الحق لصاحبه .

### الثاني : تولي المناصب القيادية .

لقد شجع الأئمة عليهم السلام بعض مواليتهم بتولي بعض المناصب في الدولة العباسية من أجل الدفاع عن المظلوم ، وأكدوا عليهم السلام أن الهدف ليس إعانة الظالم بل الكون مع المظلوم ، والغاية هي الدفاع عن من يعتدى عليه ، وتصادر حقوقه ، وتسلب ممتلكاته ، ويحتاج إلى معين ، ولا يتحقق ذلك إلا بتولي المنصب القيادي .

### الثالث : إرجاع الحقوق لأهلها .

إن بعض الأحرار يقف مع الظالمين في الصورة فحسب كي يرجع الحقوق إلى أهلها ، ويأخذ بظلامة من اعتدى عليه ، ولا بدّ هنا من ملاحظة الخصائص والحيثيات التي أكد عليها الأئمة عليهم السلام لما لذلك من أهميّة فائقة في اتخاذ الموقف .

### أثر نصرته المظلوم في حياة الإنسان .

الإنسان مواقف ، فإذا وقف مع الحق - كما فعل النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة - ختم الله تعالى له بالحسنى ، وسدّد خطاه ، وجعله مع الأبرار .



# مِصَادِرُ الْكِتَابِ

## ١ • كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج

الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب ( - ٥٦٠هـ): تحقيق: إبراهيم البهادري و محمد هادي به، الناشر: دار أسوة - إيران، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ.

## ٢ • الاختصاص

الشيخ المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ): المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم المقدسة، الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ.

## ٣ • الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

الشيخ المفيد: طبع وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم المقدسة / ١٤١٦هـ.

## ٤ • أعلام الدين في صفات المؤمنين

الدلمي، أبو محمد الحسن بن محمد الواعظ ( - ٨٤١هـ): تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ.

## ٥ • أعيان الشيعة

الأمين العاملي، محسن (١٨٦٥ - ١٩٥٢م): دار التعارف للمطبوعات - بيروت / ٢٠٠٠م.

## ٦ • أمالي الصدوق

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣١١ - ٣٨١هـ): تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم المقدسة، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ.

### ٧ • أمالي الطوسي

شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ( ٣٨٥ - ٤٦٠هـ ): تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة ، دار الثقافة - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ .

### ٨ • بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

العلامة المجلسي ، محمّدباقر بن محمّد تقي ( ١٠٣٧ - ١١١١هـ ): دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٨٩م .

### ٩ • البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير

ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ( ٧٠٠ - ٧٧٤هـ ): تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٩٣م .

### ١٠ • بشارة المصطفى لشيعته المرتضى

الطبري ، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم ( - ٥٢٥هـ ): مؤسّسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ .

### ١١ • بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد

الصقار ، الثقة الجليل أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروّخ ( - ٢٩٠هـ ): تعليق : التبريزي ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم المقدّسة / ١٤٠٤هـ .

### ١٢ • البيان في عدّ آي القرآن

أبو عمرو الداني ( - ٤٤٤هـ ): تحقيق : غانم قدوري الحمد ، نشر : مركز المخطوطات والتراث - الكويت ، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

### ١٣ • تحف العقول عن آل الرسول

ابن شعبة الحرّاني ، أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين ( من أعلام القرن الرابع الهجري ): دار الشريف الرضي - قم المقدّسة / ١٤٢١هـ .

### ١٤ • تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ): دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (٣٠ جزءاً في ١٦ مجلداً).

### ١٥ • الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: مؤسسة البعثة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

### ١٦ • تفسير الثعلبي = الكشف والبيان

أبو إسحاق النيسابوري ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ( - ٤٢٧هـ): دراسة وتحقيق: أبو محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م (١٠ مجلدات).

### ١٧ • تفسير السيوطي = الدرر المنتور في التفسير بالمأثور

السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ - ٩١١هـ): تصحيح وتخريج الأحاديث: الشيخ نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (٨ مجلدات).

### ١٨ • تفسير الطبرسي = مجمع البيان

أمين الإسلام ، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي الطبرسي (٤٦٨ - ٥٤٨هـ): تحقيق: السيد هاشم الموسوي المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.

### ١٩ • تفسير القمي

القمي ، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم ( - ٣٢٩هـ): تحقيق: السيد طيب الجزائري الموسوي ، نشر: دار السرور - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

### ٢٠ • التوحيد

الشيخ الصدوق: نشر وتحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المقدسة ، الطبعة الثامنة / ١٤٢٣هـ.

## ٢١ • تهذيب الأحكام

شيخ الطائفة: مكتبة الصدوق - طهران / ١٤١٧هـ.

## ٢٢ • الثاقب في المناقب

ابن حمزة ، عماد الدين أبو جعفر محمد بن عليّ الطوسي ( - ٥٦٠هـ ): مؤسّسة أنصاريان - قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٢هـ.

## ٢٣ • ثواب الأعمال وعقاب الأعمال

الشيخ الصدوق: تعليق: الشيخ حسين الأعلمي ، الشريف الرضي / ١٤١٨هـ.

## ٢٤ • جامع الأخبار = معارج اليقين في أصول الدين

السبزواري ، محمد بن محمد: (من أعلام القرن السابع الهجري): مؤسّسة آل البيت للإحياء التراث - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ.

## ٢٥ • جامع السعادات

الزراقي ، مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ - ١٢٠٩هـ): تعليق: مؤسّسة السيّد المعصومة للإحياء - قم المقدّسة / ٢٠٠٥م.

## ٢٦ • الجعفريات = الأشعثيات (المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام)

الحميري ، عبدالله بن جعفر ( - ٣١٠هـ ): مؤسّسة الثقافة - قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

## ٢٧ • جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام

الشيخ النجفي ، محمد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم (١٢٠٠ - ١٢٦٦هـ): حقّقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: الشيخ عبّاس القوجاني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٤٠٠هـ.

## ٢٨ • الخصال

الشيخ الصدوق: نشر وتحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين /

١٤٢٤هـ.



## ٢٩ • الدرّة الباهرة

الشهيد الأوّل = شمس الدين محمّد بن جمال الدين مكّي العامليّ الجزيّنيّ ( ٧٣٤ - ٧٨٦هـ): تحقيق: جلال الدين عليّ الصغير ،

## ٣٠ • روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين

الفتّال النيسابوريّ ، محمّد بن أحمد ( - ٥٠٨هـ): دار الشريف الرضيّ - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٣٨٦ ش .

## ٣١ • شرح إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل

القاضي التستريّ ، نور الله بن شريف الدين الحسينيّ المرعشيّ الشوشتريّ ( ٩٥٦ - ١٠١٩هـ): علّق عليه: السيّد شهاب الدين المرعشيّ رحمته الله ، مكتبة المرعشيّ النجفيّ رحمته الله - قم المقدّسة / ١٤١٠هـ .

## ٣٢ • شرح نهج البلاغة

ابن أبي الحديد = عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ ( ٥٨٦ - ٦٥٥هـ) ، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ ، نشر: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

## ٣٣ • الشمائل المحمّديّة

الترمذيّ ، محمّد بن عيسى ( ٢٠٩ - ٢٧٩هـ): تحقيق: السيّد عبّاس الجليّميّ ، نشر: مؤسّسة الكتب الثقافيّة - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٢هـ .

## ٣٤ • شواهد التنزيل لقواعد التفضيل

الحاكم النيسابوريّ ، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحسكانيّ ( - ٤٩٠هـ): مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة - بيروت / ١٤٢٧م .

## ٣٥ • صحيح مسلم = الجامع الصحيح

القشيريّ النيسابوريّ ، أبو الحسين مسلم بن حجّاج ( ٢٠٦ - ٢٦١هـ): دار ابن حزم -

بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

### ٣٦ • العدد القويّ لدفع المخاوف اليوميّة

العلامة الحلّيّ ، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهر الأسديّ ( ٦٤٨ - ٧٢٦هـ ) : مكتبة السيّد المرعشيّ النجفيّ رحمته - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ .

### ٣٧ • علل الشرائع

الشيخ الصّدوق : دار الحُجّة للثقافة - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ ( جزءان في مجلّد ) .

### ٣٨ • عوالي اللثاليّ العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة

ابن أبي جمهور الأحسائيّ = محمّد بن عليّ بن إبراهيم ( - ٨٨٠هـ ) : دار سيّد الشهداء رحمته - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ .

### ٣٩ • عيون أخبار الرضا عليه السلام

الشيخ الصّدوق : تحقيق : الشيخ حسين الأعلميّ ، مؤسّسة الأعلميّ - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ .

### ٤٠ • عيون الحكم والمواعظ

الليثيّ الواسطيّ ، أبو الحسن عليّ بن محمّد ( القرن ٦ الهجري ) ، دار الحديث - قم المقدّسة / ١٤١٨هـ

### ٤١ • غرر حكم ودرر الكلم

الأمديّ ، القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبدالواحد بن محمّد التميميّ ( - ٥٥٠هـ ) : نشر : دار الهادي للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

### ٤٢ • الغيبة

شيخ الطائفة : تحقيق : الشيخ عبدالله الطهراني والشيخ عليّ أحمد صالح ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة - قم المقدّسة ، الثالثة / ١٤٢٥هـ .

## ٤٣ • الفضائل

شاذان بن جبرئيل القمي ( - ٦٦٠هـ ): الحيدريّة - النجف الأشرف ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

## ٤٤ • فقه الرضا عليه السلام ( المنسوب للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام )

ابن بابويه القمي ، علي بن الحسين ( - ٣٢٩هـ ) : تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث ، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٦هـ .

## ٤٥ • فيض التقدير شرح الجامع الصغير

عبدالرؤوف المناوي ، محمّد الشافعي ( ٩٥٢ - ١٠٣١هـ ) : تحقيق : أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ .

## ٤٦ • قرب الإسناد

الحميري ، أبو العبّاس عبدالله بن جعفر ( - ٣١٠هـ ) : مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

## ٤٧ • كتاب سليم بن قيس = أسرار آل محمّد

ابن قيس الهلالي ، أبو صادق العامري الكوفي ( - ٧٦هـ ) : تحقيق : محمّد باقر الأنصاري الزنجاني ، نشر الهادي - قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ .

## ٤٨ • الكافي

ثقة الإسلام الكليني ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ( ٣٢٨ - ٣٢٩هـ ) : مؤسّسة الأعلميّ - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

## ٤٩ • كشف الغمّة في معرفة الأئمّة

الإربلي ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح ( ٤٦٧ - ٥٣٨هـ ) : دار الأضواء - بيروت / ١٩٨٥م .

## ٥٠ • كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال

المتّقّي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام الدين ( ٨٨٨ - ٩٧٥هـ ) : مؤسّسة الرسالة -

بيروت / ٢٠٠٤ م.

## ٥١ • كنز الفوائد

الكرجكي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الطرابلسي ( - ٤٤٩ هـ): مكتبة  
المصطفوي - قم المقدسة، الطبعة الثانية / ١٤١٠ هـ.

## ٥٢ • مجمع الزوائد ومنيع الفوائد

الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ): دار  
الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

## ٥٣ • مجموعة ورّام = تنبيه الخواطر ونزهة النواظر

المالكي الأشتري، الأمير أبو الحسين ورّام بن أبي فراس ( - ٦٠٥ هـ): دار الكتب  
الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية / ١٣٦٨ هـ.

## ٥٤ • المحاسن

البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد ( - ٢٧٤ هـ): المجمع العالمي لأهل  
البيت عليه السلام - قم المقدسة / ١٤١٦ هـ.

## ٥٥ • المستدرك على الصحيحين

الحاكم النيسابوري، محمد ( - ٤٠٥ هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار  
الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

## ٥٦ • مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل

المحدث النوري، الحاج الميرزا حسين بن محمد تقي بن تقي الطبرسي ( - ١٢٥٤ -  
١٣٢٠ هـ): مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المقدسة، الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ.

## ٥٧ • المستطرف

شهاب الدين الأبهسي، أحمد: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة / ١٩٤٢ م.

## ٥٨ • مسكن الفوائد

الشهيد الثاني ، الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد بن جمال الدين العاملي الجعبي  
( ٩١١ - ٩٦٥هـ ): تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المقدّسة ، الطبعة  
الأولى / ١٤٠٧هـ .

### ٥٩ • مسند أحمد بن حنبل

ابن حنبل ، أحمد ( - ٢٤١هـ ): مؤسّسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ /  
١٩٩٩م .

### ٦٠ • مشكاة الأنوار في غرر الأخبار

الطبرسي ، علي بن حسن ( من أعلام القرن السابع الهجري ): مؤسّسة آل البيت عليه السلام -  
قم المقدّسة / ١٤٢٣م .

### ٦١ • مصادقة الاخوان

الشيخ الصدوق : مطبعة الكرمانيّ - قم المقدّسة / ١٤٠٢هـ .

### ٦٢ • مصباح المتهدّد

شيخ الطائفة : مؤسّسة فقه الشيعة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

### ٦٣ • المصنّف في الأحاديث والآثار

ابن أبي شيبه ، عبدالله بن محمّد بن إبراهيم ( ١٥٩ - ٢٣٥هـ ): تحقيق : حمد بن عبدالله  
الجمعة ومحمّد بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ،  
( ١٤ مجلداً + مجلّد الفهارس ) .

### ٦٤ • معاني الأخبار

الشيخ الصدوق : قدّم له : الشيخ حسين الأعلمي ، تعليق : علي أكبر الغفّاري ، نشر  
مؤسّسة الأعلمي - بيروت ، الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

### ٦٥ • المعجم الصغير

الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي ( ٢٦٠ - ٣٦٠هـ ): دار الكتب

العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

### ٦٦ • المعجم الكبير

الطبراني: دار إحياء التراث العربي - بيروت / ١٩٩٦م.

### ٦٧ • مكارم الأخلاق

أمين الإسلام الطبرسي: دار الفقه - قم المقدسة / ١٤٢٥هـ.

### ٦٨ • مناقب آل أبي طالب

ابن شهرآشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي السروي المازندراني ( ٤٨٨ - ٥٨٨هـ): دار الأضواء - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

### ٦٩ • من لا يحضره الفقيه

الشيخ الصدوق: ( ٣١١ - ٣٨١هـ): تصحيح وتحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية.

### ٧٠ • منية المرید

الشهيد الثاني: مركز النشر الإسلامي - قم المقدسة / ١٤١٨هـ.

### ٧١ • النهاية في غريب الحديث والأثر

ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ( ٥٤٤ - ٦٠٦هـ): دار الفكر - بيروت / ١٩٩٠م.

### ٧٢ • نهج البلاغة (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام)

دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

### ٧٣ • الوافي بالوفيات

صلاح الدين الصفدي ، خليل بن أيبك بن عبدالله ( ٦٩٦ - ٧٦٤هـ): أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

### ٧٤ • وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة

الحرّ العاملي ، محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين ( ١٠٣٣ - ١١٠٤هـ):

مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم المقدسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦ هـ.

### ٧٥ • ينابيع المودة لذوي القربى

القندوزي ، سليمان بن إبراهيم الحنفي ( - ١٢٩٤ هـ ): تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني ، نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر - قم المقدسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٦ هـ.





# مُجْتَوَاتُ الْكِتَابِ

## الباب الرابع

### المجتمع و الأسرة

٩ - ١٨٥

- ١١ ..... الثقافة الإسلامية في واقعها الاجتماعي
- القسم الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسؤولية
- ١١ ..... الفردية والاجتماعية
- ١١ ..... محاور الثقافة الإسلامية
- ١٢ ..... المسؤولية في إطارها الديني
- ١٣ ..... النقطة الأولى: المسؤولية الفردية
- ١٤ ..... النقطة الثانية: المسؤولية الاجتماعية
- ١٤ ..... المفهوم الواسع للمعروف والمنكر
- ١٥ ..... محاور الحياة السليمة
- ١٦ ..... التداخل بين المسؤولية الفردية والاجتماعية
- ١٦ ..... خطر ترك النهي عن المنكر
- ١٧ ..... القسم الثاني: تأثير الجانب العقدي والعبادي على الإنسان
- ١٨ ..... العلاقة بين الجانب العقدي والجانب الاجتماعي
- ١٨ ..... الفرق بين العبادة الفردية والجماعية

- ١٩ ..... الجانِب العبادي وأثره في تنظيم الحياة الاجتماعيّة
- ٢٠ ..... تأثير التوحيد على توحيد الكلمة
- ٢١ ..... التوحيد النظريّ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٢ ..... البعد الشموليّ للتوحيد وآثاره
- ٢٣ ..... الإنسان التوحيديّ رحمة للعالمين
- ٢٥ ..... أثر الرقابة الاجتماعيّة في تقدّم الأمة
- ٢٥ ..... القسم الأوّل: المشاركة في الوظيفة الاجتماعيّة
- ٢٦ ..... الآثار الوضعيّة في ترك الوظيفة الاجتماعيّة
- ٢٧ ..... الهيبة من أداء الوظيفة الاجتماعيّة
- ٢٧ ..... رؤية الإمام عليّ عليه السلام للنقد الذاتيّ
- ٢٨ ..... المواصلة في طلب الحقّ والعدل
- ٢٨ ..... تقدّم المجتمع في النقد البناء
- ٢٩ ..... صلاح الأمة في النقد البناء
- ٣٠ ..... القسم الثاني: أخلاقيات المسؤول في النهوض الاجتماعيّ ..
- ٣٠ ..... رفع المستوى الثقافيّ للمجتمع
- ٣١ ..... كيفيّة تعامل المسؤول مع المجتمع:
- ٣١ ..... الأولى: الإصغاء للآخرين
- ٣١ ..... الثانية: الإحسان للمجتمع
- ٣١ ..... الثالثة: بعث الاطمئنان في النفوس
- ٣٢ ..... الرابعة: التحلّي بمحاسن الأخلاق
- ٣٣ ..... الشمول في المسؤوليّة لمفردات الوجود
- ٣٣ ..... بثّ روح المسؤوليّة في المجتمع
- ٣٤ ..... كيفيّة رفع مستوى المجتمع:

- ٣٤ ..... الأول: الاطلاع على الآراء
- ٣٥ ..... الثاني: الاستفادة من أخطاء الآخرين
- ٣٥ ..... الثالث: استشارة ذوي الخبرة
- ٣٦ ..... الاستفادة من تجارب الآخرين
- ٣٧ ..... القسم الثالث: تقدّم الأمة في الثقافة القانونية
- ٣٧ ..... الوعي بأهميّة القانون
- ٣٧ ..... تساوي الجميع أمام القانون
- ٣٨ ..... سلطة القانون في المجتمع:
- ٣٩ ..... الأولى: تحكيم القانون
- ٣٩ ..... الثانية: الإصلاح لتحكيم القانون
- ٣٩ ..... منح الضعيف مطالبه القانونيّة
- ٤٠ ..... أدب تعامل المسؤول مع الرعيّة
- ٤٠ ..... الأول: منع طمع الآخرين في الظلم
- ٤٠ ..... الثاني: إنقاذ الضعفاء من اليأس
- ٤١ ..... العمل الدؤوب يحقّق ثقافة القانون
- ٤١ ..... تربية النشئ على الوعي بالقانون
- ٤١ ..... الثقافة القانونيّة أساس التقدّم
- ٤٣ ..... مقوّمات الحياة السعيدة
- ٤٣ ..... القسم الأول: اللطف الإلهي في حياة الإنسان
- ٤٣ ..... تعاليم الدين طريق الحياة الطيّبة
- ٤٤ ..... العوامل المؤثّرة في حياة الإنسان:
- ٤٤ ..... الأول: الخوف من المستقبل
- ٤٤ ..... الثاني: المخاطر والأمراض

- ٤٤ ..... الثالث : عدم التكيف في المحيط الاجتماعي
- ٤٥ ..... معالجة العوامل المؤثرة على الإنسان
- ٤٥ ..... الألفاظ الإلهية في حياة الأنبياء
- ٤٦ ..... اللطف الخاص للنبي يونس عليه السلام
- ٤٧ ..... اللطف الخاص للنبي إبراهيم عليه السلام
- ٤٧ ..... السببية الإلهية المطلقة
- ٤٧ ..... أثر الارتباط بالله تعالى
- ٤٨ ..... القسم الثاني : الخوف بين الواقع السلبي والطموح الإيجابي
- ٤٨ ..... أثر المصائب في حياة الإنسان
- ٤٩ ..... استثمار الألم والخوف إيجابياً
- ٤٩ ..... السيطرة على الألم والخوف
- ٥٠ ..... مصائب تواجه الإنسان :
- ٥٠ ..... الأول : المرض
- ٥٠ ..... الثاني : الحوادث التي على الآخرين
- ٥٠ ..... الثالث : الموت
- ٥١ ..... عوامل التخلص من الخوف :
- ٥١ ..... الأول : التوكل على الله تعالى
- ٥٢ ..... الثاني : تعميق الإيمان
- ٥٢ ..... الثالث : التزود بالثقافة
- ٥٢ ..... إحصائية علمية في مسببات الخوف
- ٥٤ ..... الرابع : العمل المستمر
- ٥٤ ..... نتائج واقعية
- ٥٥ ..... عوامل إزالة الخوف السلبي :

- ٥٥ ..... الأول: الاستقامة
- ٥٥ ..... الثاني: التسليم لله تعالى
- ٥٦ ..... الثالث: الإيمان والعمل الصالح
- ٥٦ ..... الرابع: التقوى
- ٥٧ ..... القسم الثالث: السعادة في الاطمئنان المعنوي
- ٥٧ ..... عوامل تحقيق الاطمئنان:
- ٥٧ ..... الأولى: التفكير الإيجابي
- ٥٨ ..... الثانية: توجيه البلاء إيجابياً
- ٥٩ ..... البلاء يسهم في سعادة الإنسان
- ٦٠ ..... الإيمان يُقاوم المصائب
- ٦١ ..... خصائص أولياء الله
- ٦١ ..... واقع الحياة المطمئنة
- ٦٢ ..... القسم الرابع: زيادة الإيمان بالله تعالى من خلال الذكر
- ٦٢ ..... آثار الذكر:
- ٦٢ ..... الأول: جلاء القلوب
- ٦٣ ..... الثاني: طريق سماع الحق
- ٦٣ ..... الثالث: يُزيل غشاوة البصر
- ٦٣ ..... الرابع: يستأصل العناد
- ٦٣ ..... الخامس: يُوصل إلى مناجاة الله
- ٦٤ ..... التسليم لأمر الله في المصائب
- ٦٤ ..... آثار الحكمة المتقنة للأشياء
- ٦٥ ..... التسليم في الرسائل السماوية
- ٦٦ ..... الإنسان بين التسليم لله واليأس

- ٦٦ موازنة الإنسان في الحياة .....
- ٦٨ القسم الخامس : معالجة الآلام النفسية في الرؤية الإسلامية ..
- ٦٨ ذكر الله تعالى يرسخ الإيمان .....
- ٦٨ طرق معالجة الآلام النفسية : .....
- ٦٩ الأول : التخلص من سلبيات الماضي .....
- ٦٩ الثاني : استثمار الحاضر لإنجاح المستقبل .....
- ٧٣ القسم السادس : التعاون في إطار العمل الجماعي والفردي ..
- ٧٣ العمل الجماعي .....
- ٧٤ إيجابيات العمل الجماعي : .....
- ٧٤ الأولى : التعاون الجماعي يحقق الانجازات .....
- ٧٤ الثانية : العمل الجماعي يفعل الطاقات .....
- ٧٤ الثالثة : العمل الجماعي موصل للنتائج الباهرة .....
- ٧٥ سلبيات العمل الفردي : .....
- ٧٥ الأولى : لا نتائج موصلة للعمل الفردي .....
- ٧٥ الثانية : العمل الفردي يعتره النقص .....
- ٧٦ الثالثة : عدم استمرارية العمل الفردي .....
- ٧٦ القرآن والعمل الجماعي .....
- ٧٦ العمل الجماعي في أحاديث النبي وأهل البيت .....
- ٧٧ البركة في العمل الجماعي .....
- ٧٧ نفع الناس في العمل الجماعي .....
- ٧٨ روح المسؤولية في العمل الجماعي .....
- ٧٨ أسباب عدم إنتاجية العمل الجماعي .....
- ٧٨ مظاهر العمل الجماعي في الإسلام : .....

- ٧٩ ..... الأول: فعل الخير للآخرين
- ٧٩ ..... الثاني: التنافس في المكارم
- ٨١ ..... الحذر من الانتقام الإلهي
- ٨١ ..... أهميّة البحث في العمل الجماعي
- ٨١ ..... القسم السابع: أثر المعرفة التوحيدية في حياة الإنسان
- ٨٢ ..... المعرفة التوحيدية
- ٨٢ ..... معنى البعد المعرفي
- ٨٢ ..... حقيقة التوحيد الأفعالي:
- ٨٢ ..... الأول: المؤثر في الوجود هو الله
- ٨٢ ..... الثاني: تأثير الموجودات ليس بالاستقلال
- ٨٣ ..... الثالث: سلب التأثير للأشياء بيد الله
- ٨٣ ..... خصائص تأثير الخلق:
- ٨٣ ..... الأول: الخلق واسطة في التأثير
- ٨٣ ..... الثاني: التأثير في الخلق تعلقي
- ٨٤ ..... معنى الوجود التعلقي
- ٨٤ ..... فائدة النظرة المعرفية
- ٨٤ ..... الأولى: علاج المشاكل الحياتية
- ٨٤ ..... الثانية: الحصانة من القلق والاكتئاب
- ٨٥ ..... تجسّد البعد المعرفي في أدعية الزهراء
- ٨٥ ..... الأولى: الله مؤثر وحيد في الوجود
- ٨٦ ..... الثانية: الخلاص في الرجوع إلى الله
- ٨٦ ..... القسم الثامن: شمولية التأثير في الصلاة المعراجية
- ٨٦ ..... الصلاة رابطة إلهي

- ٨٧ ..... فلسفة الأحكام عند الزهراء
- ٨٧ ..... سعي الإنسان نحو الخير
- ٨٧ ..... أهميّة الصلاة
- ٨٨ ..... حقيقة صدور الخير من الناس
- ٨٨ ..... الله تعالى مصدر الخير المطلق
- ٨٩ ..... الالتزام بالصلاة شعار المسلم
- ٨٩ ..... حقيقة الصلاة
- ٩٠ ..... الاستقامة في الصلاة
- ٩٠ ..... الروايات في بيان حقيقة الصلاة
- ٩١ ..... أثر الصلاة في مواجهة الصعاب
- ٩١ ..... الصلاة تقطع جذور الرذائل
- ٩٣ ..... المبادئ التربويّة للعدل في المجتمع الإسلاميّ
- ٩٣ ..... مفهوم العدل والظلم
- ٩٣ ..... الظلم في مفهومه اللغويّ:
- ٩٤ ..... أهميّة غرس مبادئ العدل في الإسلام
- ٩٦ ..... أساليب تربويّة خاطئة
- ٩٦ ..... الأسس التربويّة عند الأئمة:
- ٩٧ ..... دور الأبوين في صلاح الأبناء
- ٩٩ ..... مسؤوليّة المسلم ومودّة أهل البيت عليهم السلام
- ٩٩ ..... سبب نزول الآية
- ١٠٠ ..... الوعي بالمسؤوليّة تجاه النبي صلى الله عليه وآله
- ١٠١ ..... ربط الأمة بخلفاء النبي صلى الله عليه وآله
- ١٠١ ..... واقع الارتباط بخلفاء النبي صلى الله عليه وآله



- ١٠١ ..... التطبيق العملي للقربى
- ١٠٢ ..... المعرفة الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام
- ١٠٢ ..... تجسيد الميل العاطفي لأهل البيت عليهم السلام
- ١٠٣ ..... الميل العاطفي المجرد
- ١٠٣ ..... حقيقة المودة لأهل البيت عليهم السلام
- ١٠٤ ..... المسؤولية مجاهدة في حب أهل البيت عليهم السلام
- ١٠٥ ..... حقوق الإنسان بين الإمام عليّ وابنه الإمام الحسين عليهما السلام
- ١٠٥ ..... الفارق بين القادة الإلهيين وغيرهم
- ١٠٦ ..... الإمام عليّ عليه السلام وحقوق الإنسان
- ١٠٧ ..... حقّ المستضعفين عند الإمام عليّ عليه السلام
- ١٠٧ ..... وحدة الهدف في خطّ الأئمة عليهم السلام
- ١٠٨ ..... حقوق الحاكم والرعية عند الإمام عليّ عليه السلام
- ١٠٨ ..... الإمام الحسين عليه السلام وحقوق الإنسان
- ١٠٩ ..... أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- ١٠٩ ..... الأولى: الدافع الإلهي
- ١١٠ ..... الثانية: إعادة تطبيق النظام والقانون
- ١١٠ ..... الثالثة: تسيير أمور الناس ومصالحهم وفق القانون
- ١١٠ ..... الرابعة: الأمن للمظلومين والمستضعفين
- ١١٠ ..... الخامسة: العمل بفرائض الله وأحكامه
- ١١١ ..... نحو رؤية تكاملية للمجالس الحسينية
- ١١٣ ..... العيد مضامين وقيم
- ١١٣ ..... الانتصار على الشيطان
- ١١٣ ..... حقيقة الصوم

- المغفرة في شهر رمضان ..... ١١٤
- السرور في مجاهدة النفس ..... ١١٤
- مضامين العيد ..... ١١٦
- الأول: السيطرة على النفس ..... ١١٦
- الثاني: انطلاقة جديدة مع الله تعالى ..... ١١٦
- الثالث: فتح أبواب الخير ..... ١١٧
- الرابع: الوصول إلى الصلاح ..... ١١٨
- الخامس: بلوغ رتبة المخلصين ..... ١١٨
- يوم الجمعة العيد الأسبوعي ..... ١١٨
- السلام مبدأ تقدّم الإنسانيّة ..... ١١٩
- أهميّة السلام ..... ١١٩
- التحيّة في الإسلام ..... ١٢٠
- السلام تحيّة أهل السماء ..... ١٢١
- السلام من أسماء الله تعالى ..... ١٢١
- التحيّة لدى الديانات غير السماويّة ..... ١٢١
- حقيقة السلام ..... ١٢٢
- السلام دعاء وتضرّع لله تعالى ..... ١٢٢
- الآثار المترتبة على السلام: ..... ١٢٣
- الأول: السلام تحيّة وأمان ..... ١٢٣
- الثاني: القرب من الله تعالى ..... ١٢٣
- الثالث: الاتّصاف بالإيمان ..... ١٢٣
- الرابع: السلام والأمن الاجتماعي ..... ١٢٤
- الخامس: السلام مرآة التواضع ..... ١٢٥

- ١٢٥ ..... تجسيد السلام في السلوك
- ١٢٥ ..... نشر السلام في العالم
- ١٢٧ ..... الإسلام والوسواس القهريّ
- ١٢٧ ..... قاعدتا «لا ضرر» و«لا حرج»
- ١٢٧ ..... الأدلّة على نفي الحرج والضرر
- ١٢٨ ..... اليسر والسهولة في الشريعة
- ١٢٩ ..... الفهم الخاطئ للشريعة
- ١٢٩ ..... خطر مرض الوسواس
- ١٣٠ ..... حقيقة الوسواس القهريّ
- ١٣٠ ..... موقف الإسلام من الوسواس
- ١٣١ ..... قوّة المؤمن في مواجهة منشأ الوسواس
- ١٣١ ..... معالجة الوسواس
- ١٣٢ ..... الانتكاسة في متابعة الوسواس
- ١٣٣ ..... كثير الشكّ والوسواسيّ
- ١٣٣ ..... قاعدة نفي الحرج والتسهيل
- ١٣٣ ..... الوسواس يقضي على حياة المرأة
- ١٣٤ ..... الوسواس سبب ترك الصلاة
- ١٣٤ ..... إرشاد الإمام الصادق والطبّ النفسيّ
- ١٣٥ ..... تأصيل مفردة العالم في الإسلام
- ١٣٥ ..... القسم الأوّل: مكانة العالم السامية
- ١٣٥ ..... ثمار مرتبة العلم:
- ١٣٥ ..... الأوّل: العلم يتلو الإيجاد في الفضل
- ١٣٦ ..... الثانية: فضل العالم على العابد

- الثالثة: العالم منطلق الهداية ..... ١٣٧
- الرابعة: العلم أفضل قرين للحلم ..... ١٣٧
- الخامسة: تفوق العلم على العبادات ..... ١٣٧
- مميزات العالم في وظائفه: ..... ١٣٨
- الأولى: انتفاع الناس بعلمه ..... ١٣٨
- الثانية: الخشية والخوف من الله تعالى ..... ١٣٩
- الثالثة: الإخلاص في طلب العلم ..... ١٣٩
- عاقبة عدم الإخلاص ..... ١٤٠
- الرابعة: أهداف العالم الإلهية ..... ١٤١
- الخامسة: الاستقامة في العمل ..... ١٤١
- السادسة: العمل بالعلم ..... ١٤٢
- السابعة: الشجاعة والتضحية ..... ١٤٢
- الثامنة: القدرة الفائقة على التشخيص ..... ١٤٣
- القسم الثاني: العالم بين الوسطية والتطرف ..... ١٤٣
- مكانة العالم: ..... ١٤٣
- الأولى: الوعي السياسي والاجتماعي ..... ١٤٤
- الأول: الوعي الاجتماعي ..... ١٤٤
- الثاني: الوعي السياسي ..... ١٤٥
- الثانية: الوسطية والتوازن ..... ١٤٦
- الوسطية في الموعظة ..... ١٤٦
- التطرف الراديكالي ..... ١٤٧
- مخاطر الراديكالية ..... ١٤٧
- مصادرة الرأي الآخر ..... ١٤٨

- ١٤٨ ..... التنافر والصراع الاجتماعيّ
- ١٤٩ ..... تخلف المجتمع الإسلاميّ
- ١٤٩ ..... أخطار تواجه الأمة
- ١٤٩ ..... الأول: التدينّ بجهل
- ١٤٩ ..... الثاني: العلم دون تقوى
- ١٥٠ ..... القسم الثالث: دور العالم في ربط الناس بالآخرة
- ١٥٠ ..... ربط المجتمع بعالم الآخرة:
- ١٥٠ ..... أولاً: التذكير بالآخرة
- ١٥١ ..... ثانياً: ربط الدنيا بالآخرة
- ١٥١ ..... كيفية ربط الدنيا بالآخرة
- ١٥٢ ..... ثالثاً: ضرورة الهدف الإلهيّ
- ١٥٢ ..... الهدف الإلهيّ في الروايات
- ١٥٢ ..... خطر الأهداف غير الإلهية:
- ١٥٣ ..... الأول: الكبرياء والاختيال
- ١٥٣ ..... الثاني: استحقاق الآخرين
- ١٥٣ ..... الثالث: الاغترار بالله
- ١٥٤ ..... الرابع: الابتعاد عن الدين
- ١٥٤ ..... جفوة الناس للعالم بالله
- ١٥٥ ..... تأسي العالم بالأنبياء
- ١٥٦ ..... القسم الرابع: الفهم العمليّ للدين والدنيا
- ١٥٦ ..... الرؤية الموضوعيّة للأحداث
- ١٥٧ ..... المعرفة العمليّة لحقيقة الدنيا
- ١٥٧ ..... الامتناع عن الحرام

- ١٥٨ ..... الزهد عن الدنيا
- ١٥٨ ..... التخلّي عن الرذائل والتحلّي بالفضائل
- ١٥٨ ..... الابتعاد عن الحسد
- ١٥٩ ..... الابتعاد عن حطام الدنيا
- ١٦٠ ..... الأسلوب الوعظي المؤثر
- ١٦٠ ..... ملاحظة القابليّات
- ١٦١ ..... النصيح على أساس الأولويّات والأهمّ
- ١٦١ ..... ملاحظة مستوى المستمع
- ١٦٢ ..... إعمار الباطن عملياً بالخلق الجميل
- ١٦٣ ..... الفهم الدقيق للأشياء
- ١٦٣ ..... تقبّل النقد
- ١٦٤ ..... القسم الخامس: الانعكاسات الإيجابية للعلم
- ١٦٤ ..... الصفات النفسيّة في العالم:
- ١٦٤ ..... أولاً: اتّصافه بمظاهر الغنى والكفاف
- ١٦٥ ..... ثانياً: الجود بما لديه
- ١٦٥ ..... ثالثاً: أن يكون مهاباً
- ١٦٥ ..... رابعاً: اتّصافه بالسلامة
- ١٦٦ ..... خامساً: القرب من الصالحين
- ١٦٦ ..... سادساً: الحياء
- ١٦٦ ..... سابعاً: الرفعة
- ١٦٧ ..... ثامناً: الشرف
- ١٦٧ ..... تاسعاً: الحكمة
- ١٦٨ ..... عاشراً: الحظوة

- ١٦٨ ..... الحادي عشر: استعمال عقله
- ١٦٩ ..... الثاني عشر: الاهتمام بشخصيته القيادية
- ١٦٩ ..... الثالث عشر: تأديب الناس بسيرته العملية
- ١٧٠ ..... القسم السادس: التأييد الإلهي والعلم الدني
- ١٧٠ ..... الغزارة في العلم
- ١٧٠ ..... التأييد الإلهي للعالم
- ١٧١ ..... إلهام العالم اللطائف الدقيقة
- ١٧١ ..... شروط تحصيل العلم الدني:
- ١٧٢ ..... الأول: الخوف والخشية من الله تعالى
- ١٧٢ ..... الثاني: الرقي بشخصيته إلى أعلى المراتب
- ١٧٣ ..... الثالث: المثابرة في التعلم
- ١٧٣ ..... الرابع: الاتصاف بالسكينة والحلم
- ١٧٤ ..... الخامس: أن يجسد ما تعلمه
- ١٧٧ ..... الحقيقة التأثير في نحوسة الأيام
- ١٧٧ ..... الأيام بين البركة والنحوسة
- ١٧٨ ..... تأثير الذكر على الإنسان:
- ١٧٨ ..... الأول: التوكل
- ١٧٨ ..... الثاني: الصدقة
- ١٧٩ ..... الثالث: الآيات القرآنية
- ١٨٠ ..... آية الكرسي
- ١٨١ ..... آثار سورة الإخلاص
- ١٨١ ..... الآيات القرآنية والوقاية
- ١٨١ ..... آيات الحفظ من المكاره

- ١٨١ ..... آثار المعوذتين
- ١٨٢ ..... الرابع: الأذكار في الزمان الخاص
- ١٨٢ ..... التسبيح والحوقة
- ١٨٣ ..... البسمة والحوقة
- ١٨٣ ..... المداومة على الذكر
- ١٨٤ ..... الخامس: الصلاة على محمد وآله
- ١٨٤ ..... أثر المداومة على الأوراد

## الباب الخامس

### الاقتصاد الإسلامي

١٨٧ - ٣٠٣

- ١٨٩ ..... الاقتصاد في المنظور الإسلامي
- ١٨٩ ..... القسم الأول: التعامل المالي بين الواقع والطموح
- ١٨٩ ..... النظرة السليمة للجانب الاقتصادي
- ١٩٠ ..... الآثار الإيجابية في التعامل بالمال
- ١٩٠ ..... الآثار السلبية في التعامل بالمال
- ١٩٠ ..... الحياة الاقتصادية الكريمة
- ١٩١ ..... الغنى من منظور إيجابي
- ١٩١ ..... الغنى من منظور سلبي
- ١٩١ ..... أهداف الحصول على المال
- ١٩٣ ..... التوازن في جمع المال
- ١٩٤ ..... القسم الثاني: أسس الإنماء الاقتصادي
- ١٩٤ ..... أهمية الاقتصاد في حياة الإنسان
- ١٩٥ ..... الأولى: منافاة المال للفضيلة



- ١٩٥ ..... الثانية: المال المحور الأساس في الحياة
- ١٩٥ ..... النظرية الإسلامية في الاقتصاد
- ١٩٦ ..... أسس تطوير الحياة الاقتصادية:
- ١٩٦ ..... الأولى: الكدّ وتحصيل الرزق
- ١٩٧ ..... الثانية: تفعيل الطاقات
- ١٩٧ ..... الثالثة: المبادرة في إنجاز العمل
- ١٩٧ ..... انسجام العمل مع التكامل المعنوي
- ١٩٨ ..... القسم الثالث: مبادئ التكسب وفق النظرية الإسلامية
- ١٩٨ ..... أهميّة السعي في التكسب
- ١٩٩ ..... عزُّ الإنسان في مكسبه
- ١٩٩ ..... الاتكاء على الدعاء وترك التكسب
- ٢٠٠ ..... أهميّة التكسب حتّى مع وجود المال
- ٢٠٠ ..... أهداف طلب الرزق:
- ٢٠٠ ..... الأول: الحصول على العزّ والسؤدد
- ٢٠٠ ..... الثاني: البعد الإنساني والاجتماعي
- ٢٠١ ..... الأثر الأخروي في طلب الرزق
- ٢٠١ ..... جمع المال من الكسب الحلال
- ٢٠٢ ..... ثواب السعي في طلب الرزق
- ٢٠٢ ..... أهميّة التجارة في طرق الكسب
- ٢٠٣ ..... معرفة طرق الكسب تقي المخاطر
- ٢٠٤ ..... الحثّ على التجارة في الروايات
- ٢٠٤ ..... معرفة طرق المحافظة على المال
- ٢٠٥ ..... القسم الرابع: أطر التصرف المالي الشرعي

- ٢٠٥ ..... فطرية ملكية الإنسان
- ٢٠٥ ..... الملكية الفطرية تراثية
- ٢٠٦ ..... الغنى وسيلة امتحان
- ٢٠٧ ..... الحكمة الإلهية سبب في تحصيل المال
- ٢٠٧ ..... الإنسان مستخلف على المال
- ٢٠٨ ..... الطريقة المثلى في التصرف المالي :
- ٢٠٨ ..... الأول: الهدف من جمع المال
- ٢٠٨ ..... الثاني: الله تعالى قسم المال بين الناس
- ٢٠٨ ..... الثالث: حق المجتمع في ما يملك الإنسان
- ٢٠٩ ..... الرابع: التعامل الشرعي فيما يُكسب
- ٢٠٩ ..... القسم الخامس: المال بين مدارج الكمال ومهاوي السقوط ..
- ٢١٠ ..... مبادئ الوصول للانتماء الإلهي :
- ٢١٠ ..... الأول: إزجاء الشكر له تعالى
- ٢١١ ..... الثاني: السير في المسار الموصل إلى السعادة
- ٢١١ ..... الثالث: الإنفاق وسيلة للتكامل
- ٢١٢ ..... الرابع: المال أمانة لدى الإنسان
- ٢١٣ ..... كيفية الوصول بالمال إلى الكمال
- ٢١٤ ..... الأولى: الإبصار بالدنيا
- ٢١٤ ..... الثانية: الإبصار للدنيا
- ٢١٤ ..... القسم السادس: العواقب الوخيمة للاستثمار بالمال
- ٢١٤ ..... التأثير السلبي للمال
- ٢١٥ ..... الأنبياء في مكافحة الطغيان الاقتصادي
- ٢١٦ ..... الاستثمار الشرعي للمال

- ٢١٦ ..... الأول: الالتزام بالضوابط الشرعية
- ٢١٦ ..... الثاني: إنفاق المال في المعروف
- ٢١٧ ..... الآثار الوخيمة في عدم إنفاق المال
- ٢١٧ ..... الإنفاق وقاية من هلاك المال
- ٢١٨ ..... نتائج استثثار الغنيّ بالمال
- ٢١٩ ..... القسم السابع: الرقيّ الاقتصاديّ وسيلة التقدّم العلميّ والاجتماعيّ
- ٢١٩ ..... مقارنة بين النظام الإسلاميّ والرأسماليّ
- ٢٢٠ ..... الاستغلال الماليّ في هدر كرامة الإنسان
- ٢٢١ ..... أثر الترف في هلاك الإنسان
- ٢٢٢ ..... الاكتناز الماليّ في نظر الإسلام
- ٢٢٢ ..... دور المال في تقدّم الأمم
- ٢٢٣ ..... طريق خلاص المجتمع من الطغيان الماليّ
- ٢٢٣ ..... أثر الإنفاق والعدل والرقيّ الاجتماعيّ
- ٢٢٣ ..... الخطبة الأولى: الإنفاق في سبيل الله
- ٢٢٤ ..... أنواع البذل والعطاء
- ٢٢٤ ..... أهميّة الإنفاق في الإسلام
- ٢٢٥ ..... أسلوب قرآنيّ في الحثّ على الإنفاق
- ٢٢٦ ..... شموليّة الإنفاق
- ٢٢٦ ..... الخطبة الثانية: العدل
- ٢٢٧ ..... العدل في الإسلام
- ٢٢٧ ..... العدل مبدأ عامّ
- ٢٣١ ..... آليّة الإنفاق في سبيل الله تعالى
- ٢٣١ ..... أهميّة الإنفاق في سبيل الله تعالى

- ٢٣٢ ..... شروط الإنفاق في سبيل الله تعالى :
- ٢٣٢ ..... الأول: الاكتساب بالطرق المشروعة
- ٢٣٢ ..... الثاني: الهدفية من الإنفاق
- ٢٣٣ ..... أهل البيت عليهم السلام مصداق الهدف السامي للإنفاق
- ٢٣٤ ..... مساحة العطاء عند الإمام علي عليه السلام
- ٢٣٦ ..... التجارة الربحة في سبيل الله تعالى
- ٢٣٧ ..... أهمية ربط الإنفاق بالله تعالى
- ٢٣٧ ..... علي عليه السلام بين الجذب والدفع
- ٢٣٩ ..... دور الكرم في حلّ المشكلة الاقتصادية والاجتماعية
- ٢٣٩ ..... القسم الأول: كرم الإمام الحسن عليه السلام أفق اقتصادي
- ٢٣٩ ..... دور الإمام عليه السلام في حلّ مشاكل الأمة
- ٢٤٠ ..... الإمام عليه السلام يواجه المشكلة الاقتصادية
- ٢٤٠ ..... آثار المشكلة الاقتصادية
- ٢٤١ ..... الحلّ العمليّ للمشكلة الاقتصادية
- ٢٤١ ..... دور المجتمع في حلّ المشاكل الاقتصادية
- ٢٤٢ ..... العلاقة بين الكرم والتقدم الاجتماعيّ
- ٢٤٣ ..... القسم الثاني: الأثر الاجتماعيّ للإنفاق والبذل
- ٢٤٣ ..... البخل سبب التفهقر الاجتماعيّ
- ٢٤٤ ..... أثر البخل في تدمير الكيان الأسريّ
- ٢٤٤ ..... شمولية الكرم الإلهيّ
- ٢٤٥ ..... أثر الإنفاق في الرقيّ والتقدم
- ٢٤٥ ..... الوصول إلى التكامل المعنويّ :
- ٢٤٦ ..... الأولى: التحطّي بالكرم

- ٢٤٦ ..... الثانية: التحلي بالحياء
- ٢٤٦ ..... سمات الكريم:
- ٢٤٦ ..... الأولى: الابتهاج بعمله
- ٢٤٧ ..... الثانية: رقة القلب
- ٢٤٧ ..... الثالثة: احترام الآخرين
- ٢٤٨ ..... أهميّة الإنفاق لدى أهل البيت:
- ٢٤٨ ..... القسم الثالث: الإمام الرضا عليه السلام دعوة للكرم من منطلق شرعي
- ٢٤٨ ..... زيادة أهل البيت عليهم السلام للكرم
- ٢٤٩ ..... الإنفاق عند الإمام الرضا عليه السلام:
- ٢٤٩ ..... الأولى: توزيع الأموال في يوم عرفة
- ٢٤٩ ..... الثانية: المغنم في الإنفاق
- ٢٥٠ ..... الثالثة: حفظ كرامة السائل
- ٢٥١ ..... دروس من مواقف الإمام الرضا عليه السلام
- ٢٥١ ..... الأول: الحفاظ على شخصيّة السائل
- ٢٥٢ ..... الثاني: بيان بركة أموال أهل البيت عليهم السلام
- ٢٥٢ ..... استغلال المناسبات للإنفاق
- ٢٥٣ ..... القسم الرابع: النبي صلى الله عليه وآله قدوة عالميّة في الكرم
- ٢٥٤ ..... أضرار البخل:
- ٢٥٤ ..... الضرر المعنوي
- ٢٥٤ ..... الضرر المادي
- ٢٥٥ ..... النبي صلى الله عليه وآله أسوة في الكرم
- ٢٥٦ ..... الضمانات من التغيرات المستقبلية
- ٢٥٦ ..... كيف تصنع المعروف؟

- أولاً: صنع المعروف للجميع ..... ٢٥٧
- ثانياً: الدافع في صنع المعروف هو الله تعالى ..... ٢٥٧
- أوصاف الأبدال ..... ٢٥٨
- القسم الخامس: نفحات من كرم الإمام العسكري عليه السلام ..... ٢٥٩
- مظاهر كرم الإمام العسكري عليه السلام : ..... ٢٥٩
- الأول: رفع الحواجز من نفسيّة السائل ..... ٢٥٩
- الثاني: استشراف حال السائل ..... ٢٦٠
- الثالث: تربية السائل على الصدق في السؤال ..... ٢٦١
- الرابع: توزيع العطايا في المناسبات ..... ٢٦٢
- الخامس: تفقّد حال المحتاجين ..... ٢٦٣
- السادس: بذل الهدايا للمحتاجين ..... ٢٦٤
- ثقافة الغذاء الشرعيّ ..... ٢٦٥
- القسم الأول: التجارة الحرّة وتأثيرها في السوق الإسلاميّة ... ٢٦٥
- تأثيرات الغذاء على شخصيّة الإنسان ..... ٢٦٥
- الآثار الماديّة للغذاء ..... ٢٦٦
- تأثيرات الغذاء في النصوص الشرعيّة ..... ٢٦٦
- التأثيرات المعنويّة ..... ٢٦٧
- كشف الأمور الغيبية للغذاء ..... ٢٦٧
- النظرة القاصرة للغذاء الجيّد ..... ٢٦٨
- قاعدة سوق المسلمين ..... ٢٦٨
- تطبيق قاعدة سوق المسلمين ..... ٢٦٨
- أضواء على قاعدة سوق المسلمين ..... ٢٦٩
- الجهل بالضوابط الشرعيّة ..... ٢٦٩

- ٢٧٠ ..... الآثار الوضعية للغذاء
- ٢٧٠ ..... الاهتمام بغذاء الروح
- ٢٧٠ ..... التدبّر فيما نأكله
- ٢٧١ ..... ثقافة الأبناء الغذائيّة.
- ٢٧١ ..... بلورة قاعدة سوق المسلمين
- ٢٧١ ..... أحوال المسلمين في هذه الأسواق
- ٢٧٢ ..... أثر التجارة الحرّة على أسواق المسلمين
- ٢٧٢ ..... الغذاء في السفر
- ٢٧٢ ..... الاحتياط في قاعدة سوق المسلمين
- ٢٧٣ ..... القسم الثاني: الغذاء بين المصلحة والمفسدة
- ٢٧٣ ..... جوانب أهميّة الغذاء
- ٢٧٤ ..... الأبحاث العلميّة حول الغذاء
- ٢٧٤ ..... حرمة الغذاء وحليّته وفق الحكمة
- ٢٧٥ ..... الدور التشريعيّ في بيان تأثيرات الغذاء
- ٢٧٥ ..... أساس الحرمة والحليّة في الروايات
- ٢٧٧ ..... حليّة المحرّم للمضطرّ
- ٢٧٧ ..... مفسد تناول الميتة
- ٢٧٧ ..... الأوّل: التآثيرات الصحيّة على البدن
- ٢٧٨ ..... الثاني: انقطاع النسل
- ٢٧٨ ..... الثالث: موت الفجأة
- ٢٧٨ ..... مفسد شرب الدم
- ٢٧٨ ..... الأوّل: نتانة الرائحة
- ٢٧٨ ..... الثاني: سوء الخلق

- ٢٧٨ ..... الثالث: قساوة القلب
- ٢٨٠ ..... آثار تناول لحم الخنزير
- ٢٨٠ ..... الهدف من خلق الحيوان
- ٢٨٠ ..... من أسرار خلق الحيوانات
- ٢٨١ ..... آثار شرب الخمر
- ٢٨١ ..... تأثير البسملة في الذبيحة
- ٢٨٢ ..... القسم الثالث: الغذاء ومستقبل الإنسان
- ٢٨٢ ..... الأولى: طهارة الطعام
- ٢٨٣ ..... الثانية: تأثير الغذاء على الذكاء والجمال
- ٢٨٣ ..... تأثير الغذاء على مستقبل الإنسان
- ٢٨٣ ..... التأثير النوراني للغذاء
- ٢٨٥ ..... شرائط حصول تأثير الغذاء:
- ٢٨٥ ..... الأول: التأنّي أثناء الأكل
- ٢٨٦ ..... الثاني: الذكر أثناء تناول الغذاء
- ٢٨٧ ..... الثالث: تأثير الصلاة على محمّد وآله
- ٢٨٧ ..... الرابع: الختم بالحمد لله
- ٢٨٨ ..... القسم الرابع: تطبيقات غذائية
- ٢٨٨ ..... القرآن والغذاء
- ٢٨٩ ..... تأثيرات تناول اللحم
- ٢٩١ ..... التناول المثاليّ للحم
- ٢٩١ ..... تناول الخضار
- ٢٩٢ ..... تناول الفاكهة
- ٢٩٢ ..... التوازن بين أنواع الأغذية



- ٢٩٣ ..... توفير الغذاء للأهل
- ٢٩٣ ..... وعي الأسرة بأهميّة الغذاء
- ٢٩٤ ..... أهميّة وجبة الفطور والعشاء
- ٢٩٤ ..... مضارّ ترك تناول العشاء :
- ٢٩٤ ..... الأوّل: الشيخوخة المبكرة
- ٢٩٤ ..... الثاني: التعرّض للأمراض
- ٢٩٥ ..... تخفيف الوزن والتوازن الغذائيّ
- ٢٩٥ ..... فوائد العسل
- ٢٩٥ ..... أثر الغذاء على العمر
- ٢٩٦ ..... القسم الخامس: مصادر الغذاء وأسباب تحصيله
- ٢٩٦ ..... مصادر وأسباب الغذاء :
- ٢٩٧ ..... الأوّل: أسباب غير مرضية واقعاً
- ٢٩٧ ..... الثاني: أسباب المرضية
- ٢٩٧ ..... تأثير تناول الغذاء الحرام :
- ٢٩٧ ..... الأوّل: عدم الإذعان للحقّ تعالى
- ٢٩٨ ..... الثاني: قساوة القلب
- ٢٩٨ ..... الثالث: ارتكاب الجريمة
- ٢٩٩ ..... الرابع: التأثير على النسل
- ٢٩٩ ..... تأثيرات لقمة الحلال :
- ٢٩٩ ..... الأوّل: البركة
- ٢٩٩ ..... الثاني: الاطمئنان والرضا
- ٣٠٠ ..... الثالث: دعاء الملائكة
- ٣٠٠ ..... الرابع: غفران ذنوبه

- الخامس: النسل الصالح ..... ٣٠٠  
 أكل الحرام طريق لكل حرام ..... ٣٠٠  
 آثار الإنفاق بأموال الحرام: ..... ٣٠١  
 الأول: محق العمل ..... ٣٠١  
 الثاني: محق البركة ..... ٣٠٢  
 الثالث: عدم استفادة الورثة من المال ..... ٣٠٢  
 أموال المعاملات الفاسدة ..... ٣٠٢  
 أخذ أموال الورثة ..... ٣٠٣  
 بركة الطاهر الحلال ..... ٣٠٣

## الباب السادس

### السياسة و العدالة

٣٠٥ - ٣٩٩

- الضوابط الشرعية في الخلافة الإسلامية ..... ٣٠٧  
 التأكيد على الولاية ..... ٣٠٧  
 أسباب تأكيد النبي ﷺ على الولاية: ..... ٣٠٨  
 الأول: تجلي العدالة لدى الإمام عليّ ؑ ..... ٣٠٨  
 الثاني: البعد الإنساني في شخصية الإمام عليّ ؑ ..... ٣٠٩  
 الثالث: تطبيق المبدأ الأخلاقي ..... ٣١٠  
 الرابع: توافر العلم الواسع ..... ٣١١  
 منطلق تعيين الولي هو الكفاءة ..... ٣١٢  
 نظرية الإسلام في الحكم من خلال الغدير ..... ٣١٥  
 أنظمة الحكم العالمية ..... ٣١٥  
 الأول: النظام الملكي ..... ٣١٥

- الثاني: الملكية الدستورية ..... ٣١٦
- النظام الحاكم في الحضارة الإغريقية ..... ٣١٦
- اختيار الحاكم في الحضارة الإغريقية ..... ٣١٦
- سقراط والنظام الديمقراطي ..... ٣١٦
- ملاحظات على النظام الديمقراطي ..... ٣١٧
- نظرية الحكم عند سقراط ..... ٣١٧
- دور سقراط في تثقيف الناس بنظريته ..... ٣١٨
- الأنظمة الحاكمة في العصر الحديث ..... ٣١٨
- الحكم في نظر الإسلام ..... ٣١٨
- سقراط وأهل البيت في نظرية الحكم ..... ٣١٩
- طرق أهل البيت في توضيح الحكمية : ..... ٣١٩
- الأول: حديث الدار ..... ٣٢٠
- الثاني: حديث المنزلة ..... ٣٢١
- الثالث: إبلاغ الإمام علي سورة براءة ..... ٣٢١
- الرابع: حديث الثقلين ..... ٣٢٢
- الخامس: حديث الغدير ..... ٣٢٢
- النبوي يواجه إشكالات اختيار الإمام علي عليه السلام ..... ٣٢٣
- النبوي يجسد الولاية للإمام علي عليه السلام ..... ٣٢٣
- حقيقة الولاية في حديث الغدير ..... ٣٢٤
- الولاية امتداد للرسالة ..... ٣٢٤
- مبادئ النظام السياسي في فكر الإمام علي عليه السلام ..... ٣٢٧
- مؤهلات الحاكم في فكر أهل البيت عليهم السلام ..... ٣٢٧
- شبهات حول مطالبة الإمام علي عليه السلام بالسلطة : ..... ٣٢٨

- الأولى: التأكيد المتكرر على أحقيته بالسلطة ..... ٣٢٨
- الثانية: طلب السلطة لمنافسة الأمويين ..... ٣٢٩
- الثالثة: الإمام علي لا يأخذ بالشورى ..... ٣٣١
- أسس الحكم عند الإمام علي عليه السلام ..... ٣٣٢
- دعائم الحرية في النظرية الإسلامية ..... ٣٣٥
- دور الظلم في طمس حقوق الإنسان ..... ٣٣٥
- دور العبادة لله في تحقيق الحرية ..... ٣٣٦
- كرامة الإنسان ..... ٣٣٦
- معوقات الحرية الإنسانية ..... ٣٣٧
- منهج الوصول إلى الحرية ..... ٣٣٩
- أطر الحرية في واقعها الديني ..... ٣٤١
- أهمية الحرية المقننة للإنسان ..... ٣٤١
- الحرية المقننة طريق إلى السعادة ..... ٣٤١
- الإسلام يدعو للحرية الدينية ..... ٣٤٢
- حرية التعايش في نظر الإسلام ..... ٣٤٣
- حرمة دم المسلم تقنين للحرية ..... ٣٤٣
- خطأ التكفير وواقع الحرية ..... ٣٤٤
- نتائج الفهم الخاطيء للحرية ..... ٣٤٥
- نظرة أهل البيت: لحرية المعتقد ..... ٣٤٥
- العدل بين النظريات الحديثة وشمولية الإسلام ..... ٣٤٧
- معنى العدل ..... ٣٤٧
- النظريات المختلفة في العدل: ..... ٣٤٨
- الأولى: العدل من الآراء المحمودة ..... ٣٤٨

- ٣٤٨ ..... الثانية: العدل معنى مختلق لا واقع له
- ٣٤٩ ..... الثالثة: العدل هو تطبيق القانون فقط
- ٣٤٩ ..... الرابعة: العدل أمر فطريّ
- ٣٥٠ ..... العدل بين النظرية والتطبيق
- ٣٥٠ ..... الحاجة إلى العدل
- ٣٥١ ..... العدل في عصر الإمام المهدي عليه السلام
- ٣٥٢ ..... نقد النظريات في العدل
- ٣٥٢ ..... العدل الحقيقي في الإسلام
- ٣٥٣ ..... الظلم وآثاره الدنيوية والأخروية
- ٣٥٣ ..... القسم الأول: الظلم وهلاك الأمم
- ٣٥٣ ..... أثر الظلم في الأحداث العالمية
- ٣٥٤ ..... بين النصر والعدل
- ٣٥٤ ..... النصر المزيّف في العالم
- ٣٥٥ ..... الاستعداد لما بعد الموت
- ٣٥٥ ..... نهاية الظلم
- ٣٥٦ ..... منطق عدل الله تعالى في الآخرة
- ٣٥٦ ..... الله تعالى المنتقم من الظالم
- ٣٥٧ ..... النفس البشرية عاجزة عن الظلم
- ٣٥٨ ..... الظالم لا يشم رائحة الجنة
- ٣٥٨ ..... الظلم أعظم المعاصي
- ٣٥٩ ..... العدالة تديم النعم
- ٣٥٩ ..... الظلم يسلب الحسنات
- ٣٥٩ ..... القانون الإلهي لا استثناء فيه

- ٣٥٩ ..... تدمير الحضارات
- ٣٦٠ ..... القسم الثاني: الظلم يمحق العمل الصالح
- ٣٦٠ ..... آثار الظلم:
- ٣٦٠ ..... الأول: محق العمل الصالح في الآخرة
- ٣٦١ ..... المرحلة الأولى: زهاب حسنات الظالم
- ٣٦١ ..... المرحلة الثانية: وضع سيئات المظلوم في ميزان الظالم
- ٣٦٢ ..... الثاني: سرعة تعجيل العقوبة
- ٣٦٢ ..... سرعة العقوبة والقوى الماديّة
- ٣٦٣ ..... الثالث: قصر العمر
- ٣٦٣ ..... الرابع: الظلم توأم الحرب والفتنة
- ٣٦٤ ..... العدل يحقق الأمن
- ٣٦٤ ..... الخامس: الظلم مانع من آثار العبادات
- ٣٦٥ ..... أنواع الظلم
- ٣٦٦ ..... تميّز ظلم العباد عن غيره
- ٣٦٦ ..... القسم الثالث: الظالم بين الإمهال والعقاب
- ٣٦٧ ..... أفدح أنواع الظلم
- ٣٦٧ ..... ظلم الضعيف
- ٣٦٧ ..... المطالبة الحضاريّة بالحقوق
- ٣٦٧ ..... الطريقة المثلى لنيل الحقوق
- ٣٦٨ ..... فداحة ظلم المستسلم
- ٣٦٨ ..... افتضاح الظالم تاريخياً
- ٣٦٩ ..... شدّة غضب الله تعالى
- ٣٦٩ ..... الظلم الفرعونيّ

- ٣٧٠ ..... إمهال الظالم
- ٣٧١ ..... انتقام الله تعالى من الظالم
- ٣٧١ ..... هلاك فرعون وجنوده
- ٣٧٢ ..... القسم الرابع: انتقام الله تعالى من الظالم
- ٣٧٣ ..... درجات الظلم:
- ٣٧٣ ..... الأولى: الرضا القلبي
- ٣٧٤ ..... الثانية: الظلم اللساني
- ٣٧٤ ..... الثالثة: الظلم بالعمل والسلوك
- ٣٧٤ ..... الأثر الوضعي للظلم
- ٣٧٥ ..... علامات الظالم: الأولى: القهر بالغلبة
- ٣٧٥ ..... الثانية: القهر بالمعصية والثالثة: نصرة الظالم
- ٣٧٥ ..... آثار إعانة الظالم:
- ٣٧٦ ..... الأولى: الانتقام من الظالم بالظالم
- ٣٧٦ ..... الثانية: اليأس من رحمة الله تعالى
- ٣٧٧ ..... الثالثة: الموت على غير الإسلام
- ٣٧٩ ..... الراضي بالظلم شريك
- ٣٨٠ ..... القسم الخامس: نصرة المظلوم
- ٣٨٠ ..... طرق نصرة المظلوم:
- ٣٨٠ ..... الأول: الوقوف مع الحق
- ٣٨٠ ..... الثاني: السعي نحو تطبيق العدل
- ٣٨١ ..... الثالث: التحالف مع المظلوم
- ٣٨١ ..... الرابع: الطموح لتحقيق أعلى درجات العدل
- ٣٨١ ..... درجات المرء في الآخرة والعدالة

- ٣٨٢ ..... برامج عملية لنصرة المظلوم :
- ٣٨٢ ..... الأول: السير وفق القانون
- ٣٨٣ ..... الثاني: التزوّد بالعمل الصالح
- ٣٨٣ ..... الثالث: المعارضة للظلم والظالم
- ٣٨٣ ..... الرابع: التركيز على الأهداف النبيلة
- ٣٨٣ ..... آثار نصرة المظلوم :
- ٣٨٣ ..... الأول: اجتياز الصراط
- ٣٨٤ ..... الثاني: ترتّب الثواب الجزيل
- ٣٨٥ ..... الثالث: النصرة من الله تعالى
- ٣٨٥ ..... الرابع: معيّة الله تعالى له في الآخرة
- ٣٨٥ ..... آثار خذلان المظلوم
- ٣٨٦ ..... الدعاء للمظلوم
- ٣٨٦ ..... استدراك التقصير تجاه المظلوم
- ٣٨٦ ..... نصرة المظلوم في العمل مع الظالم :
- ٣٨٧ ..... الأول: الوقوف مع الظالم صورياً
- ٣٨٧ ..... الثاني: تولّي المناصب القياديّة
- ٣٨٧ ..... الثالث: إرجاع الحقوق لأهلها
- ٣٨٧ ..... أثر نصرة المظلوم في حياة الإنسان

## مَصَادِرُ الْكُتُبِ

٣٨٩ - ٣٩٩

## مُحْتَوَايَةُ الْكُتُبِ

٤٠١ - ٤٣٢



